

ابغيتك

رواية

شُروف السَّيد



بعثرتني

ل

شروق السيد

جميع الحقوق محفوظة © عصير الكتب للنشر الإلكتروني

<http://book-juice.com>

بعثرتني

المؤلف : شروق السيد

نشر في : أغسطس 2015

تنسيق داخلي : عصير الكتب للنشر الإلكتروني



شكرا :

إلي من علموني انه لا زال في هذه الحياة ما يستحق حقا , شكرا علي
كل الثقة والدعم , عائلي , أصدقائي , وكل كاتب قرأت له يوما ,
لولاكم بعد الله ما كنت أنا , ما كنت هكذا , وما كنت هنا حتما ...

شكرا علي كل شئ

إهداء

إلى الحاضرين رغم انف الغياب

وعدتُك أن لا أُحبَّك..

ثمَّ أمامَ القرارِ الكبيرِ، جُئْتُ

وعدتُك أن لا أعود...

وعدتُ...

وأن لا أموتَ اشتياًفاً

وَمُتُّ

....

وعدتُك..

أن لا أكونَ ضعيفاً... وكُنتُ..

وأن لا أقولَ بعينيك شعراً..

وقُلتُ...

وعدتُ بأن لا ...

وأن لا..

وأن لا ...

وحين اكتشفتُ غبائي.. ضحكْتُ...

..... نزار قباني

الجزء الأول :

الأمس

"ما تشوّهه فينا الطفولة لا ينصح ابداً ،

بل يكبر معنا كلما كبرنا ،

ويصبح بمرور الوقت أكثر عمقا .. "

الحب

كانت تقطع الرواق في خطوة سريعة , تلتفت الي ساعتها بين ثانية و أخرى في قلق بالغ , اصطدمت
بكتفي فغمغمت معتذرة ومضت دون ان تقف او تلتفت , تسمرت في مكاني لبرهة اطالع خيالها ؟
لكن سيف صديقي الذي كنت اسير معه لكزني في كتفي فالتفت له سألني فيما شردت فأجبته الاشئ
، كدت امضي في طريقي لكنني لحت ورقة مطوية يبدو انها سقطت من تلك الفتاة , التفت اناديهما لكنها
كانت قد اختفت بالفعل , فضضت الورقة حينها ورحت اقرا
الي رجل لم يأت بعد..

اذا كنت تقرا هذا ولا اظنك ستقراه يوما , فانا احتاجك حقا , كم انا ضعيفة ووحيدة اكاد اشعر
بروحي تناكل رويدا رويدا , لم تعد لدي طاقة لاقتل اكثر او لاثمّل وجعا اخر , هذا القلب الذي
ينبض بين ضلوعي هرم من كثرة ماتناوب عليه من الام , ابي الان لا يربطه بالحياة سوي بضعة اجهزة ,
ولا يربطني بالحياة سوي ان ذلك الخط الذي يشير الي نبضات قلبه لازال متعرجا , اخاف كثيرا ان
افتح عيني لاجدني قد صرت وحدي دونه , مذ فقدت امي وقد صار هو كل شئ بالنسبة لي فأنا بفقدته
اخسر كل شئ , اقضي الان ليلتي الثانية عشر دونه في المتزل والوحشة تحيط بي وتصارع انفاسي
فتصرعها , كم ستصبح الحياة مخيفة في غيابه , اخاف كثيرا حين اطالع جسده الشاحب واتخيل انه قد
يفلتنني وحينها اذوب قهرا ...

كم احتاج لوجودك الان لتكتنفي برعايتك فقط لتخبرني ان كل شئ سيصبح بخير وان ابي سيفيق , انه لن يخذلني ابدا ولن يأخذ روعي معه ويرحل ..انه لن يتوقف عن منحي دفء ذراعيه وسعة صدره بعد الان , او انه لن يترك قلبي الهش يواجه اعتي عاصفة قد تواجهه يوما..

أروي عماد

قطبت ما بين حاجبي واطلقت زفيرا حارا وانا اقلب نظراتي المتألمة فوق خطها المتعرج القلق , اكاد اشعر بصدي دموعها واناتها في كل كلمة , وجعها انتقل ثقيلًا الي اعماقي , طويت الورقة ووضعته قريبة من قلبي ومضيت في طريقي اكمل حديثا مع سيف لست اذكره ..

مرّ اسبوع او اكثر قبل ان اراها ثانية , كانت تقوم بتوزيع النسخ الجديدة من جريدة الجامعة , تقسم المهام بين الواقفين حولها , تأملتها طويلا حينها , عينيها البنيتين الواسعتين , انفها الدقيق , بشرتها البيضاء , المخضبة بلون الدم بسبب الحرارة المرتفعة , اخفق قلبي يومها !! ربما

لو تعرفين كيف حركني الفضول ساعتها , الي ابعد مما كنت لا تخيل , اذكر كيف بحثت طويلا عن حسابها علي الفيسبوك , حتي وجدته ورحت اقلب محتويات صفحتها الشخصية , كانني كنت ابحت عن خيط ما يربطني بها لكنني لم اعرف وقتها ان كنت وجدته او لا , حين كنت أراها في الجامعة تسير الي مكان ما , كنت اتبعها , تقودني خطواتي , اراقبها بعيني , الي من تتحدث ؟ كيف تبسم ! ورغم كل فضولي الجارف الا انني بقيت علي مسافة محايدة , حتي كان ذلك اليوم , كانت تسير بسرعة كبيرة تتخبط بكتف هذا وذاك , تبعد كثيرا وتوغل في الحديقة الخلفية للكلية , هوت فجأة علي مقعد مترو , وراحت تجهش في بكاء طويل , مزق نياط قلبي , وقفت اراقبها في صمت مرير , ينازعني قلبي لاذهب واربت علي كتفيها , وامسح دموعها الحارقة , ويأبي عقلي منتفضا , لكنني حينها لم املك الا ان

انصاع لقلبي الذي راح يدق قلقلها واسفا علي حالتها , سرت نحوها ومددت يدي بمنديل كان في جيبي , رفعت بصرها في دهشة , تنظر الي هذا الغريب الذي اخترق خلوقها , لكنها ابتسمت اخيرا وتناولت المنديل , جلست الي جوارها فيما راحت تمسح دموعها , كانت عيناها هموراين مشتعلتين !
لم اقل شيئا ولم تفعل هي بدورها جلسنا صامتين لفترة طويلة نراقب السماء الصافية تحت ظل الشجرة الوارف , شعرت بما قد هدأت قليلا فسالت

- انت بخير؟ .

- اجل شكرا لك

قالتها مبتسمة ابتسامة عذبة رقراقة , اصابتني في قلبي مباشرة فلم اشعر الا بملاحي تتلقاها مرحة وابتسمت لها بدوري

مددت يدي نحوها قاتلا

- حسام

- انا اروي

صافحتني وعدنا بعدها نلوذ بالصمت , حتي استأذنت ورحلت , تاركة اياي جالسا علي المقعد وحدي استعيد حضورها فيخفق قلبي بقوة .

ماذا كنت اريد منها , ولما كنت افعل ما افعله؟ انا لا اعرف ابدا , ولم تكن لديّ رغبة لان اعرف .

تكرر لقاءنا هذا مرارا بعدها علي ذات المقعد صامتين , الا من كلمات الترحاب والوداع وبعض الابتسامات وشئ من النظرات الهاربة .

وفي احدي تلك المرات دق هاتفها , اجابت مذعورة

- نعم .. انا .. حقا؟؟ انا آتية في الحال

اغلقت الهاتف قالت لي في لهفة ان والدها افاق من الغيبوبة وعليها الذهاب للمشفى في الحال , عرضت عليها ان اوصلها فصمتت لثانية بدا انها تفكر ثم اومأت موافقة .

انطلقنا بسيارتي صامتين , اراقب انا لهفتها الشديدة , حتي وصلنا تبعتها الي الداخل دلفت الي احدي الغرف , وقفت اراقبها , استقبلها والدها بابتسامة عذبة كابتسامتها , وضعت راسها علي صدره وراحت تنتحب , اغلقت الباب وجلست في الرواق انتظرها , كانت علاقتها بوالدها غريبة علي كليا , شئ لم افهمه , انا الذي بالكاد كنت ابادل التحية مع ابي , كان قد مر بعض الوقت , حين خرجت من الغرفة ورأيتني , ويبدو انها لم تتوقع انتظاري قالت مبتسمة

- ما زلت هنا ؟

اجبتها بابتسامة ثم سألتها عن والدها فأخبرتني انه بخير , جلست الي جوارني تحادثني فابتسم , وصدقيني في حضورها لا يسع المرأ الا ان يبتسم , تحدثنا طويلا يومها , راحت تخبرني عن نفسها الكثير , عن والدتها المتوفاة , عن والدها , عن هذا المشفى الذي تعتبره بيتها الثاني , اذ كان والدها طبيبا وكانت تقضي معظم وقتها هناك .

غادرت المشفى عائدا الي منزلي غير مدرك اني لن اراها الا بعد مدة طويلة جدا , اختفت اروي تماما , لا اعرف كم مرة زرت ذاك المقعد , وجلست وحيدا انتظرها دون جدوي , شعرت بالفراغ يحتل روحي , كان غيابها مرا وبعثا علي الكآبة والحزن , واتتني الشجاعة يوما لاذهب الي المشفى حيث اوصلتها , وقفت مذهولا امام الممرضة التي اخبرتني ان والدها سافر لمانيا لاجراء عملية جراحية .

لو ان لجدران المشفى ان تتلقي صرختي الصامتة , لتصدعت , كم تراها تتألم الان ياتري ؟ وكم تكون وحيدة وخائفة ؟ .

عدت الي منزلي مسرعا , واول شئ فعلته ان فتحت صفحتها علي الفيسبوك وارسلت لها اسألها عن حالها وحال والدها , رسالة لم اتلق جوابا عليها الا بعد اسبوع كامل , قضيته ملتاعا مشتاقا ضائعا - انا بخير , اجرينا العملية لابي وبدأ يتحسن , سنسافر بعد ايام الي انجلترا ونقضي اسبوعا او اكثر قليلا عند خالتي ثم سنعود , اراك قريبا .

وعادت لتختفي دون ان تجيب علي اي من رسائلي , كم مرّ الوقت ثقيلًا !

كنت اجلس ذات مرة علي مقعدنا المعتاد حين اطلت , جلست مشدوها مكاني لا اقوي علي الاتيان بحركة , انظر في عينيها غير مصدق , راح قلبي يدق بسرعة مجنونة , لأول مرة اشعر برجفة تجتاح روحي , يا الهي كم كنت مشتاقا اليها . ؟ لم ادرك هذا الا حينما رايتها امامي تبسم ابتسامتها الوديعه كأنها تداعب روحي في رقة , نهضت وقلت لها بصوت مهزوز

- هل عدت ؟

كأنني ما كنت اصدق , اومأت برأسها دون ان تنطق , لكن ابتسامتها الواسعة , والضحكة في عينيها , كانتا كفيلتين بالرد عنها , جلسنا حينها تجتاحنا المشاعر وصمتنا كان هذه المرة مختلفا تماما , علي الاقل بالنسبة لي .

مد عادت تشبثت بها بأقصى قواي , غيابها الذي طحنني , جعلني ادرك كم باتت تحتل من روحي , بل كم كنت احبها , بت الاحقها في كل مكان , الي كل زاوية لم اكن افارقها , ولم ادعها تغيب عن ناظري , اخترعت الف حجة لاكون معها , كنت انا وسيف صديقي ونوران صديقتها المقربة , نتناوب علي شرح مافاتهما في الشهرين السابقين من محاضرات , تارة في الجامعة وتارة في المشفى علي مقربة من

سرير حسن والدها , الذي راح يرمقنا عن كذب بابتسامته التي ورثتها عنه اروى , كم توطدت علاقتي به حينها , احبته واحترمته كثيرا , ذلك الرجل البشوش ذا الوجه الصبوح , طيب القلب عذب الحديث , ربما الشخص الوحيد الذي استمعت لحديثه في كل حياتي , اذكر كيف كنت اتلقي معاملته الطيبة واعدود الي منزلي بعدها لاتلقي ما شاء الله ان اتلقي من جفاء ابي وغضبه , فاعدود متلهفا في اليوم التالي لرؤية حسن لانهل شيئا من حنانه , سرعان ما فهمت سر علاقة اروى القوية بأبيها , فكيف يكون للمرأ اب كحسن ولا يجبه الي هذا الحد , ولم اكن وحدي اشعر بهذا , حتي سيف شعر ان حسن عوضه شيئا من غياب والده رحمه الله , لا طالما رأيت نظرة الاكبار والاحترام له في عينه .

وهكذا مضي الوقت وخرج حسن من المشفى , اقتربت الامتحانات , كنا في عامنا الثاني آن ذاك نجحت اروى في تخطي الامتحانات بصعوبة ومر الامر بسلام وانتهت الامتحانات واتت اخري وانتهت , وشئ واحد لا ينتهي ..

سألته في فضول

- ماهو ؟

وضع يده علي قلبه قائلا

- الحب الذي نبت في قلبي لها لم يعرف نهاية ابدا

ابتسمت له لتحتته علي ان يكمل القصة فقال

اتعرفين , لا زلت اذكر كل شعور مررت به معها , كل مرة امسكت يدها , كل كلمة قلتها لها , كل يوم مر معها انحفر في ذاكرتي وقلبي , اذكر كل هذا , وسأبقي اذكر دائما , صحيح اني لم اخبرها ولو لمرة اني احبها بالحديث , لكنني اخبرتها بكل طريقة ممكنة اخري , وهكذا مرت ثلاثة اعوام ونحن علي

ذات الحال بمثل ذات الدرجة من القرب , والان كل شئ انتهى .

سألته في لهفة

- انتهى؟؟

فأوما برأسه مؤيدا ثم اكمل

قبل عدة ايام اتت الي الجامعة تصاحبها زوبعة عكرت صفو ما بيننا , لا ادري كيف تغير كل شئ هكذا فجأة ودون مقدمات ؟ , كان كل شئ يسير هادئا رتيا , لا ينذر بهبوب عاصفة تقلب حياتنا رأسا علي عقب , لكنها هبت رغم ذلك , لم تبق شيئا ولم تذر , عصفت بنا كريشتين لا حول لهما ولا قوة , ثم هوت بنا من علي فتهشم من تهشم وتبعثر من تبعثر , لازلت اذكر ارتجافها , عيناها المدعورتين تطلبان الغوث , قالت لي بصوت قلق ان سامح تلميذ والدها تقدم لخطبتها .

مادت بي الارض , والكلمة تقفز من بين شفيتها الي اذني ضائجة ثائرة تنخبط في كل اتجاه لترطم بي في النهاية كمطرقة هوت فوق راسي فافقدتني توازني , ايما صقيع ذاك الذي انصب في روحي , وايما نار تلك التي اشتعلت في قلبي , شعرت بكل شئ واضداده في تلك الثانية القصيرة , اصابني الذعر , او لعلها المفاجأة التي وضعتني امام كلمة لم يكن يخيل الي اني ربما اسمعها يوما , لم تصل حساباتي ابدا الي تلك النقطة , لا اعرف كيف نطقت شفتي لكنني قلت لها

-مبروك

ارتسمت ابتسامة باردة مزيفة علي وجهي , لا اعرف كيف استماتت فوق ملامحي رغم توسلات عينيها رغم وجهها الذي بهت , انفاسها التي اكاد اسمع صوت احتناقها , وقفت وسارت بعيدا , كدت الحق بها لكنني تصلبت في مكاني , الشلل سري الي كل جزئ مني , تركتها تتبعد , كنت اعرف اني توا

ذبحتها بسكين تلم دون رحمة , لكنني عاجز قليل الحيلة , ماذا بين يدي لا قدم لها .

كانت دمعة تترقرق في عينيه فوقفت وعانقته بذراعيها وربت علي كتفه في حنو قائلة

- تحدث الي ابيك يا حسام , انت لن تستطيع ان تعيش من دون اروى يوما واحدا , لا تتخلي عنها
بمثل هذه السهولة .

- ماذا اقول له يا خالتي , تعرفينه , سيفعل ما بوسعه ليراني اتعذب

- فقط حاول يا عزيزي , لاجل قلبك الذي يوشك علي التحطم , فقط حاول

الحزن

داعب الهواء خصلات شعرها الثائرة فأنحسرت عن جبهتها , اطلقت زفيراً حارقاً لتخفف قليلاً مما
اذحم بداخلها لكنها لم تكن تزداد الا اختناقاً , رثيها تتقلصان مع كل وخزة وجع تجتاحها ,
بهتت بشرتها البيضاء وانحفرت بها مراسم الحداد , ليست وحدها ترثي الليلة اشياء كثيرة , فهي
تكاد تشعر بالكون كله متواطئ مع حزنها .

تراقب عن هذا العلو الشاهق من خلف زجاج نافذتها سيارات تتحرك بسرعة فوق افق النيل الذي
تنعكس عليه الاضواء فتزيده سحراً مؤلماً , وتلك النجوم التي تشرق في سماء الليل كأنها دموع
متحجرة علي وجنته الذابلة !

حتى الهواء مثقل بها , ممتلاً بما تبعثر منها , كل تلك الاشياء التي غادرتها دفعة واحدة وتركتها
خاوية مخدرة الشعور , الا من دموع هاربة تكوي وجنتيها , وذلك الحزن الذي يحاول قتل ماقد
تبقى منها .. !

الي اي مدي تنتوي هذه الليلة ان تطول والي متي ستظل عقارب الساعة تدوي داخل جمجمتها كأنها
اجراس كنيسة في عراء ليلي خاصمه الضوء , كم تبدو ساذجة هي التي ترتقب شيئاً لن يحدث ,
تنتظر شخصاً لن يأتي , والحزن يصارع ترقيتها اللعين يريد افراغها من كل شئ الا منه , يريد ان
يؤثث لمدينة داخلها يرتع فيها , يريد ان تقطع حبال آمالها الواهية تلك التي تتلصص بين فينة
واخري علي هاتفها او علي عقارب الساعة , التي تدهسها دهنسا في كل حركة منها .

تري اتضع السماء نهاية لكل آمالها , احقا لابد لها ان تصدق بالامر الواقع وتوقع اوراق وفاة كل ما حلمت به , اعليها ان تلوح مودعة للسنوات الثلاث الماضية , ضاحكة كأنها لم تتناثر ولم تتمزق ؟ , اعليها ان تكون قوية ولا تصرخ ؟ ان تتجلد وتدعس بكعب حذائها العالي قلبه حتى تدميه ؟ يحق لها بعد كل شئ ان تصفعه مرات الي ان تكتفي , يحق لها الا تغفر يوما يحق لها الكثير , لكنها لا ترغب بأي من ذلك , هي تريده فقط ان ياتي اليها , ان يوقف هذه الدموع , ان تمتلأ به مرة اخري فتطرد الحزن بعيدا , تريده ان يربت علي خوفها , يمسك بيدها المرتجفة ويخبرها ان كل شئ سيكون بخير .

لماذا يتركها هكذا لاهثة ترتعد , يقتلعها القلق يعريها منها ويتركها جثة او بقايا , لماذا يتركها تغرق في اللون الاسود هي التي تكرهه الآن لأول مرة , لماذا لا يمسك بيدها ؟ الي اي حد يظنها سوف تنشب بالامل ؟ ! .

الي اي حد يظنها قد تتحمل ؟ ! , يعرفها , كم هي ضعيفة دونه كم هي محطمة وكم تحتاجه , كيف بمثل هذه السهولة يتركها للخوف ؟ , للحزن ولكل الاشياء السيئة لتضربها دفعة واحدة ؟ ! , كيف يتركها اسيرة لهاتف لعين , يتركها لقلب يشتعل , لليل وسهاد وافكار تخنقها .

اتراه لم يحبها يوما حقا ؟ ! كلما تذكرت نظرتة الاخيرة , رده الصاعق , جسدها المحموم الجالس امامه يتلقى حكما بالاعدام , الرعشة التي ضربت احشائها وعينيها اللتين فقدتا الرؤية , صوتها المحبوس وصرختها التي تجمدت في حنجرتها وجعا , كم كرهته في تلك اللحظة ! , وكم تكرهه وتجه الان ! , كم تريد ان تقتله ولا تريده الا ان يحيا , لا تريد ان تراه وترغب به امامها الان في

تلك الثانية حتي تشبع عيونها منه , دفعها الي التطرف فيه هي التي احبته باعتدال دائم , هي التي وقفت معه علي الحياض حتي لا تغرق , فيجذبها بذراعيها الآن الي اعماق الوجود , كأنه ينتقم لذنب لم تقترفه , لماذا تنتظره حتي ؟. لماذا هي متشبثة بالامل ؟ الي اين تريد ان تصل ؟ اين يدفع بها ؟ لم تعد تعي اي شئ

-اروي

اتي صوت ابيها من خلفها فالتفتت نحوه بعد ان مسحت خلسة دموعها , ابتسمت له وهي تنظر الي ملامحه المتعبه والشيب الذي غزا راسه , كم ترغب في عناقه الان ! , هو الذي احاطها بذراعيه طوال اعوامها الاثنتين و العشرين منذ توفيت امها في عمر السادسة , صار هو كل عائلتها , لم يتذمر يوما , بل منحها كل شئ بصدق بالغ وبحب لا ينضب , يراقبها بعيونه القلقة المتناعة , ليته يعرف سر دموعها ! لكنه يدرك ان اسئلته ستعود خائبة دون رد صغيرته تعاني من امر ما لا يتبينه ولا يفهمه , تري ماذا يدور في راسها تنهد قليلا ثم قال

-اروي .. ماهو قرارك , هل تقبلين بسامح او لا ؟

اشاحت بعينها بعيدا في محاولة يائسة لاستجماع بقايا شجاعتها , سامح هو تلميذ والدها النجيب , يحبه ويحترمه كثيرا , وعليها الان ان ترفضه , تسارعت انفاسها , واكفهر وجهها , تلك الكلمة تخنقها عليها ان تلفظها سريعا لتتخلص من ذلك الثقل ..

-لا

تلقي الاجابة في غير صدمة او ضيق , لماذا كان يتوقع انها سترفض بالتأكيد ؟ ابتسم لها مستسلما
وتركها مغادارا تاركا انفاسها الحيري تتخبط بجدران الحجرة .

اه يا حسام الي اي مدي تريدها ان تصمد !

لم يصدق حسام نفسه وهو يطرق باب غرفة والده , اتراه يفعلها حقا ويواجهه , هو يعرف النتيجة
مقدما لكنه سيحاول رغما عن ذلك , قضى ليلته وهو يفكر كيف سيفلت اروى بمثل هذه السهولة
, كيف يتركها لغيره هو الذي لم يحلم بسواها لكم تعني له اروى الكثير فكم كان يعني نفسه انه
سيعيد اليها رسالتها تلك يوم زفافهما بالتحديد ليخبرها انه في الحقيقة قرأها, ليس من السهل ان
يتخيل رجل اطفاله المستقبلين , لكنه معها تخيلهم ..بتفاصيلهم الصغيرة كم سيشبهونه او يشبهونها
, اطلق تنهيدة ودخل الي المكتب وقف امام والده وقال ..

- صباح الخير

رفع والده عينيه نحوه ورمقه من خلف زجاج نظارته بنظرة لاذعة بثت الخوف في اوصال حسام
اكثر , قطب ما بين حاجبيه وقال والده..

- اين كنت بالامس ؟

ابتلع ريقه والتقط انفاسه وقال دون ان ينظر في عينيه .

- في منزل خالتي ..

زاغ ببصره بعيدا واردف

- اريد التحدث معك في امر مهم , في الحقيقة انا في حاجة لمساعدتك

اعاد شكري الدمراوي المهندس ذو الستة والخمسين عاما ظهره الي الورااء متفحفا ملامح ولده , الذي يقف امامه مرتبكا راجيا , ألآن تذكر ان لديه اب يحتاج الي مساعدته ؟ , لا يظنه سيغفر يوما لهذا الطفل العاق خطاه , يوم وقف في وجهه والتحق بكلية الالسن دون علمه , رغم اصراره ان يدخل كلية الهندسة ليصير خليفة له , كيف تجرأ وخالف اوامره حينها ؟ , كان يشعر ان هذه هي اللحظة التي سيرد له فيها تلك الصفحة ..

-خيرا ؟

قالها وابتسامة خبيثة ترسم علي شفتيه , اخبره حسام متلعثما انه يجب فتاة ما ويريد خطبتها ..

رمقه بابتسامة واثقة وهو يراقب احتراق اعصابه المترقبة وقال بهدوء

- حسنا .. سأذهب معك ولكنني لن اقدم اي شئ , ثم اخبرني ماذا ستقول انك تعمل من اين لك بمال الخطبة والشبكة وسواهما , انا لن اعطيك شيئا , لن اضع اموالي في استثمار فاشل

-ولكن ابي انا حقا احتاج مساعدتك , ارجوك لا تفعل هذا بي

احقا بات يستطيع ان يتوسل الان هو الذي سبق ووقف امامه عنيدا ينظر في عينيه دون خجل ..

-هذا هو قراري النهائي , لا تحاول معي , والان اخرج من هنا ..

الان شفي غليله , حان الوقت لينال هذا الابن العاق عقوبته اخيرا بعد كل هذه السنوات هذه هي الفرصة التي لن تتكرر يوما .

لكن حسام لم يملك زمام غضبه , صرخ فيه بأسي

-ياقلبك , انا ابنك لست عدوا لك , اليس في قلبك شئ من الشفقة

وقف الاب وصدم قبضته بعنف بمكتبه , قائلا بغضب هادر

- كفي !! الان ادركت انك ابني , الان بعدما خالفت اوامري وخرجت عن طوعي , الان ,

ياحسام , لقد تأخرت كثيرا , لا تنتظر مني اية مساعدة , والان هيا اخرج من هنا

اغرورقت عينا حسام بالدموع , الي متي سيتحمل ذلك التأنيب وذلك الضغط الذي لم يتوقف مذ كان في السابعة , ظل والده يعامله كانه جندي في جيش ما , لا طالما كان صارما عابس الوجه , دائما ما يؤنبه ويصرخ عليه , كان يختار له كل شئ ويفرضه عليه , لكن حسام تعلم ان يكون متمردا مبكرا جدا , بمساعدة من والدته تعلم التملص من كل ما فرض عليه , كان يتسلل دون علمه ليلقي اصداقاه الذين منعه من رؤيتهم , او للعب العاب الفيديو التي صنفت ضمن الاشياء التي تهدر وقته , تعلم القفز من فوق سور المدرسة مع صديقه سيف , تعلم الهرب من كل ما الزمه به , حتي عندما اجبره ان ينضم الي كليه الهندسة , تصنع الطاعة وفاجته ببطاقة الترشيح التي تعلن انضمامه لكلية الالسن , كانت مواجهته الكبرى التي انطرد علي اثرها من المنزل ليقضي ثلاثة ايام في بيت اخته مروة المتزوجة التي تكبره بخمسة اعوام , قبل ان تشفع له توسلات امه ويسمح له والده بالعودة الي بيته كضيف غير مرغوب فيه , ضيف يواجه طردا اراديا هذه المرة , لقد اتخذ قراره سيخرج من هذا السجن , من هذا الجحيم الي غير رجعة , لن يسمح لايه بأن يراه منهزما , محتاجا اليه , لن يحدث .

طرقت الممرضة باب المكتب فأذن لها بالدخول , اخبرته ان هناك من ينتظره بالخارج , فتساءل متعجبا

- ظننتك قلتي ان المريض السابق كان آخرهم .

- لكنه ليس مريضا , يقول بأنه يريدك في أمر شخصي .

اسند حسن ظهره الي كرسيه , سائلا عن هوية الشخص الذي يأتيه لامر شخصي في مكتبه , فأجابت الممرضة انه رفض ان يطلعها بهويته , اخبرها ان تسمح له بالدخول , خرجت الممرضة تبحث عنه فوجدته جالسا علي مقاعد الانتظار , يهز قدمه في قلق واضح , اخبرته ان الدكتور حسن يانتظره , فابتسم لها ابتسامة مرتجفة , وسار نحو الباب تحت نظرات الممرضة المتفحصة متسائلة من يكون هذا الشاب فهي لم تعتد ان تري الا سيف وحسام يزوران الدكتور حسن فمن يكون هذا الغريب ؟

يتقدم خطوة ويدفعه التردد للتراجع الف خطوة , زفر محاولا ان يسيطر علي اعصابه , طرق الباب فأتاه صوت حسن من الداخل يسمح له بالدخول , فتح الباب ودخل , تسمر امام دهشة حسن من رؤياه , اصابه الرعب حتي اكثر مما كان , ارتبك , فشعر به حسن وابتسم له مسيطرا علي دهشته , وقف سائرا نحوه وصافحه مرحبا , دعاه للجلوس , فجلس امامه يتزايد خوفه , ويتفاقم ارتباكه , امام نظرة حسن المتفحصة عجبا من الزيارة الليلية وفي المشفي , تبادلنا حديثا وبعض المزاح , حتي قطعه هو قائلا

- اعرف ان المكان والوقت غير مناسبين لكن ..

ابتلع ريقه واكمل

- انا اتيت لاطلب يد اروي منك .

حملق فيه حسن محاولا ان يستوعب طلبه , كان بإمكانه ان يتخيل اي سبب للزيارة الا هذا حتما .

ابتسم هو امام دهشته وقال

- لو وافقت فسآتي ووالدي الي منزلكم لطلب يدها رسميا , لكنني اردت ان اسمع رأيك بالامر اولاً .

ابتسم له حسن محاولاً ان يسيطر علي انفعاله الزائد قائلاً بصوت تتسرب اليه الغبطة

- دعني اسال ارووي وسأخبرك متي تأتي .

اوماً برأسه متفهماً واستأذن لينصرف , ودعه حسن وعاد الي منزله , طرق باب غرفة ارووي ودخل ليجدها تقف امام الشباك ذات الوقفة كأن يوماً وليلة لم يمضوا بالفعل , كأنها جزء من لوحة زيتية , متجمدة ومتجمد كل ماحولها , تكاد تشعر بثقل ذرات الهواء التي تحيط بها كأنها تحمل هما .. ! ارووي لم تشعر بدخوله الي الغرفة , اين تكون غارقة الان , ليته يفهم ! ليته يعرف مايدور في عقلها الان ! , اتراه يخبرها عن هذا العريس ؟ لكنها سترفض حتما دون شك سيؤجل الامر اذا حتي تخرج من عزلتها هذه .

"الالم الكبير يجعلنا ارستقراطيين نعتزل الناس " هكذا يقول نيتشه , وتسير هي اثر كلماته دون ادراك , حبيسة هي داخل قوقعة لا تريد الخروج منها , لا تريد ان تسمع شيئاً ولا ان تري احداً شيئاً في داخلها تهشم وتكاد تسمع صوت دعسات الالم فوقه , اه يحسام اين تراك تكون الان ؟ لا يزال ذلك المشهد يتكرر امام عينيها , صوته يخترم ضلوعها كخنجر

- مبروك

ابتسامته الباردة , ورد فعله اللامبالي , كانا كفيلين ببعثرة الشئ المسمي ارووي في الهواء , انقلبت ملامحها وقد بدأ ارتعاش يتسلل الي اطرافها , تشعر بأن كرامتها ذهبت ادراج الرياح , توا دهسها هذا المسخ امامها , عيناها لم تعودا تتعرفان عليه بل لم تعودا تتعرفان علي اي شئ نهائياً , وقفت من

مكانها سائرة كمن هو تحت تأثير الموت, رعشة اشمزاز ضربت احشائها فكادت تفرغ ما في معدتها , لم يكلف نفسه عناء اللحاق بها , ابتعدت آملة في ان يناديها يوقفها يخبرها انه كان يمزح احد مزحاته الثقيلة , كانت قادرة علي الغفران حينها, كانت لتقبل بأي شئ لن يجعلها تشعر بهكذا الم , لكنه تركها تذهب رغم ذلك .

في منزل سيف جلس حسام محققا بالفراغ وهو يقص له ما حدث مع ابيه
-لن تصدق مقالته , يلهذا الرجل الن يتوقف عن قهري وحرمانى مما ارىد , الى متى سأتحمل هذا الجبروت هذا ليس ابا من المستحيل ان اصدق انه يملك قلبا بين ضلوعه ..

وضع حسام راسه بين كفيه

-رأسى سينفجر ..

تنهد سيف وهو يراقب وجه صديقه الممتقع وجبينه المقطب , كان يعرف ان قلب صديقه ملتاغ .
ويل لك يا حسام , كم يحاول ان يكبح جماح غضبه وحزنه حتى لا ينفجر فيه , كم يكره ياس صديقه وضعفه , وكم يكره ما فعله بأروى, كان هناك حين راها تبتعد عن طاولته جثة زائغة البصر , اقترب منه سيف ما ان ابتعدت عنه اروى ليساله عما يجري , فأجابه حسام ببرود .

- تقدم احدهم لخطبتها

حاول حينها ان يتفردس في ملامحه بحثا عن رد فعل , رد فعل لا بد ان يكون موجودا لكنه غائب عن هذا الوجه , كانت اول مرة يرغب في لكمة وطرحه ارضا , وحده يعرف تفاصيل الاعوام الثلاث

الماضية , وحده كان يشعر بوخز في قلبه كلما راى صديقه ومايفعل , واروي وماتفعل بنفسها , كان يعرف انهما سيصلان الي هنا , كم كان يشفق عليها من هذه النهاية , كيف لم تعرف ان هذا سيحدث كيف كانت عمياء ولم تري صديقه علي حق , لاول مرة يري تلك الفتاة غبية هو الذي كان يتق بعقلها كثيرا , لكنها مع حسام كانت تسير علي غير هدي , مذ فقدا بوصليتهما , وتعلقا بجبال واهية , لو سألتها مالذي يربطها بحسام لما عرفت الاجابة, الم يكن هذا يكفيها لتبتعد عنه , يذكر انه صرخ في حسام ساعتها قائلا

-بمذه البساطة , اهذا رد فعلك !!..

-وماذا تريد مني ان افعل اذن؟؟

صحيح , ماذا يريد ان يفعل , ماذا عليه ان يقول اي نصيحة عليه ان يوجه له , يقول لا تتخلي عنها , الحق بها, كان يعرف ان صديقه لم يكن ليفعل علي اية حال, الشئ الوحيد الذي ظل يطن في رأسه في تلك اللحظة هو الخوف , خوف مرير راح يضرب احشاؤه بلا هوادة , خوف جعل صورة واحدة تقفز الي رأسه, صورة نوران !

-سيف اين شردت !

انتبه اخيرا لحسام الجالس امامه في غرفة معيشته , لازال يشكو ابيه ويقص مقاله له ويتذمر ويتساءل ماذا عليه ان يفعل ..

- تحدث معها , لا تفعل بما هذا , الله اعلم بحالتها الان .

حملق في سيف ثم بالفراغ وقال

-وماذا اقول لها انا , ماذا بيدي لا داعي لان تتعلق بشخص مثلي .

وقف سيف وقد افلت زمام غضبه فعلا صوته

- تتعلق !! الا زالت سوف تتعلق , هل جنت ؟ ثلاثة اعوام ولم تتعلق بعد !!

فأجابه ببرود

- انا لم يسبق ان وعدتها بأي شئ , ولم اقل شيئا يجبرها علي التعلق بي .

جحظ سيف مقلتيه تنتابه رغبة لكي يتفل في وجه صديقه , كان يعرف انه في النهاية سيتصل منها كأنها لم تكن في حياته يوما , احقا كان لابد ان يخبرها انه يجبها حتي تتعلق به اكان لابد من وعد , ماذا عن كل ماكان هناك من ارق وقلق وترقب وخوف وغيره وغضب , اليست هذه وعود غير منطوقة الا انه فقط لم يقل احبك ؟

- انت حقير , حقا يا صديقي , تنتابني رغبة في لكمك حتي تموت.

كان سيف جادا ف حديثه فصره وصل الي نهايته , الخطا الذي تحمله لثلاث اعوام احتراما لصديقه , لم يعد يتحملة اكثر , خرج حسام غاضبا من منزله وفي داخله بركان لا يتوقف عن الغليان .
لاول مرة منذ اعوام يشعر انه وحيد الي هذا الحد , ضعيف وقليل الحيلة , ماذا عليه ان يفعل؟ , كان يتحدث الي نفسه وقد اتكأ علي سيارته والقي بنظراته نحو النيل الذي تعتريه ظلمة موحشة , سرت قشيعريرة في جسده وهو يراقب هذا الظلام البهيم , كم يبلغ عمق هذه الظلمة ياتري , كان يعرف انها بدون شك اقل كثيرا من تلك بين ضلوعه , اخذ نفسا عميقا فأنحسر بين ضلوعه وخرج مصحوبا بسعال انتفض له كله , اعتدل ف وقفته اخيرا وسار نحو مقعد وجلس يرقب النيل الهادئ بعينين زائغتين لم تذوقا طعاما للنوم منذ يومين .

ثلاث سنوات حتي اليوم لم تبرح اروي تفكيره ليوم او لساعة حتي، كانت معه في كل لحظة، احبها بصدق، لكنه عرف منذ اليوم الأول انه حب يفضي الي اللاشئ، لكم ارهقته انانيته ارادها معه وحسب دون اعتبار لمصيرهما معا او لقلبها الذي قد يحطم ، كره كل الاسئلة التي تناوبت علي عقله، اخرسها جميعا ، ولم يبق في داخله من صوت الا صوت نبضاته المتسارعة حين يلقاها، مأراد ان يفكر ولا ان ينظر ابعد من اللحظات التي يعيشها معها، امسك لسانه عن اي اعتراف او وعد يجعلها تتشبث به، لكنه دون قصد منه اطلق كثيرا من الوعود الصامتة، كثيرة هي الاشياء التي قالها باسم حبه المكبوت بين ضلوعه، جافاه الصمت في حضرتها، وكيف بالله يصمت والنبض الثائر يفضحه ، كيف وهو يعرف ان يوما سيأتي ويفقدها، فلما يدخر الحديث والي متي؟ تنهد في ألم، مالذي فعله بنفسه؟ كيف سيطفئ لب الشوق بين ضلوعه! كان يعرف منذ البداية انه سيخسرهما لكنه لم يتخيل ان يحدث الأمر مبكرا الي هذا الحد، ليس وهي تعني له كل هذا القدر، ليس والقلب يزوم في صدره توقا لرؤياها، اخرج هاتفه وبحث عن رقم هاتفها، تردد اصبعه طويلا امام زر الاتصال، ماذا يقول لها لو اتصل! بأي وجه يفعل؟ اللعنة علي هذا السامح، لما فعل بهما هذا! يذكر حين التقى به مرة في منزل أروي، لكم كرهه منذ الثانية الاولي، كان يعرف انه لم يعتبر أروي كأخته الصغري كما ادعي! وكأن منافسا واحدا علي قلبها لم يكن يكفيه، فبخلاف وليد صديق اروي المقرب الذي كرهه رغم انه لم يلتق به الا مرة واحدة هاهو سامح يحاول ان يسلبها اياه، اللعنة عليهم جميعا! الا تكفيه مشاكله مع ابيه لتعرقل مايبنه واروي؟ ، اتصل بها، وحده صوتها يمكنه ان يخرج من تلك اللحظة الحالكة ، اتاه صوتها بعد قليل من الوقت ، تنفس وشعر ان الحياة دبت في عروقه من جديد ، كان ظمآنا اليها ، هي هواؤه الذي انقطع عن رثيه ليومين كاملين ، اشتاقها كما لم يظن انه سيفعل يوما ، لا مجال للشك هو يحبها ، في اعماقه ترسم صورتها ، عينيها البنيتين اللتين لا طالما تاه فيهما ، وجنتيها اللتين كانتا تتوردان خجلا كل مرة امسك فيها يديها ، " ياالله كم اشتقتك يافناة!" ردد في داخله وهو يشعر بخفقات قلبه تتراقص علي اثر صوتها يقول

-ماذا تريد !!!

تساءلت وهي تضع يدها علي خافقها , تمنى لو قال اي شئ ستقبل بأي حجة سترضي مهما كان ما سيخبرها به , طالما لن يتركها لرجل سواه , طالما لن يسمح ان تموت مرة اخري ستغفر اي شئ , طالما لن يبعث مابقي متماسكا منها ,

- ماذا قررتي بشأن سامح !

لهذا اتصل! لم تعرف كيف تجيب كبل الغضب والخيبة لسانها, لكنها لا زالت تريد منحه فرصة , لاخر ثانية لذا قالت في خفوت
-رفضته ...

انتفض حسام , أكان سعيدا! ربما

لكن الشئ المؤكد الوحيد انه احس بالخيبة , بقليل من الغضب شعر انها تضعه ف اختبار , تخبره انها لا زالت متمسكة به , في اعماقه تمنى لو وافقت كان ليشفيه انه لم يملك فرصة , لكنه الان يملك , احس انه في ورطة وحده اقحم نفسه فيها , لها ان تصدق حججه لو القاها علي مسمعاها , وبما ستفيده الحجج؟ كفاها معه لثلاثة اعوام تذوق مر القلق والخوف امام ما كان اكيدا انها رآته في عينها , عرف انها تستشعر قراره الازلي انه سيتخلي عنها يوما! , معقدة حياته بما يكفي , وماعادت اروي تزيدها الا تعقيدا , فليكتفي بما بينهما الي هذا الحد وحسب! اعتصرت احشاؤه وهو يقول
-ساعدو ان يرزقك الله برجل افضل منه , انتي تستحقين هذا .

مرت دقيقة من الصمت قبل ان يسمع صوت ارتطام شئ ما علي الطرف الاخر وصوت حسن

يتردد صارخا

- رؤي ..

انتفض من مكانه مذعورا , لا اراديا قاد سيارته مسرعا الي منزلها .

كان ضغطها منخفضا , هذا مايقوله جهاز الضغط لكن حدس الابوة لديه يؤكد ان هناك شيئا آخر بل اشياء , تركها ترتاح وامسك بالهاتف الذي كان في يدها , كان اكيدا ان للامر علاقه به , سريعا فتح سجل المكالمات بحثا عن هوية من كانت تحدث ابنته حين فقدت وعيها

-حسام ؟

توقف عقله حين لمح الاسم , كل شكوكه كانت حقيقة استطاع ان يستنتج كل شئ في لحظة , قاطعه صوت طرق علي الباب فذهب وفتحه ليراه ماثلا امامه , شاحب الوجه فرعا , سحبه من ذراعه وادخله عنوة, اغلق الباب ودفعه الي الاريغة , وقال له بغضب اشعل رأسه

-ماذا قلت لابنتي حتي فقدت وعيها ؟!!! !

احمر وجه حسام خجلا وخفض راسه ارضا , يؤلمه ان تتحطم ثقة حسن به , حتي اكثر من ان تتحطم ثقة اروي , كان يجب حسن كثيرا اعتبره الاب الذي يصعب عليه الحصول عليه .

هزه حسن وهو ممسك بكتفيه .

-ياالهي كم كنت مخطئا بشأنك كيف وثقت بك ؟

دفعه بعيدا قائلا

- اذهب من هنا هيا ...

لكن صوتا ما اوقف النبض في قلبه وقلب حسام قبلا .

كانت اروى تستند علي الحائط , وتقول بصوت يشبه الهمس .

-ابي من فضلك اريد ان اتحدث معه لدقيقة .

-لن يحدث ؟

قالها بنبرة صارمة فاجابت بتوسل

-ارجوك . .

نظر لها حسن طويلا يتفرس في ملامحها في قلق بالغ، ولم يملك امام الرجاء في عينيها الا ان انسحب

علي مضض وسارت هي نحو حسام .

بقايا دمعة حبيسة تلوح في عينيه تعانق دمعة منهجرة علي وجنتها الذابلة فتسقط علي قلبه وتترك فيه

ندبة اثر احتراقه بدمعتها , كانت تسير نحوه مترنحة , وقفت امامه وقالت

- حسام .

احترقت انفاسه في صدره , ولم يجبها , مدت يدها وامسكت يده وقالت من بين دموعها

-لا تفعل بي هذا ارجوك !

قال بصوت مخنوق

- اروى ارجوك انتي لا تفعلي بي هذا . صدقيني انا عاجز , ليتني استطيع فعل شئ

- يا حسام ارجوك !

لم يجب فقالت

- حسام اخبرني انني لم اكن اتوهم طوال هذه الاعوام , اخبرني انك لن تتركني وحدي !! الم تكن تقول انك لن تدعني اشعر بألم في حياتي ! الم تقل انك ستحميني من اي شخص سيؤذي بي , احميني منك الان يا حسام ارجوك .

لكنه لم يقابلها الا بملامحه الجامدة , كانت تبحث في عينيه عن اي شئ لكنها لا تجد الا خواء , الغدر الذي لاطالما تراقص في عينيه وتجاهلته بكل ما أوتيت من قوة لما رأت من حب صادق بجانبه يقف اليوم في عينيه لا يجاوره الا الخواء وحسب، ما من شئ يشفع له لتغض الطرف عنه، لتتبع نفسها انما تتوهم، انه غير موجود، مالا طالما هربت منه يواجها الان رغما عنها ولن تستطيع مهما حاولت ان تفر !

كان يحملق بها وقد ادرك انه للتو فقدتها الي غير رجعة, النظرة في عينها لا تقول الا هذا , تمني لو سبته او فخرته لو فعلت شيئا يضع حدا لوجوده في الحياة من الاساس " افعليها ياروي خففي ذلك الثقل دعيني امضي ولا اعود , اجعليني اختفي للابد ."

لكل لحظة عذاب ضمير مرت معه , لكل ثانية وجع وخيانة احستها تجاه نفسها واييها , لاجل كل شئ استبدله هو بالخواء , لاجل كرامتها وتوسلها و بكاءها وألمها لاجل الثلاث سنوات الماضية هوت بكل قواها علي وجهه بصفعة مدوية دون بكاء دون خوف دون تردد فقط ببرود لوح من الجليد صرخت فيه

- اخرج من هنا , اخرج ولا تدعني اراك مرة اخري .

خرج حسام , تركها وذهب لكن ليس مع وجع او عذاب ضمير هذه المرة , كان والدها يراقب

من بعيد وعلي وجهه ابتسامة رضي سار نحوها

-أنا اسفة

قالت بينما تخفض راسها في خجل , فربت علي كتفها قائلا

- لا بأس حبيبي .. لكنني اريد ان اعرف كل شئ , كل شئ ياروي ..

ترقرقت الدموع في عينيها وقالت بصوت مخنوق

- لا داعي يآبي صدقني انا لم افعل شيئا خاطئا , القصة غير مهمة.

طوقها حسن بذراعيه , فراحت تبكي وتبكي وينتفض قلبه اثر بكاءها المكتوم .

العلقم

يوم وراء الاخر وحسن لم يحدد معه موعدا بعد , كل ما يقوله ان الوقت ليس مناسباً وحسب ,
حالما تأتيه الفرصة سيتحدث الي أروي ويخبره بموعد حضوره ووالديه , ليته يدرك كم ان الايام
تمضي بطيئة , يستيقظ في كل صباح يطالع هاتفه علي امل ان يجد رسالة منه دون جدوي , يكاد لا
يغيب الهاتف عن ناظريه هو الذي لم يكن يلقي له بالا قبلا , لانه يخشي ان يفوته الاتصال المهم ,
رغم ان لا بوادر تؤكد ان هذا الاتصال قد يأتي يوماً , تري رفضته اروي وحسن يخشي ان يخبره,
او يحاول ان يجبرها عليه ؟ سبح بنظره في السماء بعيدا , يحاول ان ينفث الضيق الذي يحاصر
انفاسه , ملّ الانتظار , والترقب , ويخشي اكثر ما يخشي ان انتظاره بعد كل هذا سيفضي الي خيبة
كبيرة جدا .

كانت الايام تمر بثقلها , مرة كالعقم , حزينة ومؤلمة . يمضي النهار طويلا , ويمضي الليل اطول بين
دموعها وآهاتها , شئ من الندم يلتهمها , ويترك ما بداخلها يتآكل , كان حسن يراقب ذبولها ,
يوماً وراء يوم , ينصت الي صوت بكاءها الذي تظن ان احدا لا يسمعه , حاول ان يحثها علي
الخروج مع سيف ونوران ظنا منه انها ربما تتحسن اذا استنشقت بعض الهواء وهكذا ظننا ايضا ,
لكنها تجلس ساهمة , تعبت بملعقتها في الطبق امامها , كانت مكسورة , شاحبة , عكس كل ما
كانته قبلا , راحا يتابعانها بنظرات الشفقة , حتي قال سيف

- اروي تناولي شيئاً هياً !

لا تجيبه انما تبتسم في اعياء , وتلتهم الحساء دافعة الملعقة وراء الاخري الي بلعومها , حاولا معها طويلا لكنها بقيت جامدة , لا يدرك اي منهما انهما يذكرانها بحسام اكثر من اي احد اخر وكيف وكل ذكرياتها معه مرتبطة بهما، كيف وهما يحملان شيئاً من عبقه، كانت تعود الي المنزل في كل يوم بعد خروجها معهما تالفة الاعصاب , تنفجر في البكاء , ترمي بما تطاله يدها , تركل قدمها في الجدار , تعتصر امعاؤها اثر مغص موجه , يصاحب شعور الندم المستمر , والقهر الذي لا ينتهي , تدفن رأسها في وسادتها وتصرخ , حتي لا يسمعها حسن .

لكن حسن كان قد وصل الي نهاية صبره حين لاحظ ان حالتها لم تكن تزداد الا سوءا , عليه اقتلاع ابنته والا فإن حالتها قد تتحول الي اكتئاب مزمن , بعد تفكير طويل طرق باب غرفتها ودلف جلس الي جوارها واضعا يده علي كتفها وقال :

- الا يكفي هذا يا أروي !

تماسكت وقالت

- انا بخير لا تقلق

- عزيزتي , الا تظنين اني افهمك بالقدر الكافي لاعرف ان كنت بخير او لا

استمسكت بالصمت ولم تتحدث الا دموعها فقال

-اثقين بي ؟

- بالتأكيد .

- هناك عريس آخر تقدم لخطبتك , وافقي رجاء.

وقفت مبتعدة عنه وقالت بصبر نافذ

- ابي ارجوك ليس مجددا

تحولت ملامحه الي الصرامة وقال بنبرة هادئة حازمة

- انا لن اترك ابنتي تدمر نفسها واقف انا مكتوف الأيدي , انا اثق انك فتاة عاقلة ولن تهدي دموعك علي شخص مثل حسام , عليك ان تخرجي من هذه الحال , انا اثق بهذا الرجل لذا ارجوك نفذي مااقوله

هزت رأسها معترضة فأكمل بنبرة حانية

- اروي , انا لا اعرف متي اموت , لمن سأتركك صغيرتي اخبريني , اريد ان اطمأن عليك مع رجل اثق به , اشعر ان اجلي واشك علي الانتهاء ..

قاطعته مندفعة الي ذراعيه قائلة

- لا تقل هذا ارجوك , اعدك اني سأفكر بالامر لكن امنحني فرصة .

- حسنا معك يومين وسأتصل به ليزورنا في المنزل .

-

مساء دق جرس هاتف اروي فأجابت , اخبرتها المريضة ان حسن فقد وعيه بالمشفي , انتفض جسدها وهي تركض خارج المنزل مدعورة , بالكاد استطاعت ان تحبر سائق الاجرة عن وجهتها اوقفت سيارة اجرة و انطلقت الي المشفي , سالت عن الغرفة, اخبرتها المريضة فاندفعت راكضة صوب الغرفة وارتمت علي جسد والدها مان راته علي سريريه في مشهد مهما تكرر امام عينيها فإنه لا يفتأ يصبح اكثر صعوبة في كل مرة تختبره راحت تبكي خائفة مدعورة .

- اروي هو بخير لا تقلقي

رفعت رأسها في دهشة تحاول تبين الصورة المهتزة بسبب دموعها قطبت حاجبها قائلة

- وليد !! ماذا تفعل هنا ؟ .

امسك بيدها وسحبها الي خارج الغرفة حيث اجلسها علي مقعد واحضر كوب ماء راحت تشربه
علي مهل بسبب رعشة يدها

- هل صرت بخير ؟

اومأت برأسها فقال

- لا تخافي والدك بخير وعكة بسيطة لا تقلقي.

ابتسمت وقد تسلل شئ من الاطمئنان اليها , وجه وليد دفع عنها بعض الخوف اذ كانت تثق به
كثيرا , لا طالما كان هناك في كل سقطة وخوف مر بها في الاعوام الاربعة الماضية , يربت علي
احزانها في حنان بالغ , يساند ضعفها , يهزأ من الحزن المتربص بها ويرسم باحاديثه العذبة ضحكة
علي شفيتها .

جلس وليد الي جوارها وامسك بكفها المرتجف , يبثها الطمأنينة , فابتسمت في اعياء وراخت رأسها
علي كتفه في وهن فقال

- دعينا نصلي العشاء وندعو له .

ابتسمت ارووي ووقفت معه سائرة الي مكتب والدها , توضأت ووقفت تصلي باكية تدعو الله ان
ينجيه , ما عادت اعصابها تتحمل الضغط , ثلاثة اعوام منذ اكتشفوا مرضه بالقلب , قضتها في
توتر مستمر , لا تكاد ترتاح من وعكة الا وتأتيه اخري تلزمه الفراش لفترة , حاولت معه مرارا ان

يترك عمله , لكنه كان يرفض في اصرار عنيد , فقد كان يجب عمله كثيرا , ولا يتخيل حياته دونه , هو الذي دفن نفسه فيه بعد وفاة والده اروي .

انتهت صلاحها وخرجت الي فناء المشفى تلتقط انفاسها , رآها وليد فسار خلفها متخبط الحطي , لا يعرف كيف يواسيها او يشد من أزرها , سبق واستهلك كل الكلمات التي يعرفها , في كل مرة سقط فيها حسن في وعكة كهذه كان هناك , يراها تذوب امام عينيه دون حول منه او قوة , جلست الي مقعد فجلس الي جوارها دون ان يقول شيئا , وكفاها انه في الجوار وعلي مقربة منها , فوليد مصدر الامان والطمأنينة , مصدر الثقة , تماما علي النقيض من حسام الذي ابقاها دوما متأرجحة خائفة من ان يستيقظ ذات صباح ويتركها , اما وليد فلم تكن تتأبها اي شكوك حياله , فقد كسب ثقتها علي مهل , ولم يحدث ان فعل ما يهز هذه الثقة يوما , شاكرة هي ان لازال في حياتها شخص بإمكانها ان تعول عليه وتثق به , انها تملك ذاك الشخص الذي تستطيع ان تغمض عينيها وتحتبأ في داخله واثقة ان ما من شئ بإمكانه ان يؤذيها .

رويدا تحسنت صحة حسن وعاد معها الي المنزل حيث كانت ترعاه وتعامله بحذر شديد , ماذا لو اصاب حسن مكروه ؟ , كان قلبها ينبض ويعتصر علي نفسه بمجرد مرور الفكرة علي خاطرها , اخبرها الطبيب ان ما اصابه كان بسبب تعرضه لضغط شديد , واستنتجت انها هي سبب هذا الضغط , قد يقتله خوفه عليها في يوم ما .

تمهل حسن عدة ايام قبل ان يسألها مجددا

- ايمكنني الاتصال بذاك العريس الآن ليأتي ؟.

اومأت برأسها في صمت موافقة , لم يعد هناك فرق ليحدث ما يحدث الان , النتيجة سيان في النهاية , ماعادت تستطيع ان تضغط علي والدها اكثر , ارادت له ان يرتاح ويسقط مسئوليتها عن كاهله .

التقط والدها الهاتف و تحدث الي ذاك الرجل القمي عليه التحية و سأله عن احواله , وطمأنه حسن عن صحته , بدا الحديث ودودا جدا , كأنهما صديقان , خطر ببال اروي ان والدها يفكر في ان يزوجها احد اصدقائه , ضحكت في راسها علي سخافتها وعادت تستمع الي حديث والدها الذي قال في نهاية مكالمته

- اراك الاسبوع القادم يا وليد في انتظارك

جحظت اروي مقلتيها في فزع وقالت

- وليد مروان ؟؟؟؟

ابتسم في حنان قائلا

- اجل وليد مروان نفسه

اغلق وليد الهاتف وانتفض عن السرير وفرحة عارمة تنعش كل جزئ فيه وجد نفسه يصيح لا اراديا ..

- اه اخيرا

ماجعل اختيه نور وعلا تدلفان الي الغرفة سريعا

سالت نور في قلق

- مالا مر ؟

فأجابها وليد

- اروي وافقت اخيرا

تجمدت نور في مكانها لكن علا جارتها في فرحته وعانقته سريعا , لم تحرك نور حتي قال هو ,

-نور ماذا يجري !!

-انت سعيد حقا!!

تنحني قليلا ثم قال

-جدا ...

عانقته نور متعمدة ان تضع راسها علي قلبه لتبين خفقاته , كانت متسارعة , لكن هذا ليس مؤشرا علي السعادة بالضرورة , فيما تفكر يا وليد ؟ سالت نفسها فيما جلست تراقب حماسه الجارف , ابتسامته التي تكشف عن اسنانه البيضاء في اصطفاها الانيق , ذرات العرق التي تتسلل من بين خصلات شعره الاشعث , معانقة جبهته السمراء , حاجبيه اللذين يقاومان في عناء رغبتهما في التقطيب , شفثيه اللتين تنفرجان اثر حديثه المشبع بالسعادة عن اروي , عن لقاءه المرتقب بالدكتور حسن الاسبوع المقبل في منزله , تراقب فرحة والدتها الغامرة , فوليد اخيرا اختار عروسه , فتاها ذو الستة والعشرين سيلحق كما يقول بزفاف نور توأمه ليتزوجا معا بعد ثلاثة اشهر , كانت دموع امها الفرحة والقلقة , الخائفة والمرتاحة بعد شقاء طويل تبعت علي البكاء , كم كان المشهد شهيا , مملوءا بعبق غادر هذه الاسرة منذ فترة , ربما من ذات النافذة التي رحل منها صخب وليد وحيويته

, ليخلفا وراءهما , شخصا كئيبا رتيبا , حانقا , عصيبا , يتشاجر ريشما تأتيه الفرصة , لكنه الآن عاد بمرحه الدائم , يتقاذف النكات هو وعلا , يربت علي كتفي امه في شبه اعتذار عن الفترة الماضية , وحدها كانت تعاني اشد العناء , كانت اكثرهم قلقا ولوعة علي حالته تلك , تري تصلح اروي كل شئ هي التي جعلته يبتسم مرة اخري واعادت شيئا من البريق الي عينيه ؟ ابتسمت نور اخيرا ابتسامة ارتياح ربما هي تستطيع حقا .

عاد وليد الي غرفته بعد سهرة طويلة مع امه واخيه , مد يده ليضع احدي اسطوانات الموسيقى , وفتح باب الشرفة ثم ارتمي علي الاريقة التي تحتل نصفها متلقيا هواء الليلة البارد , نغمة البيانو تنهادي فوق ذرات الهواء وتصل الي اذنه تطرق باهما رويدا وتدلف عبر خلاياه الي قلبه فتراقص نبضته الخافتة , يطلق نفسا هادئا ويغمض عينيه ويفتحهما علي مهل , يطلق نظراته صوب السماء الحالكة المزينة بنجوم تومض بين فينة واخري , ارتسمت علي وجهه ابتسامة عذبة , اخيرا تحقق شئ مما يريده , ماهذه الا خطوة , تلحقها خطوات , بعد كل هذه المحاولات المستميتة بعد كل هذه الهزائم اخيرا شئ ما يتلج هذا القلب الحائر .. ابتسم واخذ نفسا عميقا مليئا بالالم , فجأة زحف ذلك الثقل الي صدره من جديد , تري كيف تحتفي هذه الالام وتعود تطفو علي السطح مرة اخري !

لبعض الوقت تخلصت ذرات الهواء من ثقلها وانتعشت بجوية المفاجأة كانت تغادر رثيها وتعود تدلف اليها في تتابع وسرعة متخبطة باركان الغرفة الغرقى في علامات الاستفهام ! وليد يتقدم لخطبتها هي ؟ كم هي غريبة تلك الحياة وكم يمكنها ان تفاجأك حقا ! هي التي كانت تنتظر رجلا فيفتحم مكانه رجل اخر , تذكر لقاءها الاول بوليد , وقفت بقامتها القصيرة امامه

ترفع رقبتها لتنظر الي ذلك الشاب الطويل , متناسق الجسد صاحب العينين العسليتين , اللتين تلمعان تحت ضوء الشمس , يتلقي منها اوراقها الثبوتية حتي تنضم الي جريدة الجامعة التي كان يرأسها آن ذاك , حلق طويلا بمقالها القصير الذي كان ضمن الاوراق , علت وجهه ابتسامة ارتياح وقال وهو ينظر اليها نظرة ارهبتها .

- انت موهوبة .

لتبادله بابتسامة ثقة فهي كانت تعرف انها موهوبة حقا , لكنها اكتشفت لاحقا ان كلمة الشاء من وليد تعني الكثير هو الذي لم يكن يزفها بمثل هذه السهولة , كثيرا ماكانت تتلقي نقده اللاذع علي ذات المقال فتعيد كتابته مرات حتي تعلق وجهه تلك الابتسامة فتعرف انها اعجبته هذه المرة , لم تعمل تحت رئاسته سوي لعام واحد كان هو في العام الرابع في كلية الاعلام بينما لم تكن سوي طالبة بالفرقة الاولي في كلية الالسن لكنها اثبتت جدارتها واثبت هو انه معلم عظيم ففي العام الوحيد الذي عملت فيه تحت رئاسته تعلمت الكثير , تخرج بعدها , ليعود بعد شهرين الي الجامعة للقاءها حاملا خبرا مهما , جلس امامها يقول

- عرضت عليهم في الجريدة بعضا من مقالاتك وحازت اعجابهم , صديقتي يمكنك تسلم عملك منذ الغد ان شئت .

كانت جريدة حديثة الانشاء عمل بها منذ مدة , لم تصدق اروى يومها ذاك الخبر , تسلمت عملها بالجريدة , وهذا هو عامها الثالث فيها تعمل تحت كنف وليد ورعايته , رغم انه رئيس قسم الاخبار وهي تعمل بقسم الادب , لكنه كان دائم السؤال عنها دائم اللقاء بها , حتي حسن كان يحبه كثيرا ويثق به , سبق ان تعرفا علي بعضهما في احد حفلات الجريدة , لم يتوقف بعدها لايام عن الشاء عليه امامها , كان منبها به حقا , الهذا كان سعيدا حين وافقت !

لكن ايا من ذلك لا يجيب علي علامات الاستفهام بل ربما يزيدا اكثر , وليد كان بمثابة الاب
الروحي الذي يرشدها يوجهها يرعاها , لكنه ما اخبرها مرة انها تعني له اكثر من الطفلة التي تحمل
مسئوليتها لا اكثر , اتراه كان يجبها سرا طوال هذه المدة , هزت راسها في سرعة , هذا مستحيل ,
لا يعقل ! لكن سريعا ما يقفز الي راسها حسام الذي كان يتشاجر معها كثيرا بسبب وليد اذ كان
اهتمامه باروي يشعل فتيل غيرة حسام , يقولون ان رجلا وحده يفهم رجل وامراة فقط تفهم امراة
, اكان حسام يفهم وليد ويدرك انه يجبها لذا كان يرغب يابعاده عنها !

رغم انها كانت اكثر النظريات عقلانية الا انها كانت لا تصدق ايضا , تأففت ارووي ودفنت راسها
تحت الوسادة , بدا انه لا فائدة من كل علامات الاستفهام هذه فليحدث ما يحدث وليد او غيره ,
النتيجة سواء , هي حقا لا تهتم , وليد كما حسام بالنسبة لها ضرب من المرتفعات الشاهقة , ونحن
اذ نتحطم اجنحتنا لا تعود تغرينا المرتفعات كما كانت في السابق اذ تصير مصدر الم , محض محفزات
لذكريات سيئة تجهد الذاكرة , فتشوه نظرتنا للاشياء , كم نبقى نحن مثقلين بالماضي , وكم نقع
اسري لتلك الندوب التي يخلفها الالم في قلوبنا , حتي انها يجب ان تصير بطاقة تعريفنا الخاصة , كم
ندبة في قلبك يارجل , الف الفان ثلاثة الاف , لا بد ان نعرف بهذه الطريقة من الان فصاعدا ربما
لانها ستصبح طريقة اكثر صدقا من صور بطاقاتنا الشخصية التي لا تشبهنا في الاصل , او لعلها
تشبه بطريقة ما المسوخ المشوهة في داخلنا , لا بد ان تكون دقائق الالم التي مررنا بها اصدق من
اسماء نحملها منذ يوم مولدنا , لا بد وان يستبدلوا تواريخ ميلادنا بتاريخ اوجاعنا الاولي , فنحن لا
نولد حقا الا من رحم الوجد , فطالما اننا نتشكل من جديد ونصير اشخاصا آخريين , فلماذا نحمل
ثقل هوياتنا القديمة ؟ لماذا يتركون للماضي بطاقة تذكرة يعود يقفز عبرها الينا من جديد , يوما ما
ربما تقود مظاهرة لاجل هذا السبب , ربما في اليوم اللاحق لاعدام كافة رجال الارض , عدا ابيها
بالطبع .

تعلو وجهها ابتسامة ساخرة وهي تذكر قول ميشيل دي مونتين

"لاشئ يرسخ الاشياء في الذاكرة كالرغبة في نسيانها " , وهاهي تحاول دفع حسام عن ذاكرتها بأقصى ما تمتلك من قوة فيعود حاضرا بقوة اكبر , تكالبت عليها الذكريات واخذتها في دوامة تتقاذفها يمينا ويسارا , حاولت كثيرا صرف حسام عن ذاكرتها ومللمة ما تبعثر من روحها في محاولة يائسة لغلق هذا الجرح لكن دون جدوي , عبثا تحاول صفق الباب في وجه الريح العاتية .

الخيبة

ابتسمت في مرارة وهي تنظر لنفسها في المرآة وتمرر الفرشاة بين خصلات شعرها المشرببة بالماء ,
كم شحبت ملامحها في هذا الاسبوع , غارت عيناها , و انطفأت ملامحها , شئ فيها لم يعد يشبهها
, كم تغيرنا الفجيعة ؟

كم كانت غبية , خادعت نفسها رغبة في الا تشعر بألم , فأنتهي الامر بألم مضاعف , اليست هي
التي كان خوفها من حسام يقض مضجعها كل ليلة , الم تتآكل تحت تأثير صرخات عقلها الذي
يدفعها بعيدا عن الهاوية فلا تزداد الا اقترابا , حسام كان واضحا , لم يقل يوما انه يحبها , لكنها
اكتفت باعترافاته الصامتة , فسرت كل شئ كيفما شاءت , ارادت ان تصدق انه احبها حقا وربما
فعل لكنه كان واضحا انه حب لن يؤدي الي اي مكان , تذكر حديثهما ذات مرة حين اهداها باقة
الورود التي اخبرته يوما انها تريدها

قالت له في حب

-الي متي ستحقق لي احلامي , ماذا تركت للرجل الذي سأحبه

كانت تخبره همسا بين حروفها , انه رجل احلامها فقال

-تركتك انتي .

باللمرارة التي كانت تحملها كلمته , والاسي الذي غرقت فيه نظرتة , كان يقولها بفائض وجد
وحب لا تعرف لماذا ينتفض في عينيه قهرا , قالها وتلتها تنهيدة معذبة , كريح صيفية محملة بتراب

يعكر صفو انفاسه صدقت يومها انه كان اعترافا صامتا بأنها ستكون خسارة كبيرة بالنسبة له ,
والان تنتبه انه لم يكن سوي اعتراف انه ستركها مهما كانت الخسارة كبيرة , عجيب هو منطق
الحياة تبقي ملتحفة بالغموض حتي تلفظنا وحينها يبدو كل شئ واضحا , ففجأة تجد اجابة علي كل
اسئلتك التي حيرتك طويلا اجابات صادمة صارمة قصيرة واضحة ومؤلمة , لا تتضح الصور حقا الا
عن مسافة , تنفست في ضيق , تري حتام تظل ذكرياته تطل من نوافذ روحها لتبتث فيها الاسي ؟
اليوم مساء يأتي وليد لخطبتها , وربما قريبا يحتنق اصبعها بخاتمته , وربما ترف اليه بعد فترة , ماذا
عليها ان تفعل وعيني حسن ترمقأها عن بعد و تمتلآن بالخوف , اه من شرايينه المتصلبة , وقلبه
الضعيف , كم تخاف عليه , وكم يخاف ان يتركها وحدها , تلك الامراض التي ترتع في جسده
وتوشك علي الفتك به بين ثانية واخري تبقيه عاجزا , قلقا امام ابنته اليافعة التي لا تملك بعده من
احد , لا طالما كان خوفه الاكبر ان يفلت يدها ومامن يد اخري تربت علي كتفها وتحميها , وكان
خوفها هي الاكبر ان تفقده , طوال اعوام عمرها تبادلوا العناية ببعضهما , كانت طفلته المدللة تارة
, وامه تارة , وصديقتة تارة اخري , يعرف انه دون قصد منه او منها حرمها طفولتها , هي التي
حاولت منذ الازل الا تثقل عليه , او تؤرقه بمساكلها او ترهقه بمطالبها , بل شاركته مسؤولياته ,
واعنتت هي به ما ان اشتد عودها , يكره قسوتها علي نفسها , هي التي نضجت قبل العمر بعمر ,
ورغم ذلك لا زال يري في عينيها دموع طفلة السادسة التي وقفت امام غرفة والدتها تري نزاعها
الاخير مع الموت قبل ان يزهد روحها , ربما تكون ابنته قوية , بل قوية جدا , لكنه يعرف انها في
اعماقها ضعيفة , محض روح هشة , و قلب ملئ عن آخره باحلام الطفولة المخنوقة , يعرف ان
اندفاعها وحيويتها ما تفجرا فيها الا بعد ان دخلت الي الجامعة حيث التقت بوليد الذي اعتني بها
رغما عنها , ورغما عن عنادها , اعادها طفلة , ما كانت تفكر مرتين قبل ان تلقي بأثقالها علي
كتفيه كما كانت تفعل مع حسن , ماشعرها اهتمام وليد بالذنب , كما فعل اهتمام حسن , اجج
الطفولة النائمة في جنباتها , نقل لها عدوي صخبه وعناده وحيويته , او لعله ايقظهم فيها وحسب ,

لهذا كاد قلب حسن يقف لفرط سعادته حين زاره وليد بمكتبه بالمشفي طالبا يد اروي , كان هذا تحديدا هو الرجل الذي اراده لابنته , سيأمن عليها معه , وليد وحده سيفهمها , سيعرف كيف يعاملها , سيوفر لها العائلة التي تتوق اليها والتي يظن حسن انه مااستطاع ان يوفرها لها ابدا رغم انه ظل يحاول .

فتح صنبور الماء البارد فوق رأسه , اغمض عينيه وحبس انفاسه وترك الماء يبرد راسه المحموم , لعل ضجيج ارتطام الماء فوق راسه يوقف ولو قليلا زحام الافكار, اخيرا اغلق الماء , ارتدي ثيابه وخرج منتعشا قليلا , قابلته نور اخته مبتسمة فابتسم لها ابتسامة ناعسة , عاد الي غرفته , والقي بنفسه علي السرير وقد فرد ذراعيه الي جواره , واطبق اجفانه الساهدة منذ ايام , والمشتاقة للنوم بشدة , مرر يده فوق وجهه في ارهاق , فشعر بلحيته غير المشذبة , نفت في ضيق , ووقف امام المرأة , جذب ماكينة الحلاقة , وبأيد ماهرة مدربة صار حليق الذقن , ابتسم ابتسامة باهتة والتقط حلته من الدولاب وارتداها وخرج الي الصالة .

ابتسمت له نور التي تراقب تعبيره الباهت , كانت امه تقول شيئا ما وسط فرحتها الجارفة لكنه لم يجب , اطرق صامتا وسبقهم الي سيارته , ادار محرك السيارة وجلس فيها, اسند رأسه الي المقود وراح يطرق فوقه باصابعه , التوتر يعبث بأعصابه , والتساؤلات تعصف به , لاحت منه التفاتة الي نفسه في المرأة ليلمح ذاك الحزن الصامت , يناجيه بحديث مكتوم , اصمت ايها القلب , اشاح ببصره بعيدا , ليت الليلة تمر بسلام , سيطر ياقلب علي نبضاتك الثائرة .

قال وليد لاروي الجالسة امام مكتبه

- ناوليني ذاك الملف الازرق

رفعت ارووي بصرها الي حيث اشار وليد فانتهت الي ان الملف كان في الرف العلوي للمكتبة , لوت شدقها في حيرة عادت بنظرها الي وليد المنهمك فيما بين يده , تنهدت ووقفت سائرة الي المكتبة رفعت يدها الي الملف فكانت النتيجة كما توقعت لم يكن بإمكانها ان تطاله , زفرت في ضيق وقالت

- وليد انا لا ...

قاطعها دون ان يرفع رأسه قائلا بحزم

- الملف رجاء

لم تنتبه ارووي لابتسامته العابثة عقدت ذراعها امام صدرها تفكر كيف ستحضر له الملف , رفع عينه ونظر الي ملامحها المختارة متلذذا ثم وقف سائرا نحوها وهو يقول

- اه يا الهي , جدي حلا لطولك هذا ياأرووي والا لن تتزوجي ما تبقي من حياتك

مد يده والتقط الملف ونظر لها فقابلته بنظرة مغتظة فانفجر ضاحكا

- هل انتهيت ؟

هز رأسه مؤيدا ليكنتم ضحكته لكنه لم يستطع فانفجر في الضحك من جديد , رفعت سبابتها في وجهه وقالت

-قلت لك لا تمازحني بشأن طولي مجددا انا لست قصيرة انت الطويل جدا ايها الاحمق

امسك وليد بسابتها وثبت نظرتة بعينها قائلا

- بل انتي القصيرة ولن يقبل رجل بك ابدا هل نضع رهانا ؟

ابتسمت ارووي في تحد واضح وقالت

- اراهنك ...

افاقت ارووي من الذكري التي مر عليها ما يزيد عن ثلاث سنوات علي صوت زغرودة ام وليد الجالسة الي جوارها فقد اتفق والدها ووالد وليد علي ان تكون الخطبة الاسبوع القادم وعقد القران ايضا , ثم يتزوجان بعد ثلاثة اشهر في ذات اليوم التي تتزوج فيه شقيقة وليد التوأم نور , كان وليد مصرا متعجلا , عندما سمعت نبرة الاصرار في صوته رفعت عينيها نحوه , " ماذا تريد يا وليد ؟ ماسر هذا الاصرار؟ " كانت تساله بعينها بينما هو غارق في حديثه مع والدها , شعر بنظراتها المصوبة نحوه فالتفت اليها , لثانية قصيرة دبت المرارة في اوصالها فخفضت بصرها , ابتلع ريقه بصعوبة وهو ينفث في اسي , عادت الذكري لرأس ارووي فابتسمت ساخرة حين انتبهت ان وليد هو الذي خسر الرهان السخيف بل خسره بملاً ارادته !

" كل شئ يشبه كل شئ لا يهم "

كادت تقول ذلك وهي تلقي بنظرة علي خواتم الخطبة , التي كان لابد وان تختار احداها , اختارت اخيرا احداها باهمال ونظرت ليدها حتي تضعه فيها لتلمح خاتم حسام الفضي الذي اهداها اياه في عيد مولدها الماضي , كان يجلس الي جوارها علي مقعدهما المعتاد , امسك بيدها واخرج علبة من جيبه اخرج منها الخاتم، وادخله في اصبعها وسط دقائق قلبها المضطربة ووجنتيها اللتين توردتا

خجلا , لم تنتبه له اذ قرب يدها من شفثيه وطبع قبلة عذبة عليهما , توترت واجتاحها الارتباك ,
خفق قلبها بقوة ونزعت يدها سريعا وراحت تفرك في اصابعها بتوتر مستسلمة للشعور اللذيذ الذي
غمرها كلها , همس في اذنها وقتها قائلا

-يوما ما سيتزين هذا الاصبع بخاتم ذهبي لامع اعدك .. نظرت اليه في دهشة , ولم يكن ذاك سوي
تصريح اخر اخطات تفسيره , افاقت من شرودها وهي تحملق بالخاتم في سخط وحنق نزعت من
يدها كأنه يخنقها , كانت ملتاعة ووجهها ينم عن غضب شديد , ابتلعت ريقها حين شعرت
بنظرات وليد ووالدته المسلطة عليها , حاولت ان تصرف نظرهم في ارتباك واخذت تقيس الخاتم
وتريهم اياه وابتسامه مزيفة واسعة تحتل وجهها , لكن وليد كان يتفحصها بنظراته , التقت عيناهما
لبرهة , فارتبكت واشاحت بوجهها بعيدا , شئ في داخله لن ينسي كم الكره الذي اعتلا وجهها
وهي تحملق في ذلك الخاتم , لم يسبق ان رأي تلك النظرة قبلا , هل تطالعه بذات الطريقة يوما ما ,
كم تمني الا تفعل !

انجست انفاسها ما ان طوق خاتمه اصبعها تعال صوت الزغاريد مخترقا طبلة اذنها فكادت تصرخ
هلعا , اختنق الهواء في رئتيها وضاعت ملامحها حتي لكزتها صديقتها نوران التي كانت واقفة الي
جوارها ومدت يدها بخاتم وليد امسكته اروي ع مضض ودسته في اصبعه بتوتر واضطراب ليتعال
صوت الزغاريد مرة اخري , ثارت كل حواسها ولفحتها نيران الدموع العالقة في عينيها مكابرة ,
اذ لم تعتد ان تسمح لها بالسقوط امام الاخرين , لا طالما كانت قوية , او كانت تدعي انها كذلك ,
بعثرت نظراتها يمينا ويسارا هربا من ان تفضحها غمامة الدموع التي تغطي عينيها , كان وليد يحملق
بالخاتم الفضي في يمينه في وجوم ازال الابتسامه المصطنعة التي ارتسمت علي وجهه طوال السهرة ,

ثم رفع نظره صوب اروى فى غير تصديق ، ارتسمت ابتسامة لاذعة على شفثيه ، شعرت اروى بجرارتها فرفعت نظرها صوبه وبادتله بابتسامة اشد مرارة تغزو ملامحها ما إن تتابها وعكة بكاء ، ظلت نظراتها معلقة لبرهة ، تبث اروى حزنها الصامت وبيث هو اسفه وعميق وجدده وخبثه ، ووسط كل هذا لمعة سعادة تلوح فى افق عينيه بين فينة واخرى ، حاول ان يتماسك فالمهم انه حقق ما ارادا ، لما كل هذا العبوس اذا ، لكن مازاد حيرته هو نظرات اروى المتعبة اليائسة ! . شعرت اروى باستجوابه الصامت فهربت من عينيه ، والتفتت الى نوران تمازحها بأى حديث ، اى شئ يبعد هذه النظرات التى تكاد تخترقها كاشفة عما لا تريد له ان يفتضح !

" تماسكى يافتاة " ، همس سيف فى داخله وهو يرمق اروى باسى عن مسافة ليست بالبعيدة جالسا بجوار حسن الذى راح يلقي النكات مرة فأخرى ، التفت له سيف ضاحكا على اخر مزحة القاها ، وبادله حديثا خفيفا ، كان سعيدا بعلاقته وحسن هو الذى توفي والده منذ ست سنوات ، كان حسام هو اول من وقف الى جواره وقت الازمة ، كم كان منكسرا و كم تملكه السخط والقنوط كأن الحياة سرقت كل طاقته فلم يعد يرغب فى العيش يوما اخر ، انهار لفترة ليست بالقصيرة ، وهو يجد نفسه قد انتقل من وصاية ابيه الى وصاية اخيه الاكبر ، شئ اوغر فى صدره وخلف ندبة لم تمحي يوما ، يالها من ايام قاسية الله وحده يعلم كيف تحمل سطوة اخيه وبطشه ، كلماته الغاضبة وصياحه على مايجب وما لا يجب ، كان مشتاقا لابيه ، كم حاول التماسك حتى لا يسقط صريع الالم بين يدي امه ، اراد ان يبقى متماسكا امامها ، لم يشأ ان يسمع اخاه يتهمه انه مراهق وضعيف ، ولذا ورغم كل هشاشته ، كفكف دموعه عن ناظري امه ، واذ به يسكبها امام حسام او حين يحتلي بنفسه ، حسام ايضا كان كثير الشكوى بشأن والده ولم ينصت يوما لسيف الذى كان يردد دون كلل انه مستعد لان يتحمل اضعاف مايتحمل حسام من ابيه طالما سيبقى على قيد الحياة لكنه لم يفهم ولن يفهم يوما ، ربما بدأت شكوى حسام ولوعة سيف تهدآن حين التقيا بأروى وتعرفا على

حسن , وقتها كان مريضا قد اكتشفوا اصابته بالقلب منذ فترة , كانت اروى في حالة يرثي لها , وحسام وقف الي جوارها وساندها بينما اكتفى سيف بحرقه قلبه وهو يشاهد شخصا اخر علي وشك فقد ابوه كان حزينا لاجلها يدعو سرا ان ينجيه الله , ونجا بالفعل .

من وقتها توطدت علاقة حسام وسيف به وصار يعاملهم كأبناءه ووجد كلاهما ضالته فيه , سيف وجد والده المتوفي وحسام وجد اباه الغائب الحاضر , اه حسام ماذا فعلت بنفسك يارجل ؟

عاد يحملق بأروى وهو يدرك ان ابتسامتها مزيفة ككل شئ في هذه الليلة , لكن مالبيد حيلة اليس هو من وقع قبل دقائق بيد مرتجفة علي عقد قرانها كشاهد علي عقد تكون العروس فيه اروى والعريس رجلا لم يتخيله قط ..

- وليد مروان .. ياللعجب , من كان ليتخيل , اكانت شكوك حسام في محلها اذن هو الذي كان يتشاجر مع اروى كثيرا بسببه , يا لحظك يا وليد فزت بالجوهرة الثمينة وتركت الجميع يغادرون خالي الوفاض , تاركا القدر يسخر منهم ومن عبثهم اللامنتهي للفت نظر الفتاة التي صارت الان زوجتك , كيف اقنعتها ياتري ! كيف جعلت تلك الجمجمة تلين لك , انا واثق ان قلبها لم ولن يلين يوما , لكن كيف اقنعتها .

كان سيف يحادث نفسه في صمت , حتي لاحت منه التفاتة الي الفتاة الواقفة الي جوار اروى تضحكان وتتبادلان الحديث وسط الضجيج , غض بصره سريعا ثم لاحت ابتسامه فرحة علي وجهه , نوران , حبيبة القلب , خفقة القلب التي تنبض وتنبض دون توقف , شعر ان ثقل افكاره المحملة باروى ووليد وحسام وحسن واخيه وكل الناس والاشياء قد انزاح عن كاهله , عاد الهواء يداعب رثيه طاردا منها ذلك الهم الثقيل ولانت ملامحه وفكت عقدة حاجبيه واعتدل تقوس فمه لتحل محله ضحكة عذبة , لا يضحكها الا في وجودها هي , تحسس بنصره الايمن , ثم رفع وجهه نحوها

مندهشاً ساخراً من نفسه , لقد نسي أنها زوجته , لقد صار من حقه ان يطالها كيفما يشاء ووقتما يشاء , كاد يفقهه ساخراً من نفسه التي فعلت ماكان يتكرر بحكم العادة , ثلاث سنوات مرت والمراقبة الصامتة لا تنتهي , كان يكتفي منها بالنظرة الاولى ولا يرفع نظره صوبها مجددا , كان يعرف ان هذا ليس من حقه , كم كان يتلوي الما واشتياقا , لابتسامتها , لعينيها , لوجنتيها المتوردتين لكنه تحمل في صمت وصبر , اخر ماكان يريد ان يقيد بها بخيوط واهية وان يطلق وعودا وحده القدر يحدد ان كان قادرا علي تنفيذها او لا , احبها بصدق فابتلع عنوة كل اشتياقه ولوعته وهفته لاعوام ثلاث , ظل ظمآنا , لكنه تحمل ونجح فهاهي حبيبته , تطالعه بحب وبابتسامة خجولة فييادها القلب قبل الجوارح بابتسامة كانت حبيسة طويلا وحن الوقت الذي تشرق فيه .

بعض الاحيان يصبح كل ما تستطيعه هو ابتلاع واقعك المرير في صمت والتماسك بأقصى ما يمكن ان تسمح لك قواك هذا ان امتلكت قوة ! هكذا شعرت اروي وهي تسمع وليد يغلق باب حجرة الضيوف خلفه ويدلف الي الداخل , كانت تنظر من الشباك الي النيل الذي يبدو انه يشاركها البكاء , وقف يراقب شرودها لا يعرف ما عليه ان يفعل لكنه ادرك انه لو لم يجلس ويتحدث معها الليلة فإن هذا سيثير شكوكا هو في غني عنها تقدم نحوها , فارتجف قلبها , تمسكت بنظراتها الوجلة صوب النيل , تطلب ال غوث , وقف الي جوارها واضعا يديه في جيبي بنطاله دون ان يقول شيئا , بدا انه وجد المشهد مريحا , حقا كم يمكن لبعض الجمادات ان تمنحك راحة اكثر بكثير من كل البشر , الان يصدق هذه الجملة , سحب نفسا عميقا عبر النافذة المفتوحة فدلف الهواء عبر انفه منه الي رثنيه مداعبا .

- ياله من شهد !

غادرت الجملة حنجرته من حيث لا يدري , ابتسمت مصدقة علي كلامه نظر نحوها وبادلها الابتسام ثم عاد يفرغ نظراته في تلك اللوحة الليلية المفعمة بالالوان , صورة قديمة برزت في ذاكرته في تلك اللحظة , كانت ارووي في ذلك اليوم قبل عامين في احتفال الايتام , اثناء لعبة التراشق بالالوان , يذكرها مخبئة من عيون الاخرين التي راحت تبحث عنها اذ كانت اللاعب الاخير باللعبة , يذكر كيف استدرجها لتخرج لينتهي الامر وقد اغرقها بالالوان التي سالت من راسها حتي اخص قدميها وسط دهشتها وغيظها , جعلته الذاكرة يطلق ضحكة , فضحكت ارووي بخفوت وسالته عما يضحك فقال

- اتذكرين يوم الالوان ذاك , يا الهي لن انسي منظرک وانتي غارقة في الالوان , كانت لوحة مدهشة بحق .

هاهو يعود لهوسه القديم في استفزازها , كم كان يتفنن في دفعها الي حافة الجنون , حتي تظهر تلك التعابير الطفولية المغتظة علي وجهها , تماما كتلك التي ارتسمت علي وجهها في تلك اللحظة وهي تقول

-لقد كان فوزا غير شريف بالمرّة

تماما كالايام الخوالي, اندفع بوجهه نحوها قليلا قائلا

-يا الهي الن تعترفي يوما انني هزمتك؟؟

اندفعت بدورها قائلة وقد ضيقت عينيها واحتل صوتها النبرة المغرورة ذاتها

-لا

اندفع اكثر قائلا

-مغرورة

كادت تندفع نحوه لكن وجهيهما كانا قريبين بالفعل , اعترتها ارتعاشة , ابتلعت ريقها في توتر
وغضت بصرها , وقد تخضب وجهها بحمرة الخجل , انتبه وليد وتراجع مضطربا , يصبو نظراته
العابثة المرتبكة , الفارغة نحو النيل .

"تماسك ولا تطلق العنان لنفسك " قالها وليد لنفسه , وقد ثقل الهواء في رئيته اثر الشحنات التي
امتلاً بها الجو .

في صمت جلسا يتناولان الطعام , خاصة ارووي التي اعتادت ان تنفس عن توترها او عصبيتها في
الطعام , من الجيد انها كانت دائمة الحركة مما حافظ علي جسدها رشيقا يميل الي النحافة , رفعت
نظرها صوبه اذا أطرق برأسه وصبو نظراته الي الطبق امامه , وقع بصرها علي شعره الذي قصه
لاول مرة ليكون قصيرا , ورغم انه راقها كثيرا , واعطي ملامحه شيئا من الجدية اكثر مما كان عليها
, لكن شوقا اعترها الي شعره الكثيف , الذي كانت اصابعه تتخلله حين يفقد اعصابه , كادت
تسأله لماذا قصه , لكنها ابتلعت سؤالها في صمت مشوب بالخجل , ابتسمت ساخرة , وهي تذكر
في الامس القريب حين لم تكن سوي صديقتة , ولم تكن تخجل عن سؤاله عن شئ ما اما الان وهي
زوجته , فلما تقف كل هذه الجدران بينهما؟؟ , عادت تنفث غيظها في الطعام فحرر وليد بصره ,
حين شعر بنظراتها قد ابتعدت عنه اخيرا , لم يملك نفسه من المقارنة بين ارووي الصامتة الهادئة
الجالسة امامه , وتلك الحيوية , البراقة , الشغوفة , تلك الفتاة المفعمة بالحياة والتي تشع بريقا ,
تلك الثرثرة الملولة , متقلبة المزاج , حادة الطباع , قوية الشخصية , والتي تملك بين عظام جمجمتها
الصغيرة عقلا لا طالما كان يحترمه وبشدة , كاد يسألها عما اصابها , لكنه صمت , عندما تنبه عقله
لتفسير اربكه كثيرا , " ارووي ليست علي سجيتها لانها تخجل منك " , نفص رأسه وهو يبعد
الكلمة عن عقله رافضا ان يستوعبها .

وهكذا انقضي العشاء صامتا الا من بعض الجمل القصيرة المبتورة , والنظرات الحائرة الشائكة التي شيعته اروى بها , عائدة الي غرفتها تلتقط انفاسها بعدما انجست طويلا .

مدّ يده وتحسس وجنته في ضيق واسف , متضايق لانها صفعته بهذه الطريقة وعلي مرأى ومسمع من حسن , وحزين لان اليد التي لا طالما عانقها بيديه ارتطمت بوجنته بمثل هذه القوة وبكل هذا الوجد , لازالت نظرتها تبعث في قلبه المرارة و القهر , محتلة صفحة الذاكرة بل كل الصفحات , لا يكاد يفكر في اي شئ الا وتقفز هاتين العينين وتتوسلانه مخلفتين الما مبرحا في روحه , قد تكون هذه المرة الاولي التي يجرب فيها الام الروح !! ماكان ليتخيل انه سيشتاقيها الي هذا الحد , او انه حتي يجبا الي هذا الحد , لعينة هي الاكتشافات المتأخرة , تدفع بك الي الجنون , تدفعك لمواجهة مع نفسك لم تكن لتتخيلها , الان وقد اصبح لكل الاشياء تفسيرات مختلفة , لكل اللحظات معان اخري , اكثر صدقا , اكثر عمقا في القلب والروح , تتخذ الاشياء بعدا اخر في عينيك , ويصبح لها طعما وشكلا اخرين , تتمني لو انك تعود وتعانق كل ثانية بشغف اكبر , لو يمتد الماضي الي اخر العمر , لو يزداد عمر كل اللحظات , لو تتضخم وتدعك غارقا فيها الي مالا نهاية , فقط لو تأتيك الفرصة لتمحو كل الاخطاء , وتمحو كل ماسببته من الم , لكن الاكتشاف المتأخر يدعك تتمني فحسب الي ان تتاكل او تصدأ امانيك .

من ذا يصدق انه قد مر كل ذلك الوقت منذ النقيا اخر مرة , يبدو كدهر طويل قضاه هو في الاسكندرية في منزل خالته , هربا من كل شئ، بعيدا عن كل شئ , كم حشته علي التحدث لايه مجددا او حتي التحدث لاروي لكنه ادرك الا جدوي من كل ذلك فاستسلم وترك التيار يجرفه بلا ادني مقاومة , فقط صورة اروى تلوح في الافق , ولا شئ غير ذلك .

الحيرة

-تصبحين ع خير

قالها سيف وهو يمرر بيده علي وجنة نوران التي ابتسمت منسحبة في خجل وهي تتمتم

- "وانت من اهله"

اسند رأسه الي مقعد السيارة يتنفس بعمق وسعادة يراقب طيفها حتي اختفي، اغلق عينيه يريد الاحتفاظ باخر صورة لها في رأسه ، لا زال لا يصدق انها ملك يده بعد تلك السنوات ، اخيرا يتوقف سيل النظرات المقهورة وضربات القلب القلقة ، فمحبوبته خضراء العينين ببشرتها التي تميل الي سمره شهية تضيف الي جمال وجهها الدائري النابض بالحياة جمالا ، تلك الملامح التي يحف ظها عن ظهر قلب ، صارت ملكه، بات بإمكانه ان ينام قريير العين لا يرهق الخوف انفاسه .

" اه ياقلب تحكم في نبضاتك المتسارعة " ، وضع يده علي صدره يحبس انتفاض القلب المجنون ، سيشكر حسام لاحقا فلولاها لما تشجع وطلب يدها ، يذكر حين اخبره حسام عن خطبة اروي ، اعتراه الخوف وصورة واحدة تصدع لها قلبه ولم تكن الا صورة نوران واقفة امامه تناوله بطاقة دعوة لزفافه ، هالته الفكرة ارتعب ، وشحن جسده بالادريينالين ، دبت شجاعة خفية في اوصاله دفعته ليسير نحو نوران الجالسة علي طاولة قريبة في كفيتريا الكلية وسحب كرسيها وجلس امامها وسط علامات الدهشة التي ارتسمت علي وجهها قال

-اريد رقم والدك

-عفوا !!!!!!!

-رقم والدك هيا

قالت غير فاهمة

-والد من ...اي رقم !!

-يالهذه الجمجمة , رقم والدك انتي يافتاة ماذا اصابك ...!!

لم تجبه اذ كبلت الدهشة لسانها فقال هو موضحا

-اريدده لشيء هام هيا اعطيني الرقم رجاء

-انت تعرفه ...!

-لا لكنني سوف اتعرف عليه ...!!

-لماذا!!

-لانني ...

وهنا بدأت شحنت الادريينالين التي اخذها سيف تتلاشي وماعادت الحروف تكون كلمات ف
حنجرته ...

لكنه كان يدرك ان سكوته الان سيضعه في موقف محرج لذا جمع شتات قوته وقال

-نوران اعطيني الرقم فحسب هيا !

استسلمت لاصراره واعطته اياه فوقف وقال لها قبل ان يتعد

-هل اوصل سلامك له

فابتسمت لدعابته ...وقد بدأت تستوعب مايجري حقا ...

حين ابتعد عن طاولتها انتقلت دهشتها اليه , كيف واثته الجرأة, لم يصدق انه اخيرا اقدم علي هذه الخطوة .

ابتسم سيف لهذه الذكري التي لم يمض عليها الكثير وادار محرك سيارته والقي نظرة اخيرة علي منزل نوران وانطلق مبتعدا .

جلست خلف مكتبها في الجريدة تنظر الي الخاتم في يمينها , " زوجة وليد مروان " , بدت تلك الجملة ابعد ماتكون عن الواقعية او التصديق بالنسبة لها في تلك اللحظة , غريبة هي الحياة , قادرة علي احداث دهشتك دائما وبكل الطرق, ستركك في كل يوم مشدوها مأخوذا بما فجرت امامك من سبل جديدة ما كنت تتخيل ان تطرقها بقدميك ابدا , لعل ذلك لاننا لا نري ابعد من تحت اقدامنا الا بقليل , نظن ان الخيارات المتاحة امامنا هي الوحيدة , لا نحمن ان الحياة ستراوغنا لكنها تفعل , بغتة ودون مقدمات تسحب البساط من تحت قدميك , تتركك حائرا تائها لا زلت لا تعرف اي بوصلة ستحدد اتجاهاتك بعد الآن !

اي بوصلة ؟ واي اتجاهات ؟ سخرت من نفسها , ففي الصحراء القاحلة لن تنفك اي ارشادات , فكل الطرق معتمة وكل الطرق تؤدي الي نفق موصل في القلب , كل ما ينتابها هو شعور مشوه تائه لا يعرف مستقرا , باتت كل الذكريات متأرجحة علي جنبات القلب لا هي تنصهر فيه كما كانت

ولا هي تتركه وشأنه ابدا , صور متلاحقة لوليد تمر بعينيها , ذكريات صداقتهما العتيدة مشوبة بالضباب , كيف تعامله ؟ بأي اسم تناديه الآن ؟ اي هوية صار يملك بالنسبة لها ؟ لم تعد تعرف , الارتباك والتوتر هو كل ما يغمرها حين يحدثها في الهاتف وان كانت احاديثه باردة , يسال عن احوالها لا اكثر ويغلق , في السابق كانا يتمازحان يتجادلان , يغضبان , ويستفزان بعضهما البعض , لم يعبا اي منهما بنظرة الآخريين لهما , لم يكونا يفكران في اي تصرف يقومان به تجاه بعضهما فقد كانا متفاهمين الي بعد حد , نادرا مايسئ احدهما فهم الاخر , او يخطئ في ادراك نواياه الحقيقية , ربما لهذا باتا يتعاملان بكل هذا الحذر لانهما يدركان ان عينيهما ستفضحاهما ؟ اسندت راسها الي المكتب اغمضت عينيها هربا من كل ما يلاحق افكارها , وليد وحسام و حسن وهي والخيارات والاتجاهات الضائعة , تغمض عينيها فتجد التيه ذاته , لا مهرب كما يبدو , اعتدلت في جلستها تزفر في ضيق واضح حين دخلت رفيقتها في المكتب سلمى تحمل ملامحها ابتسامة واسعة وتقول

- اروى وليد ينتظرك في الخارج ؟

سيطرت اروى علي دهشتها , وابتسمت ابتسامة باهتة , لا تميل الي اي اتجاه , سعيدة لان وليد صديقها بالخارج , وكيف لا تسعد بلقاء الرجل الذي تستطيع ان تبوح له بكل شئ دون خوف , متأرجحة , لان الذي ينتظرها بالخارج صار يحمل لقباً آخر ثقيلاً لا تعرف طريقة لتقبله او تناسيه حتي , خرجت من المكتب بخطي تائهة مرتبكة , كان يقف مستندا الي الحائط يضع يديه في جيبي بنطاله مطرقا يفكر , وقفت امامه وقالت بصوت ضعيف

- مالا امر ؟

رفع عينيه نحوها , نظراته غريبة , باهتة , كملامحه الجامدة , لم تعهده هكذا , لم تره مسود الوجه , هائج الفكر مبعثر النظرات كما هو الآن , كادت تساله , لكنه ابتسم ابتسامته الودودة دون ان يزول تقطيب حاجبيه وقال بصوت اجش

- قسم الاخبار يريد ان يهنأكي

ضيق عينيه في عدم فهم , فامسك بيدها وسار بها نحو مكاتب قسم الاخبار , شعرت ان نظرات الكل مثبتة نحوها , انتابها الخجل رغم ان هذه ليست اول مرة يطبق فيها وليد علي يديها , وصلا الي المكتب فوجدت بعضا من الموظفين يقفون علي مقربة من مكتبه يقابلانها بابتسامه , نظرت نحوه وقد انتابها شعور بالحرج , شد علي يديها وتقدم نحوهم , سلموا عليها وبلغوها تمنأهم , فأجابتهم شاكرة بابتسامه ودودة تتسع كلما رات مزاحهم مع وليد وابتسامته الشغوف , عاودها شعور الراحة والالفة التي اعتادتهما في قربه , لكن القلق سرعان ما انتابها حين لاحظت غمامة الحزن التي اطفأت بريق عينيه , راته يصك علي اسنانه وتلك الفتاة تمد يدها نحوه قائلة

- مبارك لكما

امسك بيدها وصافحها دون ان ينطق كانت عيناه تنهران الفتاة , تحرقانها , اخيرا فك الحصار عن يدها ونظر في الاتجاه الآخر , سارت المرأة نحو اروي ومدت يدها نحوها تمنأها سلمت عليها اروي وانصرفت الفتاة , فسألته اروي في فضول

- من تكون ؟

نظر اليها نظرة الجمتها وقال من بين اسنانه

- سارة .. محررة في القسم .

نبرته الصارمة اججت فضولها كادت تتحدث حين قاطعها موظف آخر يسلم عليهما , انتهى الدوام
اخيرا بعد سلسلة التهاني الطويلة , وانصرفا معا ليتناولوا الطعام في مطعم قريب , عاودها الفضول من
جديد فسالته

- من تكون سارة يا وليد ؟

نظر نحوها والمفاجأة ترسم علي ملامحه , ابتلع دهشته في غصة وسيطر علي اعصابه عاد ينظر الي
الطريق وقال بصوت هادئ

- لم اعتدك فضولية يا روي ؟

- ولم اعتدك تطالع احدهم بتلك الطريقة ؟

اوقف السيارة فجأة اندفع جسدها للامام ثم للخلف , نظرت له مترعجة من تصرفه , كادت تنهره
لكنه سبقها بصوت غاضب

- ماذا تقصدين بالظبط كيف كنت انظر لها ؟

كانت تنظر له في فزع مشوب بالدهشة , اربعها الغضب في عينيه , لم تره حانقا عصيبا هكذا ابدا ,
خاصة ان الامر لا يستدعي في الحقيقة, مابك يا وليد ؟ لملت اسألته التي فجرتها ردة فعله وقالت

- دعنا نعود الي البيت رجاء

عاد بنظره الي الطريق ادار السيارة في صمت , اوصلها الي منزلها ورحل دون ان ينبس ببنت شفة ,
تركها غارقة في دهشتها , ضيقها , والاسئلة التي راحت تزداد وتزداد .

هل اخطأت في حقه ؟ سؤال راح يتردد في رأسها لعدة ايام لم تسمع فيها صوته او تراه ,

كان وليد غير الرجل الذي تعرفه ؟ وراء الامر سر ما , حتي لو اخطأت فهو لم ينهرها يوما , لم يحدثها بهذه الطريقة مهما كان خطؤها فادحا فكيف يفعل لاجل سؤال لا معني له , اكيده ان هناك مايشغل رأسه , هم اكبر من قدرته علي التحمل , واكبر من قلبه الطيب الواسع , امسكت هاتفها وأرسلت له

- " دعنا نلتقي غدا في مطعمنا المعتاد لنتناول الغداء معا سأنتظرك ! "

مرّ وقت طويل قبل ان يصلها رده

"لك ما تريدين "

جلست في بهو المطعم تنظر الي النيل عن يمينها وتلتقط انفاسها ببطء عليها قهداً , تأخر عن مواعده ساعة كاملة , انتابها القلق , اتصلت به مرة وراء اخري لكنه لا يجيب , ارتعبت من فكرة ان مكروها قد يكون اصابه , فوليد لم يسبق ان تأخر علي موعد ابدا علي العكس , كانت هي التي تتأخر وهو الذي ينهرها مازحا امسكت هاتفها وارسلت له " هل انت بخير , قلقت عليك ؟ " .

وقف مستندا علي سيارته ينظر الي رسالتها في حيرة , يرفع نظره صوب المطعم غير قادر علي دفع نفسه للصعود الي هناك , خوف يكبله , خوف من ان تسبر عيونها اغواره , وتكشف اسراره التي يخفيها عنها , تراها تتحمل الحقيقة , ماذا لو لم تفعل ؟ الوقت مبكر جدا علي ان يغير كل ما خطط له .

حسم امره واستقل سيارته , ارسل لها " لن استطيع الحضور آسف " .

فغرت فاهها في حنق وهي تنظر الي شاشة هاتفها , القت بالنقود علي الطاولة , غادرت غاضبة , ثورة عارمة تجتاح روحها , من يظن نفسه ؟ تماونت معه كثيرا كما يبدو , كان في سيارته يراقبها تغادر , وخزه قلبه الي اي حد يريد ان يصل بها , ولم عليها ان تدفع ثمن كل ما اصابه ؟ اخمد شعور الذنب الذي

اجتاحه , علي لعبته ان تستمر للنهاية فالوقوف في تلك المرحلة سيضر الجميع ولن ينفع احدا علي الاطلاق .

عاد الي منزله يجرد قدميه الثقيلتين , القى التحية علي نور اخته التي كانت تنظر اليه بشفقة , القى بنفسه علي السرير , فأتاه صوتها

- انت تعاقب نفسك واروي ياوليد , مخطئ ان ظننت انك ستنجح فيما تخطط له .

نظر الي اخته الواقفة بالباب تطالعه بنظرة واثقة ارجحت انفاسه , ارتبك لم يجبه لم يتحرك , غادرت تركته في حيرته , تلوم نفسها لانها لم تمنع هذه الزيجة منذ البداية , كانت تعرف ما يدور بخلد وليد لكنها كذبت نفسها , فوليد الذي تعرفه ما كان ليتصرف بتلك الطريقة , لكن يبدو ان الغضب كما الحب يصيرنا بلهاء لانري امامنا ندهس ما ندهس في طريقنا الي الهاوية المحتومة .

" الي متي ياوليد ؟ سيطر علي غضبك توقف عما تفعله ؟ امنح نفسك فرصة والتقط انفاسك " قال لنفسه , لكنه لم ينصت لذاته , كان موحلا ولن يستطيع احد انتشاله ابدا , امسك هاتفه , حروف رسالتها تكويه كيا , " قلقت عليك " , وماذا يفعل هو , يؤذيها وسوف يؤذيها اكثر بعد , انتابته رغبة عارمة في ان يراها , لتفضحه عينيها لتكشف سره ولتغضب ولتصرخ فيه لتوقفه عند حده , اقتلعتة الحيرة من نفسه , يقف علي حد شعرة , فقط شعرة تفصله عن البوح بالحقيقة او اكمال ما بدأه , سيلتقي بها سيرها لعل ذلك يرجح احدي الكفتين .

" دعينا نزور دار الايتام غدا " ارسل لها

لم تجبه , بدا تصرفه وقحا لها , لم يحدثها ولم يكلف نفسه عناء الاعتذار حتي , ويظن انها ستلتقيه .

" ارجوك " قطبت حاجبيها في حيرة , ماذا ياوليد ؟ مالذي تريده ؟

" حسنا ولا تتأخر "

" لن افعل , اعدك "

" اعدك " ؟

لم تعد وعوده تعني اي شئ , هاهو يتأخر عن مواعده مرة اخري , وعوده صارت مزحة سخيفة ,
سامحك الله ياوليد , شغلت نفسها باللعب مع الاطفال من حولها متناسية وليد وحضوره فقدت
الامل في ان يأتي , ولم تعد قادرة علي ان تسمع صدي افكارها التي تلعبه اكثر .

لكنه اطل اخيرا , كادت تتجاهله , لكن ملامحه المكفهرة , اصابتها بالقلق , سارت نحوه , لتري الدموع
المتحجرة في عينيه , ينظر لها نظرة مكسورة تائهة , يريد ان يقول شيئا ما , بل اشياء .

كان قد عزم امره علي انهاء لعبته السخيفة اليوم , لكن يبدو ان الله شاء لها ان تكتمل , حقا كان يريد
ان يتوقف عن أذيتها , اراد ذلك بشدة لكن ماباليد حيلة ما صار معه هذا الصباح اقوي من احتمالها ,
اقوي من آدميته , الغضب يفتك به , الالم الذي يعتصره لن يتوقف الا اذا انتقم , سيرد الصاع صاعين
, لا بد له ان يفعل .

كانت تحادته تناديه لكنه شارد لا يجيبها , تصاعد قلقها , امسكت بكتفيه وهزته صارخة فيه باسمه ,
افاق من شروده وتراجع للوراء , همّ بأن يغادر لكنها امسكت بذراعه ووقوفته سائلة

- مالامر ياوليد اكاد اموت من القلق ؟ مابك ارجوك اخبرني ؟

نظر لها نظرة غريبة طويلة , عبثت بأعصابها ايما عبث , امسك بيدها وابعدها عن ذراعه قائلا

- لا بد وان اذهب انا آسف !

صرخت فيه بغضب

- آسف؟؟ لقد تجاوزت حدودك كثيرا , تحدث اليّ واخبرني مالذي يجري معك من حقي ان افهم , لماذا تعاملني بتلك الطريقة .؟ ما بال نظراتك ؟ ما بال وجهك ؟ تحدث اليّ

اجابها بغضب مماثل

- انا بخير لذا اتركيني وشأني رجاء

تركها في حيرتها وغادر , عادت الي منزلها تماوت علي اول مقعد قابلها , تسكب دموعها الحارقة , تلوم نفسها علي قلقها , اهتمامها به , وخوفها عليه , لماذا تهتم به ؟ ولماذا تسال عن حاله ؟ معتوه ومجنون فليذهب الي الجحيم , وليلحق به حسام هو الآخر , كم تكرههما , اه حسام عادت ذكرياته توجع قلبها من جديد , ماكادت تصرفه حتي عاد , يقف ساخرا منها ومن دموعها .

الصدمة

اختفي وليد بعد ان ارسل لها رسالة طويلة علي هاتفها يقول

" انا آسف , سامحيني ياروي , اغفري لصديقك الابله الغاضب , التمسني له العذر , فأنا امر بفترة عصبية , سأبتعد لفترة فأنا في حاجة لان التقط انفاسي , سأعود حين اشعر اني بخير "

لم تره بعدها , وتعمد هو ان لا تراه , فقد قرر الا يلتقيها حتي اليوم التي ستنتهي فيه لعبته , دون ان تدري سينفذ ما اراد , لن يدعها تكتشف الامر , لن يسمح بأن تتأذي , سينفذ ما يريد دون حتي ان تنتبه , لكن وجوده بقربها يهدد كل شيء .

استيقظت ارووي ذات صباح علي صوت الهاتف اجابت بصوت غالبه النعاس

-مرحبا آر كيف حالك ..

-وليد...!!

تطير النعاس من عينيها , تسارع نبضها ولم تنطق حرفا آخر , فقال بصوت مرح

-كسولة !! الا زلت نائمة ؟ ...

نظرت الي الساعة فوجدتها السادسة صباحا , كادت تجيب لكن لسانها النعاس المندهش لم يقوي فاستطرد هو

- لا يهم , اسمعي سأمر مساء لاصطحبك سنذهب الي زفاف كوني مستعدة

اجابت في غير وعي

- حسنا

- اراك اذن

- اراك

"آر" اعادها الاسم الي ذكري قديمة تعجز عن تأريخها , حين بدا وليد يناديها بهذا الاسم اختصارا , كان كلما اراد استفزازها نادها به , لانه يدرك ان اكثر شئ يؤذيها هو ان يختصرها احدهم او يلغيها , اعتلي وجهها ابتسامة تعجب تلتها سحابة ضيق اذ تذكرت حسام يناديها "رؤي" فيتراقص قلبها اغتباطا , هو الوحيد الذي لم يزعجها اختصاره لاسمها , استثناء آخر وتنازل آخر , ياللوجع ! عادت للنوم مجددا هربا من مطر الافكار الذي لاح ف الافق .

امام الحكم بموته جمده الحزن وشدت الخيبة الوثاق علي يديه ودفعه الوجل ليسقط علي ركبتيه ولينحني جسده وتستقر رقبته علي مقصلة الغدر لتهوي فوق نحره فتطوح برأسه , كان هامدا زاهدا يرمقها بنظرات غائمة بالدموع لا تجعله يتبين صورتها كما ينبغي , تجرد من كل دفاعاته وجلس امامها يتلقي سهامها الموجهة الي شغاف قلبه مباشرة واحدا تلو الاخر , كم تجيد هي التصويب , تطرق فوق جراحه الحساسة جدا , اوليست هي جرحه الاكثر غورا والاكثر حساسية اليست هي صرخته التي تشققت حباله الصوتية وهي ترتعش علي اثرها , اليست هي انتفاضة القلب وثوراته والنيران التي تلفحه في تلکم الثانية , هاهي تمضي وتتركه وقد تركت خلفها عطرها يتراقص في انفه في مراسم تأبين اخيرة , القت بجديتها المسموم بين ضلوعه , ستتزوج رجلا آخر

هكذا قالت, وتركته وهي تبتمس ابتسامة مفاخرة مكابرة عبيدة , كيف للقتلة ان يتسموا ؟ كيف يمضون فوق جراحك هكذا دون شفقة , يدعسون بأقدامهم اشلاء قلبك الملقاة في الطريق دون ان يرف لهم جفن , اي جبروت هذا الذي تجمع في هذه المرأة هي التي تغريه بحبها وكرهها بقتلها والانتقام منها كل ذلك في آن واحد ..

" وليد ويلك لقد هلكت !! "

ردد الكلمة في راسه وهو يقف ليلتقط انفاسه اخيرا لازالت ذكري هذا اللقاء تصيب انفاسه بالضيق كما لا تفعل كل هذه الامتار التي يركضها في هذا الزمهرير .. !

لم يمارس رياضة الركض الا بعد ان تركته ولاحقته ذكرياتها , كان يركض هاربا منها هي التي تقبع في انفاسه وتنبض في شرايينه , سارة التي صارت وجعه وحزنه الاكبر , بكل القوة التي تمسك بها , افلته هي , متشبثة بيد رجل اخر لم تلتق به الا قريبا , شهر واحد معه لغى عاما كاملا من التضحيات والعطاء مع وليد , صحيح المال يصنع المعجزات !

لماذا لم يرها يوما بهذا الجشع , يكره ان يصفها بتلك الصفات الوضيعة , لكنها احيانا ماتسقط منه سهوا حين يفلت زمام غضبه الجارف , ماذا فعلت به تلك السارة , تركته للغيرة والغضب والحزن والوجع والخيبة ليفعلوا به الافاعيل , ليطحنوه ويصهروه ويعيدوا تشكيله في شهرين كما لم تفعل اعوامه الستة والعشرين .. !

اتراها كانت هكذا طوال الوقت وهو الذي صمّ اذنيه عن كل ماقد يشوه صورتها النورانية في قلبه , سبق ان سمع حديثا عن انها تستغل كونه رئيسا لقسم الاخبار بالجريدة لتسارع بتسلق سلم النجاح , يبدو الان انها لم تعتبره طريقها للسلم بل درجة فيه , مجرد درجة تدعسها وتمضي دون ان تجفل , او ان تتناها الشفقة , كيف تكون بلا قلب هو الذي احبها الي حد يذيب الحجر , لماذا اذا

لازال قلبها صلدا ؟ لماذا لم تشفق علي قلب احبها بكل هذا القدر من الصدق .. ! وضع يده علي قلبه المتوعك , الا اهدأ ايها القلب الا اهدأ , لعينة وعكات القلب التي يكون محلها كل الجسد !

اروي , انتقامه المثالي , فلن يوغر في قلب سارة سوي ان يتزوج بأخري , وخاصة ان كانت الاخري , هي الفتاة التي تغار منها, الفتاة التي اهتمته مرارا انه يبالح في اهتمامه بها , فكم مرة ابنته بسبب اروي , اراد ان يجعلها تظن ان شكوكها في محلها , فلتظن انه طوال الوقت لم يجبها , انما في الحقيقة كان يجب اروي , خطة مثالية كما يري ليحرق فؤادها ويمزقها , خطة كاد يتراجع عنها حين ابته ضميره وشك في جدواها , لكنه حين ذهب للجريدة في ذلك الصباح التقاها توزع دعوات زفافها , تماوي كل شئ امام ناظره , كان يكذب نفسه حتي تلك اللحظة , ظنّ انه تخطاها ونسيها , اقنع نفسه انه ينتقم لكرامته ليس الا لينتفض الحب في قلبه امام دعوي زفافها التي ناولته اياها بكل جرأة وجبروت , يجبها لازال , يكرهها كما لم يكره آدميا في حياته , خرج من الجريدة كالجنون يقود سيارته في سرعة دون وجهة , اراد الهرب منها من نفسه من الكون كله , وجد نفسه يتوقف امام الدار حيث سيلتقي بأروي ترجل ودخل , رآها هناك تلعب مع الاطفال بريئة حاملة , مسكينة حطمها وغادر وسيحطمها اكثر لو اكتشفت ما يدور بعقله , يوم ارسل لها تلك الرسالة لم يكن يقصد ان يعتذر عما ارتكبه في الحقيقة كان يعتذر عما لازال آتيا في الطريق .

قامت اروي قبل الموعد بساعة مستسلمة تستعد له , وحالما انتهت وقفت تنتظر وليد امام المنزل وسريعا مااتي , فتح لها باب السيارة من الداخل فجلست فيها , نظر اليها نظرة اربكتها ابتسم ابتسامة رضي ولم يقل اي شئ ...

قاد السيارة وسط حيرتها القاتلة...

عندما وصلا امسك بيدها مبتسما فابتسمت ابتسامة باردة

" ما ان دلفا حتي بدأت يد وليد المسكة بيدها ترتجف.. ما ان وقعت عينيه علي سارة "العروس " بفستانها الابيض حتي اضطربت كل جوارحه لم يتخيل يوما انه لن يكون مكان مصطفى "العريس "

حياته كلها ولعام مضي كانت تتمحور حول زواجه وسارة كانا يجبان بعضهما كثيرا او حسبما صار معتقدا احبها كثيرا ولكنها لم تحبه يوما والا ماتخلت عنه لاجل هذا العريس الثري اروى كانت وسيلة للانتقام , اراد ان يحضر زفاف سارة مع زوجته ليفسد عليها يومها هذا

- وليد!! -

التفت الي جواره كانت اروى هي التي تناديه قال باسما محاولا اخفاء دمعة توشك ان تحونه

-دعينا ندخل

ابتسمت دون ان تنظر نحوه قادها وجلسا الي طاولة قرب العروسين اراد ان تراهما العروس , ان يحتل مساحة من محيط عينيهما في تلك الليلة كان انتقاما كافيا , سينغص عليها كل ثانية , سيكون في كل ذكري عن هذا اليوم , سيشووه بقدر ما يستطيع , كان ذلك كل ما اراده منذ البداية , لم يرد ان يدخل زفافها خالي الوفاض , وحيدا بائسا , بل اراد ان تراه في قمة قوته متزوجا بأخري تغار هي منها , اراد ان يفسد زفافها وقد نجح , نظراتها المقهورة نحوه اكدت له انه نجح .

وليد لم يدرك اذا احببت الزوجة المستقبلية لرجل ما فلربما ينتهي بك الامر متزوجا الحبيبة السابقة لرجل اخر , في قوانين الحلقة المفرغة كما تدين تدان , حيثما تبدأ تنتهي , هذا هو القانون الرئيسي. لم يكن الا اكتشافا سيتأخر في معرفته , فلم يعرف ان اروى الجالسة الي جواره شاردة في ذكري

حببها السابق , تذكر يوم ذهبا لخطبة زميلة لهما العام الماضي , عندما تحدث لها الاخ الاكبر لصديقتها , لاحظ حسام انه يعتمد اطالة الحديث مع اروى , شعر بنظراته المعجبة لها فكاد يقتلع راسه , طلب منها ان يغادرا الحفل في الحال , رغم تعجبها الا انها وافقت , رحلت معه دون فهم , ذهبا الي مقعد قريب من منزلها امام النيل حيث اعتادا ان يجلسا من فترة لآخري , لاحظت غضبه فسألته عما به , نظر لها نظرة طويلة وقال

- لو كنت املك الحق لخبأتك بين افجاني حتي لا يراك سواي , صدقيني لو كان الخيار بيدي فأنا مستعد ان اقضي بقية عمري جالسا الي هذا المقعد بجوارك انظر اليك وحسب , المهم الا اخسر , فقد لا اتحمل خسارتك ابدا , لن اتحمل ان تكوني لرجل آخري .

كان ذلك تصريحه الاكثر وضوحا , لم تملك الا الصمت والحجل يومها .

كاذب , قالت في نفسها وهي تنظر الي وليد الجالس الي جوارها , فحسام في النهاية تحمل خسارتها وتحمل ان تكون لرجل سواه .

كان الحفل مريرا ثقيلآ بين نظرات سارة ووليد الحارقة المتبادلة وغياب اروى عن الحفل تماما غارقة في عالمها الخاص , مزق المشهد نياط قلب وليد حين وقفت ومصطفى يتراقصان , اشتعل راسه , وانفجرت خلاياه , شعر بنفسه قد تبعثر ولم يعد له اي وجود , لولا ذلك الالم المبرح في قلبه لظن انه مات , عواء مرير راح يتردد في جمجمته بلا هوادة , بدأ الامر يصبح موجعا الي حد لم يعد ليتحملة اكثر لذا قرر وليد مغادرة الحفل باكرا طلبت منه اروى ان تذهب الي "الحمام" قبل ان يذهب , فدلها عليه وانتظرها خارجا ...

كانت اروى تريد التقاط انفاسها والاستراحة قليلا من الوجه البارد الذي تضعه فوق ملامحها

كانت تغسل يديها حين وجهت لها السيدة المستندة الي الحائط .. الحديث

-اروي عمادا! !

-عفوا , هل تعرفيني

اجابت اروي بدهشة فقالت الفتاة

-انا سمر , اعمل بقسم الاخبار معك بذات الجريدة

صمت الفتاة برهة ثم قالت

-غريب , هل دعتك سارة حقا الي زفافها !

-لا انا اتيت بصحبة وليد .

اكفهر وجه سمر وقالت تطالع اروي باحتقار واضح

-لحظة لا تقولي ان وليد مروان تزوجك انت !

لم تعجب اروي نبرة الصدمة ولا نظرتها الفجة وغير اللائقة , فاعتدلت وجففت يديها وهي ترمقها

باستحقار , اشعل اعصاب الفتاة , فقالت

-لا يعقل , هذا جنون !

- انا لا افهم كيف لا تعرفين ذلك , الجميع في القسم قد عرف بالخبر , ثم ما جنون في ذلك ؟.

- كنت مسافرة ولم اعد الا منذ عدة ايام ولم اسمع بالخبر , اما الجنون فهو اني ما تخيلته قادرا علي

اذيتك هكذا , ظننتكما مقربين , الا لو كنتما قد اتفقتما معا علي الامر , او ان كانت سارة محقة

وقد خدعها وليد بالفعل !

-نعم!! ماهذا الهراء انا لا افهم اي شئ ؟

-واضح انك لا تعرفين شيئا !

نظرت لها ارووي في نفاذ صبر تستعجلها حتي تتكلم فهي لم تعد تفهم ما ترمي له المرأة قالت الفتاة
بعد صمت طويل

-وليد كان سيتزوج سارة , لكن كما يبدو انك نجحتي في سرقة منه , او انه نجح في خداعك
لينتقم منها

تشوش تفكير ارووي اكثر فقالت

- عما تتحدثين ؟

تأكدت سمر ان ارووي لا تعرف شيئا البتة , كادت تتراجع عما ارادت قوله , ولكنها فكرت ماذا
لو كانت في محل ارووي , سستمني حقا لو اخبرها احدهم انها لعبة , لن تكون سعيدة بأن تكون مغفلة
وغافلة لذا قالت بنبرة واثقة

- وليد تزوجك لينتقم من سارة , فقد كان يحبها كثيرا لكنها خطبت لرجل آخر , كل ما اعرفه ان
وليد كان مصرا علي الانتقام منها , فهو يظن انها تزوجت لاجل المال , يظن انها لم تحبه يوما وانها
كانت تتلاعب به .

صرخت فيها ارووي

- انتي معتوهة ! ماهذا الهراء ؟

امسكتها سمر من كتفيها وهزتها قائلة في صدق

- يافنأة , افيقى الا تعرفين انك لست الا بديلة لسارة بل اسوا انى الذى تزوجهـا ولىد لىستفـز سارة افيقى , انى محطة , مجرد شى احضره لىفسد عليها لىلة زفانها لا اكثر !

دفعنـها اروي بعىدا قانلة

- ولماذا قد اصدقك ؟

فقالـت سلمى بهدوء

- ىمكنك ان تسالىه , لا اظنه سىنكر .

جحظت اروي مقلنـىها وهى تلقى الصدمة , لم تجد نفسـها الا وقد اندفعت للخارج كالصاروخ , كان واقفا كما تركته يعبـث مىدالىة المفاتىح فى يده , وقفت امامه بقلب مضطرب هائج نائـر , وافكار تنوح فى عقلها وصوت الم مبوح يصىبها بالدوار , وقفت امامه تنفرس فىه باحنـة عن ولىد الرجل الذى اكتنفها برعاىته وساعدها كئىرا الرجل ذا القلب الكبىر والصدر الواسع , لن يؤذىها ولىد بهذه الطرىقة لن يعاملها كقطعة ائـاث لن يفكر فى الغاءها او معاملتها كدواء بدىل لامرأة احبها , لن ىستعملها كنجر لىغرسه بىن ضلوع حبىبته ولىد لىس هذا النوع من الرجال لىس فى نظرها ع الاقل , ولىد صدىقها حماىتها , لن ىخذل ثقتها به , لن ىحطمها بتلك الطرىقة .

كانت تنفرس فىه بشدة , وهى تلتقط انفاسها بصعوبة لا ىعرف كىف اخترقه هذا الصقىع حنى تجمدت اطرافه , راحت نظرائها تبعره ىمىنا وىسارا , شعر انـها تفتش عن شى ما , وواضح انـها لم تجده اذ قالت بصوت متهدج , شل كل حواسه .

- ولىد لماذا تزوجننى ؟

كانت منفعة ثائرة , كما لم يسبق له ان رآها , ابتلع ريقه بصعوبة وابتعد بنظره , بح صوته ولم يخرج , اشتعلت شكوكها , كئنا اضطرت فلم تبقي لا احضر ولا يابس , لذا سألت مباشرة ودون مراوغة

-لنتقم من سارة اليس كذلك ؟

تصلبت نظراته علي وجهها الممتع في الالم , لم ينبس ببنت شفة , تسمر في موضعه تجمد ولم يأت بحركة , تلك كانت اجابة قاطعة لا تقبل الشك , هي تعرفه , واكثر مما يجب , مادت بها الارض وشعرت بروحها تنسحب من بين خلاياها , شعرت بأنفاسها تتلاحق ويحلقها يحف كصحراء قاحلة , تماما الي جانب الندبة الكبيرة جدا المسماة حسام , انغمس الوجد مخلفا ندبة اكثر اتساعا وعمقا اسمها وليد , لكنها لم تعرف اي وليد تقصد , الزوج او الصديق , بدا ان الامر لا يشكل فارقا .

سحبت ميدالية المفاتيح من يده فأفاق من شروده , ركضت الي الخارج فتبعها , فتحت السيارة فحاول جذبها لكنها اجابت بحزم

-اتركني والا اقسم لك ساعود الي الزفاف واسبب لك فضيحة لن تنساها

ملاحظها الغاضبة تؤكد انها قد تفعلها ...

لذا استسلم وليد واستدار جلس الي جوارها فانطلقت بالسيارة وهي تضغط علي البزين وتتحرك بسرعة مجنونة , اسرع كثيرا من الافكار التي راحت تندفق في راس وليد الذي ادرك للتو حجم خطأه , بل حجم الجرح الذي خلفه في قلبها , لم يكن يجب ان يحدث هذا , لم يكن يجب ان تتألم اروي بأي شكل , كاد قلبه يتوقف وهو يراقب ما التهم وجهها من حزن , اريد ان اموت قال لنفسه , افلت قطار افكاره المجنونة , الان وتحديددا لم يعد يشعر بأي رغبة في الحياة , لا شئ مهم و لينتهي كل هذا الالم بطريقة ما !

-اروي هداي السرعة ارجوك

اخر شئ كان يريدو هو ان تصاب اروي بأذي , تنهد قليلا , وهو يفكر في حجم الاذي الذي تسبب فيه بالفعل , اختنق صوته , وقال صارخا

-اروي توقفني

لكنها لم تكن تري , تسمع او تعي اي شئ , خلاياها العصبية تصدر شررا , وسيال الغضب ينتشر بسرعة مجنونة , ضاربا احشائها , وقد شلّ كل قدرتها علي التفكير , وهناك ذاك الالم , تماما في القلب , يتزف ويصرخ بلا رحمة .

قالت له بصوت باك محموم

- اتعرف ما الذي سيوغر في قلب سارة اكثر من ان تتزوج بأخري ؟

نظر لها وليد , يكاد يتميز من الندم , قتله الحزن في صوتها , كيف فعل بها ذلك , كيف كان يحميها من كل الاذي المحدق بها , ليؤذيها هو بتلك الطريقة , اجابها بنبرة مخنوقة

- ماذا ؟

- جشك يا وليد , لن تنسك حينها صدقني .

جحظ وليد مقلتيه ينظر الي السيارة المعاكسة التي تقابلهما , واروي تزيد السرعة اكثر , امسك بمقود السيارة ليحاول جذبها في الاتجاه الاخر , لكن اروي استماتت عليه , تدبير السيارة في اتجاه الطريق , جذب المقود بأقصى قواه في الاتجاه الاخر حتي ابتعدا عن مجال السيارة المعاكسة لكنهما

دارا بالسيارة حول نفسيهما عدة مرات قبل ان تصطدم باحد جوانبها بشجرة , وتسكن بعدها تماما

كانت الريح تصدر عواءا اذ تمر بجوار السيارة الساكنة سكون الموتى , شعر وليد بألم مبرح في مؤخر رأسه وهو يفتح عينيه ببطأ , اخذ الامر منه دقيقتين حتي استطاع ان يتذكر اين هو وحينها جحظ مقلتيه في فرع اذ انسل الم مبرح الي ذراعه الايمن , سرعان ما انتشر بين ضلوعه , نظر الي يمينه ليجد الشجرة قد حطمت جانب السيارة الايمن من الخلف , تنبه عقله في تلك الثانية , "اروي " التفت الي جواره في هدوء وفرع كان يتمتم داعيا الا يكون قد اصابها شيء , لكن رأسها سقط علي المقود دون حراك , رفع يده الغير مصابة وهزها بقوة فما كان من جسدها الا ان سقط ناحيته ليبدو له وجهها المضرج بالدماء , خفق قلبه هلعاً , وشعر بجسده يشتعل , اثر احتراق خلاياه من الخوف , ناداها ببقايا صوته المدعور

-اروي !!

لكنها لم تحرك ساكناً...

قفز الي الكرسي الخلفي حاملاً ذراعه الايمن المصاب ..فتح باب السيارة ونزل ثم فتح باب القائد حاول جذبها بذراع واحدة دون جدوي ...نظر الي يده المصابة وزفر في ضيق ثم رفعها بتثاقل كان سببه الألم جذبها للخارج وجلس علي ركبتيه متأوها علي اثر الألم ..ذراعه كسر لا مجال للشك ...

تماسك ووقف وامسك بهاتفها واتصل بالاسعاف , كانت اروي ممددة علي الارض , فجثا الي جوارها , يحملق خوفاً في ملامحها يحاول ان يري فيها اي اشارة علي الحياة , لكن دونما جدوي , سألت دمعة ساخنة علي وجنته , وصورة من الذاكرة تقفز الي رأسه فينفذها سريعاً ,

- لا لن تموتي يا أروي

قالها بين صوت شهقاته , ودموعه , لماذا يكرر الماضي اللعين نفسه ؟ ضمها وليد بين ذراعيه متشبثا
بها والخوف يكاد يفتك به ..

انتهى الزفاف امسكت سارة بيد زوجها وسارا نحو سيارتهما , قبل ان تركب تقدمت نحوها سمر
وهمست في أذنها

- فعلت ما طلبته , لكن يبدو انهما لا تعرف شيئا !

مالت سارة علي اذنها قائلة

- في الحالين كان لا بد لها ان تعرف الحقيقة , هكذا افضل .

ابتسمت سمر وودعت صديقتها المقربة التي ركبت السيارة وذهبت مع زوجها .

- لا تقلق , ارتجاج في المخ وبعد الرضوض الخفيفة , لا توجد كسور سنبقيها تحت الملاحظة حتي
نتأكد ان دماغها لم يتضرر .

قال الطبيب قبل ان يترك وليد وقد بدأ يتنفس الصعداء اخيرا , لاحت منه التفاتة الي ذراعه المقيد
الي تلك الجبيرة , ستبقي يده محاصرة فيها لشهر كامل , تأفف وسار نحو الغرفة التي توجد بها اروي
, كانت تغط في نوم هو اقرب للموت , ساكنة كما لم يسبق له ان رآها , لأول مرة تتأكل هالة

النور التي تصاحبها , اطرق في صمت واخرج هاتفه من جيبه واتصل بحسن , ثم وضعه الي الطاولة بجوارها , وقف ينظر الي مااقترفت يده ينظر الي اروى التي حطمها كلياً , اي حماقة تلك التي ارتكبتها , مد يده يمسح علي جبهتها , انحنى وطبع قبلة علي جنبها بشفتين مرتجتين وهو يتمتم

- أنا آسف .. آسف حقاً ..

تنهد وابتعد عنها وجذب كرسيها ووضعها الي جوار الشباك وحلق بالفراغ .

كان حزينا لان الموت خانه من جديد , حزين لانه لم يكن في هذه الاغماءة بدلا منها , كم يحتاج لان يغمض عينيه , ويوقف هذا الصراع الدائر في قلبه , لو يملك القدرة , ليخرس كل هذه الاصوات , ويخمد كل هذه البراكين , يحتاج الي فترة راحة طويلة ينسي به الليلة وماأثارت في ذاكرته , بل ينسي نفسه , والعالم كله واي شئ , هي رغبة ملحة في ان يختفي, ان يكون خاليا من الوجدع وليخلو الوجدع منه , ياليتها لم يولد من الاساس .

-ياليت !

قالها وهو يسند راسه الي كرسيه وشرد بعيدا فيه وفي اروى وفي سارة وفي كل شئ اصابه , تعرف وليد علي اروى قبل اعوام عديدة كانت فتاة هشة صغيرة وشعر هو منذ اللحظة الاولي انه مستول عنها , شعور خفي جعله يساندها في كل شئ وازداد الشعور ليصير رغبة عارمة في ان يحيل عقدة حاجبيها الي ابتسامة مشرقة ونجح , اخرج اروى من قوقعة كانت تدفن نفسها فيها , تقربا كثيرا كانت تفهمه رغم انه لم يكن شخصا سهل الفهم علي الاطلاق , استعاد معها طفولته وشغفه بالحياة , لم يكن ما بينهما حبا بمعناه الحرفي , لم يكن ذاك الشئ الذي ينشأ بين رجل وامرأة انما كان حبا من نوع آخر لعلها الفة وارتياح لكنها لم تكن حبا , اما سارة فقد التقى بها قبل عام واحد هبت كالعاصفة الهوجاء اربكت كل شئ في حياته احبها سريعا وتعلق بها وفجأ صارت كل الكون بالنسبة

له حتى علاقته بأروى طالها شئ من الفتور والبعد بسبب شكوي سارة الدائمة من اهتمامه المفرط بها لذا اضطر وليد ان يضع مسافة بينهما درأ للمشاكل , لكنه لم يخبر اروى يوما عن سارة ولا لمرة واحدة ولا علي سبيل الجد او المزاح , كان يؤمن ان حبه لسارة لن يعرف عنه الاخرون شيئا الا يوم خطبتهما لكن سارة كانت ترفض امر الخطبة بشدة ولم يكن يفهم ساعتها ما السبب , تشاجر معها ذات مرة وهددها انه سينفصل عنها لكنها لم تعره اهتماما وتركته وسافرت في رحلة عمل الي الخارج لمدة شهر وحين عادت شاع خبر ارتباطها بمصطفى رجل الاعمال الشهير بسرعة وصار وليد يعرف لما لم تكن توافق علي خطبتهما فهي لم تري وليد ثريا بما يكفي !!

لم يكن غضبه او حزنه او تحطمه الي هذا الحد بسبب سارة او بسبب ما فعلته به , لم يكن ذلك السبب الوحيد علي الاقل , كان الجرح الذي خلفته خيانة سارة بقلبه اقل قليلا مما اعتمل بقلبه من مصائب ومشاكل سابقة , لكنه كان قد مل الالم , لم يكن بإمكانه ان يتحمل اي جرح اخر , لم يكن قادرا علي الصمت امام ما تجرعه اياه الحياة مرة وراء اخري من علقم الفقد ومر الجراح النازفة في قلبه , امتلأ قلبه حزنا وضيقا وغضبا امتلأ عن اخره فلم يكن بإمكانه حتي ان يتنفس كان مشحونا بكل الالام في قلبه , كان ضعيفا حتي اكثر من ان يقف علي قدميه من جديد , كان وحيدا تماما يدفع الاخرين عنه حتي لا يروا سقطته المروعة , لكم صار عصيبا غاضبا ولكم تأذت امه بسبب هذا , حتي اهتدي الي فكرة الانتقام كان لابد له ان ينتقم من الحياة لم يري اي وسيلة اخري ليخلص من كل هذا الالم , قرر ان ينتقم من الحياة في صورة سارة وكان سبيله الوحيد الي ذلك هو اروى , ظن دوما ان كل الالم والغضب سيتبخران ما ان ينجح في انتقامه لكن هيهات شعور الذنب شعور الالم والغضب الان اكثر حتي مما كان قبلا , هو الان اكثر ارتباكا اكثر ضعفا واكثر تشتتا , الف فكرة وصراع واهة تعتصر قلبه , ما عاد يعرف نفسه !

افاق من شروده حين هزت يد ما كتفه نظر الي حسن الواقف بجواره شاحب الوجه وقد انسحبت

الدماء من وجهه , يرتعش صوته وهو يقول

-هل هي بخير ؟

او ما وليد براسه مؤكدا , ثم قال

-لا تقلق هي بخير ؟

-اخبرني ماذا جري يا وليد ؟

ابتلع وليد ريقه وتنحح كما اعتاد ان يفعل قبل ان يطلق كذبة ما

-لا شئ اختل توازن السيارة فقط , مرّ الامر بسلام

لم يبدو علي حسن الاقتناع لكن قلقه لم يسمح له ان يسال اكثر , سحب كرسيه وجلس الي جوارها يراقب ملامحها المصفرة . .

باكرا غادر حسن الي منزله ليحلب بعض الثياب لاروي , اذ قرر الطبيب مكوثها بالمشفي لعدة ايام , استيقظ وليد النائم في غرفة الاستراحة القريبة , متيس العضلات اثر نومته القلقة , حث الخطي الي غرفة اروى ليلقي نظرة علي الجنة التي خلفها وراه امس , كانت نائمة , جامدة الملامح باردة الاطراف , تلتقط انفاسها بجهد بالغ , يحيط براسها ضمادة , ينسدل منها شعرها علي كتفها , حملق بها وليد طويلا , حتي شعر بها تفتح عينيها فخرج مسرعا , خير لها ان تري العدم , ولا تراه هو , ارسل لها ممرضة ووقف امام باب الغرفة , حتي اطل حسن , الذي امتقع وجهه ما ان رآه واقفا يتصبب عرقا ويتنفس بصعوبة ,

-وليد مالا مر ؟

قال حسن بصوت مرتجف , فاجاب وليد محاولا التماسك

-لا تقلق هي بخير لقد افاقت للتو

اندفع حسن الي الغرفة , كانت الممرضة تقيس له الضغط لم يمهلهما , احاطها بذراعيه يطمأئها ويطمأن بها , لن ينسي هذه الليلة ماتبقي من حياته , كل الخوف والحزن والقلق الذي تناوب علي قلبه النازف ليلا , فخلف به الالم , صغيرته كادت تذهب بصوابه لشدة قلقه عليها .

اطلقت اروى العنان لدموعها بين ذراعي ابيها , مقهورة كانت , وحزينة , اثر مراسم التأبين التي قامت بها في غيبوبتها القصيرة , بداية من امها , مرورا بحسام ثم وليد , دفنته بكل صورته التي عرفت والتي كانت ستعرف , وارته التراب , بكل صدقه وزيفه , خداعه ومكره , كل الاشياء الجيدة والسيئة , دفنت كل شئ وليد الصديق الذي عرفت والزوج الذي لن تعرف , ثم اروى , نعم كانت هي الجسد الاخير الذي دفنته .

العجز

لو اننا لا نقف عاجزين , دون حول او قوة , نمد بهما يد العون لصديق يجرفه التيار ليسقط سريعا في نهاية الشلال متناثرا ومبعثرا , لو اننا لا نتمزق عندما نريد مساعدتهم فتعوزنا القوة , ولا يغزونا الا الضعف , نقف في صف المشاهدين لنري سقوطهم المفجع , ولا نملك الا ان نجمع اشلاءهم , ان نكون هناك لحظة الموت الاخير ممسكين بما تبقي منهم , متشبثين بما لم تنثره الرياح بعد .

-اه يا صديقي بالله خبرني كيف اساعدك , دون ان اقسو عليك , كيف اقوم كسرك دون ان اؤلمك حقا .

كان سيف يحادث نفسه شاردا في ملامح صديقه , كم تغير ف الفترة التي اختفي فيها عند خالته في الاسكندرية . اخيرا عاد حسام الي القاهرة لاقترب الامتحانات , لم يعد الي منزله بعد ولم يجب علي اتصالات امه الا لما , لم يدعن لاصرارها علي عودته لذلك السجن الذي يطلقون عليه منزله , لن يفعل ولو علي جثته .

رن جرس هاتف سيف فاجاب كان صوت نوران يرتعد قائلا

- سيف اصيبت اروني ووليد في حادث ارجوك تعال سريعا

ورغم الصاعقة التي ضربت احشائه لكنه تماسك قائلا

- حسنا

-ماذا ؟ قالت نوران مستكرة فقال

-انا في الجامعة مع حسام

هدات نوران قليلا وقالت

-حسنا هذا عنوان المشفي حاول ان تحضر سريعا انا ساذهب الي هناك الان

-حسنا

اغلق سيف الهاتف , ووضعه علي الطاولة , ولم يحرك ساكنا, ابتلع ريقه بصعوبة, تحت مراقبة نظرات

حسام الذي قال

-مايك ؟

بعثر سيف نظراته في المكان قائلا

-لا شئ

رفع حسام حاجبيه في دهشة وقال

-سيف , انت تعرف انك لا تجيد الكذب لذا توقف عن هذا واخبرني مالا امر

نظر له سيف متمعنا , ولم ينس بنت شفة فقال حسام الذي اشاح بنظره بعيدا

-اذن فالامر بخصوص ارووي , هيا هات ما عندك .

لم يحر سيف جوابا لكنه ظل ينظر له فاستطرد حسام

-هيا ياسيف ارجوك اخبرني مالا امر

-ليس من شانك .. قال سيف بوجه جامد

فاجاب حسام غاضبا

-وهل هذا من شأنك انت ؟؟؟ منذ متي واوري صارت ليست من شأني

اغمض سيف عينيه لبرهة ليلتقط انفاسه قبل ان يفجر قلب صديقه قائلا

-يوم تزوجت , لم تعد من شأنك .

ضحك حسام , حتي التفت له كل من بالمكتبة التي جلس فيها وسيف , ضحك حتي كادت معدته

تنفجر, كان جسده يهتز بقوة , اخيرا استعاد توازنه وقال وقد سيطر علي ضحكه قليلا ولكنه لا زال

يضحك بقوة

- من تزوج ؟؟ بالله عليك ماهذه المزحة السخيفة

-اروي يا حسام تزوجت منذ مايقرب الشهر

بدأت الضحكة تنضب وتتحول الي ابتسامة مكسورة ثم عقدة حاجبين ووجه مكفهر وانفاس متهدجة

حاول حسام ان يستوعب الصدمة لكن سيف لم يمهل , اراده ان يأخذها كلها دفعة واحدة لينتهي الامر

- تزوجت من وليد مروان .

جحظ حسام مقلتيه , كان قلبه يدق بسرعة جنونية حتي ليكاد يدفع بقفصه الصدري ,

-لا ليس وليد . كان يتحدث كأنه يهمس لنفسه .

اشفق عليه سيف لكنه لم يحرك ساكنا حتي اندفع حسام خارج المكتبة في غضب , يلحقه سيف

-الي اين تذهب ؟ ناداه سيف فالتفت له والشرر يتطاير من عينيه

-الم تجد الا وليد , ثم انت كنت تعرف لماذا لم تخبرني قبلا , ها , وتقول انك صديقي

امسك حسام بياقة قميصه قائلا

-لن انسي لك هذا ياسيف ابدا

نفضه بعيدا وابتعد ليرتطم صوته بأذنه من جديد قائلا

-اروي بالمشفي الان , اصيبت في حادث

انتفض جسد حسام وتسمر مكانه , وقد جف ريقه وامتقع وجهه

سار سيف نحوه وربت علي كتفه قائلا ..

-سأذهب للاطمئنان عليها واطمأنك عنها

-بأي مشفي هي ..

نظر له سيف بأسى وقال

-ليس من شأنك يا صديقي , افق اروي لم تعد من شأنك

لم يجرؤ حسام ان يرفع نظره صوب صديقه الذي انسحب من المشهد , فلم يجد حسام نفسه الا متتبعا
سيارته حتي استطاع ان يعرف بأي مشفي كانت , اوقف سيارته قريبا من المشفي انتظارا لفرصة
للدخول ...

وصل سيف والقي التحية علي نوران واروي , نظر لها مشفقاً وقال

-كيف حالك ؟

ابتسمت في وهن وقالت

-يقول الطبيب اني بخير

-وماذا تقولين انتي ؟

زفرت زفرة طويلة وقالت

- اقول ان ماتبقي مني بخير , فقط ماتبقي

تبادل نوران وسيف نظرة صامتة ذات معني ثم شرد ثلاثهم كل في ملكوته الخاص , حتي قطع وليد الصمت حين دلف الي الغرفة دخل وليد , سلم عليهم وجلسوا يتبادلون اطراف الحديث , يرمق اروي الشاردة بنظرة هاربة بين فينة واخري .

-تري ماذا يدور في راسك يااروي ؟

كان وليد يحادث نفسه , لا يعرف ماذا قررت ان تفعل ولا كيف تشعر الان , لماذا تبدو هادئة كان شيئاً لم يحدث ؟ كان سيف ونوران يتحدثان عن ذكريات خطبتهما فساله وليد

-اخبرني ياسيف متي اخبرت نوران انك تحبها ؟

خفضت نوران بصرها في خجل فضحك سيف ضحكة عذبة وقال

-يوم خطبتنا , تماما في اللحظة التي وضعت فيها الخاتم في اصبعها اذكر انني همست في اذنها "احبك"
كان المشهد افضل بكثير من ذاك الذي ظللت اتخيله لثلاثة اعوام

قال وليد مندهشا

-ثلاثة اعوام دون ان تخبرها انك تحبها

نظر سيف اليها نظرة طويلة .. في عمق عينيها كان يحرق ...سرت في جسدها ارتعاشة خجلة لكنها لم تستطع الهرب من عينيه ..جمدت نظرتة كل قدرتها علي الحركة ...لمعت عيناه وقال ..

-اجل , دون ان احديثها الا لماما ولمرات قلائل , لا يمكنك ان تتخيل كم كنت اتالم وكم كنت اشتاقها , كم مرت الايام ثقيلة دونها , وانا اراقبها عن هذا البعد دون ان امتلك قوة لذلك , كنت خائفا ان يعاقبني الله اذا كنت الي جوارها او اقتربت منها بدافع الحب , دون ان املك الحق لذلك , فينتهي الامر بنا منفصلين ممزقين , كنت علي ثقة ان الله لن يخذلني بل كانت دعوة واحدة تتردد دائما علي لساني اللهم ان في القلب مضغة تمفو الي الفها في غير معصيتك فاتم علي نعمتك واجمع شملي علي سنة نبيك صلي الله عليه وسلم .

كانت عينا سيف لاتزالان معلقتين بعيني نوران التي كانت تبسم في خجل ..اما ارووي ووليد فقد نظر كل منهما بعيدا ..ينفت في حسرة وضيق .

بعد مغادرة سيف ونوران جلس كل من وليد واروي لأول مرة وحدهما ف الغرفة , كان يجلس الي كرسي بجوار السرير محمقا باصابعه التي راح يعبث بها في صمت طال كثيرا , حتي قطعه بقايا صوته

-انا احب سارة منذ مايقرب العام الان , انتي تعرفيني لم يسبق ان احببت فتاة او اهتممت بالامر حتي لكن قلبي خفق لسارة , استطاعت ان تمز وليد مروان الصنم كما كنتم تطلقون علي , لا اعرف لما كنت احبها , فقط كنت افعل , لا تسأليني كيف انتهي بها الامر متزوجة من رجل اخر , ولا تسأليني

لماذا صرت انت زوجتي الان , ولا تساليني عن اي شئ فأنا لا احمل اية اجابات , انا لا احبك واعرف
انك تعرفين ذلك , انسي ماحدث ان استطعت , او لا تنسي , صدقيني لم يعد اي شئ في الحياة يشكل
فارقا عندي , سيان ان اكملنا او افترقنا , سيان ان كرهتيني او ظللت صديقك كما كنت , ان اردت
فاعتبري ليلة امس لم تكن

نظر اليها لأول مرة منذ بدأ حديثه , كانت دموعها تتساقط انهارا , تنحفر في وجنتها تاركة اثرا لم يكن
من الممكن محوه .

- كأن شيئا لم يحدث ؟

صرخت فيه مستنكرة من بين شهقاتها .

- اتريدني حقا ان انسي ليلة امس كأن لم تكن .

صرخ فيها بدوره

- افعلي مايجلو لك اخبرتك ان الامر لا يشكل فارقا بالنسبة لي , هات ما عندك .

الشيء الوحيد الذي امتلكته اروني كان ان تفلت في وجهه .

وقف غاضبا كاد يهوي بيده علي جسدها لكنه ضربها بالسريير قائلا

- ليس انا من يتفل بوجهه يا اروني , اقسم انك لو كررت ذلك , فربما ارتكب جريمة

تركها وخرج مغادرا المشفي ...

ماان لمح حسام الواقف بسيارته خارجا حتي تاكد ان المكان اصبح خاليا ويامكانه رؤيتها فتسلل الي
المشفي غير ابه بكل الاسباب المنطقية التي تمنعه من الدخول , ماذا لو عاد وليد! ماذا لو تشاجرا! في

الحقيقة تمنى لو فعلا سيكون حريصا علي تمشيم عظامه , سيلكمه حتي يتزف , وصل الي الغرفة , ما ان وضع يده علي مقبض الباب حتي استقرت يد علي يده رفع بصره ليرتطم بوجه حسن الثائر والغاضب , سحب حسام يده بسرعة خفض راسه في خجل كطفل ينتظر تبويخ ابيه اتاه صوت حسن بعد صمت طويل كان كفيلا بجلده

-ماذا تفعل هنا ؟

-.....

-اجبني

-... ..

بدأ حسن يفقد اعصابه وامسك بياقة قميصه وهزه في عنف قائلا وهو يضغط علي اسنانه

-ارحل من هنا حالا , وليد سيقنتلك ان رآك , ارحل هيا

دفعه بعيدا وفتح الباب ودخل , تاركا اياه واقفا في مكانه متجمدا , الان يدرك ان الاقتراب من رؤي اصبح محظورا الفتاة التي كانت قبل وقت قليل ملك يده , صارت بينه وبينها سدود وحده بناها , سمع صوتا قادما من خلفه فالتفت كان هذا وليد , لكن حسام لم يواجهه بل لم يجد نفسه الا مبتعدا عن الغرفة قبل ان يصل ...

دخل حسن الي الغرفة فادعت رؤي انها نائمة اذ لم ترده ان يري بصمات الدموع علي وجهها سحب كرسيها وجلس الي جوارها وبدأ يتحدث اليها كأنه يخبرها بأشياء يعرف انه لن يقوي علي قولها امام عينيها, اشياء وقف وليد العائد الي المشفي وراء الباب منصتا يسمعها

-سأعرف لك بامر ما لاول مرة صغيرتي , كنت دائما اتجنب ان اتي بذكر والدتك حتي لا تتألمين . لا تعرفين انتي كم كنت احب والدتك , لثلاثة اعوام في المدرسة الثانوية , وسبعة اعوام في كلية الطب , لم افعل شيئا سوي مراقبتها عن كثب , كنت دائما في الجوار وكانت تعرف هي ذلك , اخبرتني مرة ان وجودي كان يمنحها شعورا انها ليست وحيدة وانها في امان , في العام الاخير في الكلية تقدم رجل ما لخطبتها , اه لو تعرفين كيف جن جنوني , شعرت كأنهم سيسلبون روحي مني , لا اعرف ما أصابني , ذهبت الي جدك لاطلب يدها , كنت صادقا اخبرته اني لا املك شيئا , لكنه لن يجد رجلا يحبها او يحافظ عليها مثلي , لا اعرف من اين اتني الشجاعة لكل ماخبرته به حينها , الحب يفعل المعجزات

ضحك ساخرا ثم اكمل

-جدك وثق بي , وانا وثقت بوليد بدوري , وليد رجل ياروي ثقني انه سيحافظ عليك , فقط ثقني به وامنحيه فرصة

ربت علي يدها وصمت , وترك نحيبها الاخرس يحرق روحها

- اه ياابو علي فقط لو تعرف هذا الوليد ومافعل ..! فقط لو تنظر في عينيه ستدرك انه ليس الرجل الذي تظن .. ماذا سيكون رد فعله , ايتحمل قلبه المريض ؟

وضع وليد وجهه بين كفيه ..

-ياااري!! !!

احس بكلمات حسن تخترق جمجمته ..شعر بأظافره تحتك بجدار رجولته مصدرة صوت صرير مرير ...
نفذ وليد راسه في غضب , حسن ضرب علي كل اوتاره الحساسة بمطرقة من حديد ودفعة واحدة ,
ايتنه لم يسمع ليته لا يثق به الي هذا الحد .

مساء اتت والدة وليد واختيه لزيارتها وبعدها انصرفوا وانصرف في اثرهم حسن الي منزله طالبا بعض
النوم , عاد وليد بعد ان اوصل عائلته الي غرفة ارووي , كان يحتاج لان يتحدث مع ارووي , لا بد من
وضع النقاط علي الحروف , الخدوش التي خلفها حسن علي رجولته لن تمحي بسهولة ...

مجددا يجلس ذات الجلسة لكنه مستمع لا يتحدث هذه المرة , كانت ارووي تتحدث بجنرة غير
حنجرتها تتنفس برئتين غير رئيتها ,

-حسن لن يتحمل صدمة كهذه , لا اعرف ماقد يحدث له ان اكتشف كم انت

صمتت لثانية تحاول ان تختار كلمة مناسبة لوصف وليد لكنها عجزت .

ابتسم وليد ساخرا وقال

-الهدا الحد . ؟

-اجل ، ولكن لا تظن ان الخطأ فيك، بل في انا التي لا تفتأ تخطأ في فهم الاخرين علي حقيقتهم

اطرق صامتا فاكملت

- المهم اني موافقة علي اكمال هذا الزواج , لا اريد لابي ان ينكس فقلبه قد لا يتحمل

اوماً وليد قاتلاً

-حسنا اذا , وانا اعدك , اعتبري انك تزوجت وليد صديقك فحسب , سنكون مجرد صديقين يربطهما عقد زواج , لن يتعدي الامر ذلك .

-حسنا

دق جرس الباب , فوضع كتابه جانبا وسار ليفتح , وجد رجلا اربعينيا بشوش الوجه يقف امامه , ابتسم له سائلا عما اراد فسأله الرجل عن اخاه الاكبر فقال سيف

- اخي ليس موجودا الآن للأسف , اذا أردت ان تخبره بشئ فقل لي وسأخبره

مد الرجل يده ببعض المال لسيف قاتلاً

- ان كنت اخاه فلا بأس , خذ هذا هو ايجار هذا الشهر , وابلغ اخاك اننا سنخلي الشقة في نهاية الشهر القادم , ان اراد ان يبحث عن مستأجر جديد .

جحظ سيف مقلتيه سائلا

- اي شقة تعني ؟

قطب الرجل حاجبيه متعجبا ووصف له مكان الشقة , تراجع سيف في صدمة غير مصدق , سلمه الرجل المال وانصرف تاركا اياه يتخبط في غضبه وحيرته , كيف تجرأ اخوه علي تلك الفعلة , يجبر سيف ووالدته وزوجة اخيه علي التكدس في تلك الشقة بينما يؤجر الشقة المملوكة لسيف لصالحه هو

, اهذا ما يفعله بتوكيل الادارة الذي اعطاه اياه , يستغله؟؟ , اذا هو لم يرده ان يبقي معه في شقته
للعناية به , انما امعانا في استغلاله وحسب , ذهب سيف الي غرفة والدته وقص لها ما حدث , اعطاها
المال وطلب منها الا تخبر اخاه انه عرف اي شئ , لم يرد صداما , ليس مع اخيه وليس بتلك الطريقة
ابدا , خرج من المنزل , يتجول بسيارته محاولا ان يتخلص من افكاره .

وماذا تفعل لتقهر واقعا لم يفعل شيئا الا قهرك !

تجد جبينها , واعترقا رجفة بكاء , لتسقط الدموع الساخنة علي وجنتيها , تحاول الا تذرف الدموع
فيقهرها ذلك الشعور القمى الذي لازمها منذ الصغر , ولم يزد الا ضراوة بمرور العمر , خليط كرهه ,
من العجز والقهر , تزدده رغما عنها كل يوم لتستمر الحياة رغم كل شئ , وهل تملك خيارا اخر ,
مهما كتبتوا انفاسها ومهما تعالا الصوت المتمرد في حشاها قتلته , بيد ان احد الاشياء التي لا يجدي
التمرد عليها هو الفقر !

نوران الصغيرة التي ولدت بعد ذكرين يكبرانها باعوام قلة في حساب الايام , وتكبرهم هي عشرات
السنين بحساب القهر , نتيجة طبيعية لان تولدي فتاة في منزل ذكوره يتجرعون مر الحياة لاجل بضع
لقيمات بالكاد تسد الجوع , الم تقف هي مرات ومرات بهذا المصروف الصغير امام "كشك" المدرسة
تحسب مرة وراء مرة ما يمكنها ان تشتريه , بعد ان ارغمت عينيها علي اشتها ما تستطيع شراؤه فقط
, الم تكبت هي دموعها امام هؤلاء الفتيات اللاتي سخرن منها ومن فقرها يوم حصلت علي مصروف
كبير وقررت ان تشتري لهن شيئا كما كن يفعلن معها فجاءت اجابة احدهن القاطعة

-انتي تشتريين لنا نحن شيئا ما .. ؟ هل سطا والدك علي بنك حتي تحصلي علي المال الكافي .

اوغر الامر في قلبها الصغير , ندوب الطفولة التي تشكلنا والتي تبقي مهما كبرنا مؤلمة نازفة , شعرت انها تعرت امامهن , لم تكن تعرف ان احدا يعرف سرها لكنهن يتلامزن سرا هذا ما اكتشفته , كم كرهت تلك الفتاة حتي اليوم بل حتي اللحظة , في كل مرة اذلتها او سخرت منها او استغلته , او اوقعت بينها وبين صديقة ما , لتصير نوران وحيدة متفوقة علي نفسها منذ ذلك الحين تمر السنون فتزداد خطوط شرنقتها التفافا , ويزداد جوها الرتيب اختناقا .

ويزداد القهر وطأة داخل جدران منزلها الذي يدوي صوت القهر فيه كاسرا كل الاصوات التي بحت بها الحناجر , لكنهم كانوا يصرخون رغم ذلك يتناوبون في سلسلة هرمية هي اسفلها , يصب الجميع جام غضبه عليها

-انتي صغيرة لا تتدخلني , قومي بهذا العمل لقد كبرت , لا شأن للفتيات بهذه الامور , هيا نظفي هذه فهذا عمل الفتيات .

كان الواقع يضغط عليهم فيضغط الجميع عليها فتتضاءل وتتضاءل اكثر في كل مرة , لكنها رغم ذلك تشفق عليهم , ابوها الذي يعود كل مساء منها مطرقا , يخرج مافي جيبه وما جمعه في عمله اليومي ويحسبه في حسرة , بضعة عشرات من الجنيهات بالكاد تكفي , مسكين هو ابوها رغم فقره المتقع اصصر علي تعليمهم جميعا , تخرج زياد اخوها الاكبر من كلية الهندسة منذ عامين ووجد عملا منذ فترة بشق الانفس , امام خالد الاصغر فتخرج من كلية التجارة العام الماضي ولا زال يبحث عن عمل دون اي جدوي , وهي تفصلها اسابيع قليلة عن التخرج من كلية الالسن , تلك التي تعلمت فيها كبت كل شئ رغبت فيه اضعاف ماكانت تفعل , فجأة وجدت نفسها بين هؤلاء المرفهين الذين ينفقون اموالهم في تفاهات لا تسمن ولا تغني من جوع , في حين يتقلص العمر عندها بشعور فتاة السابعة ذاته تقف امام

مطعم الكلية تحسب للمرة الخامسة كم سيتبقي معها لو اشترت شطيرة الدجاج التي تشتتها بدلا من شطيرة البطاطس الاقل سعرا , نتيجة مفاجعة وصلت اليها في كل مرة فقدت اثرها رغبتها في الاكل وانسحبت , وهكذا مرورا بالثياب الاحذية والحقائب , والتره التي لا تنتهي والتي كانت تقول عنها في كل مرة

-اسفة ابي لم يوافق

رغم انها لم تطلب منه يوما ورغم انه لم يرفض يوما , لكنها كانت تاخذ ذلك القرار بعد ان تعرف ان الجنيهات في جيبها لن تكفيها , ولن تجرؤ علي طلب المزيد .

وهاهو سيف يزيد الطين بلة , لقد كان حبه اكثر شئى جرعها الويل , هي التي عجزت ان تكبته او ان تبقيه حبيس صدرها كل تلك السنوات , لا تذكر كم ليلة بكت اشتياقا له , ولا رغبة في طرده عن راسها , كم ليلة قضتها ساهرة في حضرة غيابه , كم كانت مقهورة تبكي حبا بلا امل , مهما استشعرت اهتمامه الصامت , لم يكن ذلك يساعدها في شئ .

لكن ذلك انتهى نهاية سعيدة لاول مرة بتلك الهمسة الناعمة في اذنها يوم البسها خاتم الخطبة

-احبك

دغدغ روحها بكلمته ونبرته الرقيقة , راح قلبها يخفق ويخفق , متراقصا , عوضها الله بسيف عن كل تلك الاشياء التي حرمت منها .

كفكفت دموعها المنهمرة والتقت هاتفها واتصلت به , كان لا يزال يدور بسيارت محتنقا , فأتاه اتصالها كطوق نجاة ,

-مرحبا كيف حالك حبيبي

اتاه صوتة العذب فقالت

-مشتاقه اليك .

انتفض سيف اثر النبرة المخنوقة في صوتها

-مالامر هل انتي بخير !؟

-نعم , فقط مشتاقه اليك , لا شئ غير ذلك .

-من في المتزل الان . ؟

سأها سيف فاجابت متعجبة

-اخوأي وابي وامي هنا

-حسنأ اخبريهم اني سأمرك بك الان ..

اغلق الهاتف ليترك دموعها تنسكب اكثر , ماذا ستخبره حين يأتي , ان والديها لا يعرفان كيف يسددان

تكاليف خطبتهما التي مرت عليها اسابيع حتي الان , تخبره ان والدها صرخ في وجهها توا

-لماذا اصررت علي شراء كل هذه الاشياء , انظري الي حالتنا الان , كيف سأسدد هذا الدين اخبريني

حاول والدها ان يفرغ عجزه علي رأسها هي .

مرت ساعة او اكثر حتي وصل سيف ودلف الي الغرفة حيث كانت تجلس في انتظاره , مان رأته حتي

سارت نحوه والقت بثقل افكارها بين ذراعيه , تبكي بحرقة تكوي قلبه , لم يسألها ماذا يبكيها , تركها

تفرغ حمي الدموع في صدره حتي تكتفي , كل لديه اشياء تقهره ولا يرغب بالبوح بها ابدا كل ما

يحتاجه هو ذراعين يفضي اليهما سرا بألمه وحسب , كان سيف يعرف هذا ويحترم انها قد لا ترغب
بالبوح , تماما مثله هو فقال

-انا هنا الان يانور , لا تقلقي كل شئ سيكون بخير , احبك يا مجنونة .

ابتسمت نوران بين دموعها وعادت تبكي بقوة اكبر .

الاستسلام

خرجت ارووي من المشفى اخيرا , وبدأت رحلة طويلة من تفريغ الغضب بين الكتب , وجدت ف المذاكرة مهربا من اسئلة حسن عن غياب وليد الدائم , , ومهربا من سارة المقيمة في عيني وليد وحسام الساكن في حبالها الصوتية ومهربا من سيف ونوران التي بدأ نوع من الغيرة منهما يتسلل اليها , هي التي لا طالما رأت حب سيف الصامت ضعفا , كم كانت غبية , لا طالما كان سيف رجلا بحق , استطاع ان يحافظ علي الفتاة التي احبها , حتي تزوجها في النهاية وقريبا يأخذها الي بيته في فستانها الابيض , كم تأخرت في ادراك ذلك . افرغت كل ذلك ف الكتب كان اخر ما ارادته فشل ذريع اخر ف الدراسة يضاف الي فشلها ف الحياة .

اما وليد فاستغل اول فرصة سفر في عمله وهرب بعيدا في محاولة لالتقاط انفاسه من كل ما يجري , فقط حتي يهدأ فلم يعد يتحمل ان يبقي في ذات البلد مع سارة وتفصلها عنه كل هذه المسافات ولا ان يكون قريبا الي هذا الحد من ارووي رغم رغبته في الابتعاد عنها مقدار اعوام من السفر, لماذا هناك دائما اشياء حلمنا بها ولم تتحقق بينما الاشياء التي كرهناها بقيت تحيط بنا ؟ دائما ما كان هناك شئ ما لم نقله .. دمعة ما ظلت حبيسة اجفاننا المكابرة .. صرخة تصلبت فوق حبالنا الصوتية ولم تخرج , لا طالما كان هناك كذبة ادعينا اننا صدقناها لاننا خفنا الحقيقة الواضحة .. ولا طالما كانت هناك حقيقة مخفية لم نعرفها يوما .. هناك دائما نظرة ارتطمت بالارض ولم تصل وجهتها .. خوف تركناه يمتلكنا فلم نحرك ساكنا دفاعا عن انفسنا .. هناك غضب اضطرم في احشائنا فارتكبنا حماقات جعلتنا نخسر كل ما نريد .. هناك دائما وجهة اخيرة توقف قطارنا قبل ان يصلها .. هناك صفحات كتبناها وطويناها في داخلنا دون ان يعرف عنها احد شئ .. وهناك اشياء افتضحت رغما عنا .. هناك نحن نستسلم ونرضخ للتيار الذي

يجرفنا , متسلمين لحب قديم ينحت كالموج صخور الشاطئ حتى تتآكل , عالقين لا نحن نخلص مما يقيدنا ولا ما يقيدنا يمل منا , نسير باثقالنا مرهقين , لكننا لا نعرف وسيلة للتحرر , فنأخذ الطريق المختصر ونستسلم .

ليس في خياراتنا شئ سوي الرضوخ لما يرهق انفاسنا فيقهرها .

عاد وليد قبل ان تبدأ اروى اختباراتها بيومين , عاد لان الزفاف اقترب وعليهما ان يبدأ في اعداد الامور لزفاف ضخم سيجمع زفافه واخته في ذات الليلة..

كانت اروى ونور تزوران المحلات واحدا تلو الاخر دون كلل سرعان ماوطد الامر صداقتهما الامر الذي اراح وليد لان اروى دائما مشغولة مع اخته ولا تصدر اي الحاح عليه اطلاقا, مالا يعرفه انها ليست مهتمة لا بالزفاف ولا به اصلا .. نظرات حسام لها طوال ايام الاختبارات كانت كفيلة يادخالها في غيبوبة من اللاشعور , فلم تسمح لنظراته ان تحترق جبال الجليد ف قلبها المحترق .. اشياء كثيرة في حسام انهارت امامها ... لم تعد تشك للحظة انه قمى وكريه وانه اصبح يثير في داخلها رغبة قوية للتقيؤ ... ملامحه التي احبتها تراهها لزجة ومنفرة .. عيناه التي غرقت فيها .. تراهها مستنقعا من الوحل ليس الا .. صوته الذي كان يتردد في ضلوعها صار يشبه فحيح افعي ماان تسمعه حتى تهرب من المكان قبل ان يصل اليه نجحت ف التملص من رؤيته خارج قاعة الاختبار طوال ايام الاختبارات حتى كان ذلك اليوم الذي كان سيمر فيه وليد ونور لآخذها لرؤية قاعة الزفاف وقفت تنتظرهما امام باب الجامعة حين اتاها صوته

-رؤي!

التفتت اليه منتفضة وقالت بابتسامة باردة

-مرحبا

سرعان ماعادت تنظر الي الطريق في قلق وتعلمل ...وقف الي جوارها قائلا

-تنتظرين احدهم ؟

اومات براسها علي مضض فقال

-وليد؟

نظرت اليه باذدراء وقالت

-اجل

ابتسم ابتسامة باهتة وقال

-مبارك لك

-شكرا

صمت لبرهة ثم قال

-لماذا وليد بالذات ؟

جحظت مقلتيها ونظرت اليه

- اهذه مشكلتك !! اني تزوجت وليد , اكان الامر ليصنع فارقا لو اني تزوجت رجلا اخر ؟

اشاح بنظره ولم يعقب فصرخت فيه .

-احقا هذا كل مايهمك يا حسام , انت غير مهتم اني اصبحت ملكا لرجل اخر , وكل مايهمك هو هذا الرجل , كرهك لوليد اهم مني الي هذا الحد .

-انا لم اقصد هذا . قالها بنبرة خافتة .

فعادت تصرخ

-نعم فعلت تزوجت وليد , لانه رجل , اتعرف معني ان يكون المرأ رجلا , اتعرف معني الا تعيش لحظات مسروقة ليست من حقك , اتعرف الوجع الذي كنت تخلفه في قلبي حين تترك يدي ما ان نري شخصا نعرفه , معني ان اعيش ثلاث سنوات مهددة ان تفلت يدي في اي لحظة وقد فعلتها فعلا .

قال لها وبقايا غضب في صوته

-انت لا تعرفين شيئا , لماذا لا تحاولي ان تفهمي اني لا املك شيئا في يدي , لم يخبرك سيف ماذا فعلت انا , اتصدقين اني ذهبت الي والدي وتحدثت اليه , توسلته ياروي لاجلك انتي , هل اخبرك اني لم اعد الي منزلي من يومها حتي الان

قاطعته مهددة بسبابتها

-يكفي . سئمت اعذارك هذه , ابوك ومشاكلك التي لا تنتهي , انت لم تكن تنوي ان تفعل شيئا , حتي لو وافق والدك ووالدي , انت لم تكن تريد مسؤولية , تريد ان تظل الطائر الطليق الذي لا يقيده احد , لا اروي ولا اباك ولا شيء , تتمرد لاجل التمرد فحسب , تحطم اي قيد ولكنك احمق , لانك في الحقيقة الوحيد الذي تقيد نفسك , انت لا شيء يا حسام صدقني انت لا تستحق العناء , والدك معه حق في كل مايفعل ..

امسك بيدها حتي كاد يعتصرها وقال بغضب هادر

- كفي , اياك ..

لم يكمل حسام كلمته قاطعته لكمة ارتطمت باسفل فكه ليجد نفسه طربح الارض فجأة حالما استفاق من مفاجأته وجد وليد بطوله الذي يتخطي حسام بعدة سنتيمترات وببشرته السمراء وشعره الاشعث الحالك السمرة وذرات العرق تتصارع فوق جبينه وتغلي علي اثر غضبه ...واقفا امام اروى التي بدت قصيرة وصغيرة جدا امام جسده الغاضب ...لثوان لم يعرف حسام كيف يتصرف شلت الصدمة تفكيره ... كاد وليد يتقدم باتجاهه ليوسعه ضربا لولا ان وقفت نور امامه وقالت

- اخي كفي ارجوك , الجميع ينظر الينا

استعاد وليد شيئا من هدوئه فامسكت نور بذراعه وادارته ف الاتجاه الاخر مان ملح اروى التي كانت تقف وراءه حتي امسك يدها بغضب وسحبها خلفه ...

فتح باب السيارة ودفعها الي الداخل في حركة عنيفة آلت جسدها كثيرا ..استدار وركب الي جوارها وركبت نور بالكرسي خلفه ..ادار السيارة مسرعا وانطلق في الزحام صارخا فيها

- من هذا ال *****

اصطدمت الفاظه القميئة بأذنها فكادت تبصق علي وجهه لكنه استطرد

-رائع , انا حقا مندهش , زوجتي انا تقف امام هذا الامعة ممسكا بيدها امام الجميع , هل جننتي , الا

تفكرين في تصرفاتك ابدا !!

لم يخرج صوتها ابدا ..لم تتحمل فكرة انه يهينها بهذه الطريقة امام اخته التي راحت تقول

- وليد كفك , ارجوك ليس الان

لكن ذلك لم يزد الا ضيقا فعاد يزجر .. ويزأر في اذن اروى التالفة بالفعل

- لن ادع هذا يمر بسلام يا اروى , اعدك

لم تجد اروى نفسها الا صارخة فيه

- انت لا دخل لك في اى شئ افعله افهمت , لا شئ افعله سيضاهي كونك اخذتني لزفاف حبيبك

لذا اصمت ولا تصرخ عليّ مجددا

ضرب وليد علي المقود في غضب فصرخت فيه

- اوقف السيارة يا وليد ودعني اعود الي المنزل

- الن تذهبي معنا . ؟

سألت نور محاولة ان تهدأ الجو المشحون فعادت اروى تصرخ في وليد

- قلت لك انزلي

اوقف وليد السيارة فترجلت منها واسرع هو مبتعدا , وقفت لعدة دقائق ف الشارع مذهولة لا تقو

علي الاتيان بحركة , شئ واحد تحرك.. كان دمعة حارقة بجرارة بركان من الالم تنحت في وجنتها ,

انقطعت انفاسها ودمعة ساخنة اخري تكوي وجنتها الاخري , كل جزئ في جسدها يأن .

تمت لو كانت امها هنا في هذه اللحظة , لاول مرة منذ اعوام طويلة تشعر انها بحاجة جدا , الان

وحده عناقها قادر علي منحها القوة , سئ ان تفقد امك صغيرا , سيكسرك هذا الشئ كسرا لا جبيرة

تشفيه , ستسير بعمود فقري يعانى الاعوجاج دائما لان المرأة التي كانت لتقومه لك لم تعد هنا , لعينة

هي تلك اللحظات التي يسخر فيها يتمك منك , حين تعرف ان احدا لن يفهمك الا امك التي واراها
التراب , حين تكتفي من ادعاء انك قوي وانك تستطيع مجاهدة اي شئ , لتكتشف انك هش ولا تقوي
علي الوقوف حتي , يفتضح ضعفك , وقلة حيلتك , تتكالب الالام علي قلبك , تنعري من بقايا قوتك
, حتي تبكي في شارع يعج بالمارة , دون ان يلتفت احد اليك , الهذا الحد انت غير مرئي , غير موجود
, الي هذا الحد لا تشكل فارقا لدي احد .. !

كانت دموعها تنهمر كالسيل رغم مراقبة سائق الاجرة لها , وعيونه ملؤها القلق , قال لها بعد صمت
طويل بشئ من الحيرة

-بني هل انتي بخير .. ؟

ابتسمت له في اعياء فمد يده بمنديل ورقي نحوها قائلا

-خذي هذا وكفكفي دموعك , ثق بالله كل شئ سيكون بخير .

ازداد انهمار دموعها الساخنة علي وجنتها , اوصلها الرجل الي بيتها وودعها بقلب قلق , صعدت الي
المتزل , حيث لم يكن حسن , دخلت الي الحمام مباشرة وفتحت المياه فوق رأسها , كما هي بشياها ,
تركت الماء ينصب فوق رأسها مارا بجسدها مختلطا بالدموع علي وجنتيها , التقطت قطعة الصابون
وراحت تغسل يديها بقوة حيث امسكها حسام , قائلة وسط بكائها المحموم

-اترك يدي ايها الكريه .

راحت تفرك يديها بقوة تريد الخلاص من اثر حسام العالق بها , لماذا تركته يتمادي معها الان وفي
الماضي , لماذا تخلت عن مبادئها وتركته يمسك يدها او يضع قبلة عليها , او يحيط كتفها بذراعه , كيف
كانت لجوجة ووقحة الي هذا الحد , تغزوها رغبة في التقيؤ كلما مر بخاطرها صورة لهما يمسك فيها يدها

, فنفرك يدها بالصابون اكثر

- دعني وشأني ..

انهارت اخيرا بعد وقت طويل , وقفت تلتقط انفاسها تحت الدش البارد الذي لازال يصب الماء فوق رأسها , اخيرا بدلت ثيابها المبتلة و تسللت الي سريرها وتدفرت بغطائها وراحت تان في صمت , تكتف صوت البكاء فيخفق روحها , لكنها تخشي تلصص الجدران , ربما تخبر حسن سرا انها تبكي .

كم تشعر بالكره الان , ناحية حسام ووليد اكثر , كم تريد ان تنتقم منهما , كم تريد دعسهما مئات المرات , فقط تريد ان تراهما يتوجعان كما تفعل هي الان , تحتاج لتحطيمهم جميعا , لقد اكتفت من تحكهم المرير في حياتها , من الالم الذي يجرعانها الان , لن يسيطر احدا عليها مرة اخري لن يؤلمها احدهم , لن تسمح لاي منهما بالنفاذ الي جراحها مرة اخري اكتفت وحسب .

يقطع الغرفة ذهابا وايابا ويزجر في ضيق , يضع يده اسفل فكه ويحك موضع الالم في غيظ , لا يذكر كم اخذ الامر من وقت حتي استوعب اللكمة التي سقطت عليه , وليد كان غاضبا في اوج اشتعاله , لم يجرو هو حتي ان يتمالك نفسه ويقف امامه , كان ليهشمه دون تردد , كم اشتعل قلبه حين راه يمسك بيد ارووي ويدفع بها الي السيارة , نفض راسه سريعا آملا ان تتلاشي الصورة من امام عينيه , لماذا لازال غير قادر علي تصديق ان ارووي تزوجت من هذا المعتوه , لا طالما كرهه , وكره تعلق ارووي به . لماذا كانت تحترمه الي هذا الحد , ولماذا كان يكتنفها هو برعايته الي هذا الحد , كان يتشاجر معها كثيرا بسببه , يعرف ان مامن رجل يصب اهتمامه علي فتاة كما كان يفعل وليد , الا ان كان يحمل في قلبه شيئا ما , اكان يغار منه او يحسده لا يعرف , لكنه كان يفتناظ حين يراه يحدثها او يمازحها او حتي لا يحاول اخفاء اهتمامه بها , بينما كان حسام يقف بعيدا عاجزا عن التصريح حتي بحبه , صارع الذكري

وابعدها عن راسه , لديه اشياء اسوا يهتم بها , الي متي سيظل في بيت اخته , منذ عاد الي الاسكندرية وهو يقيم في منزلها , من الجيد ان زوجها يملك شقة اخري بجوار شقته والا ماكان حسام ليجد مأوي , تري كيف سيتحصل علي المال , عليه ان يتوقف عن اخذ المال من اخته , القى بنفسه علي السرير واطفاً الافكار في راسه وغفا

عقارب الساعة تتحرك في بهو المطعم الكبير الساعة الثامنة واروي لم تصل بعد بدا العرق يتصبب منه, موقفه اصبح محرجا , كل هؤلاء هنا لرؤية اروي , سبق واتفق معهم ومعها علي هذا الموعد منذ اسبوع والان اصداقؤه هنا واوري لم تأت , تأخر الوقت , وهاتفها مغلق مهما حاول الاتصال بها لا تجيب , ابتلع ريقه في عصبية , تراها تأتي بعد ماحدث في الصباح , اشتايط غيظا حين تذكر مشهد ذاك الشاب الارعن يمسك بيدها , كيف سمحت له , لما لم تصفعه , او تدفعه بعيدا , تري من يكون ومن اين تعرفه ؟ فيما كانا يتشاجران , ولما كانت غاضبة منه الي هذا الحد ؟ نفص رأسه وعاد يحمق في الساعة هاربا من قملل الجمع الذي بدا ينتابه الضيق , معهم حق مرت ساعتان وهم في انتظارها وهي لم تظهر بعد !! ماذا عليه ان يفعل , رسالة وراء اخري سب تارة ومحايلة تارة ..والوقت يمضي ونظرات السخط في اعين الحاضرين تتعالي سطوقها ...الهدا جمعتنا؟؟ بربك اين اروي؟؟؟

لم يكن يعرف ان اروي تجلس في شرفتها ..وقد عقصت شعرها ..وارتدت بيجامتها القطنية الجديدة وبدأت ترتشف كوب النسكافيه خاصتها ,الساعة العاشرة وبدأ الجمع ينصرف رويدا رويدا ..ووليد يموت حنقا وغيظا ..كل يضغط علي اسنانه وهو يزفر في ضيق ووليد اصبح في مقدار حجم نملة حقيرة دهستها اروي بغياهما ...حتي مسحت بها الارض تماما

الساعة الحادية عشر اغلقت اروي شرفتها ..وفتحت هاتفها اخيرا لتجيب...

- مرحبا وليد !

- اه يالهي اقسام اني سأقتلك !!

ضحكت اروى ضحكة صاحبة وقالت

- اوه اسفة ياعزيزي , لقد غفوت قليلا , كيف هم ضيوفك اتمني ان يكونوا بخير !

صرخ فيها

-ان كنتي تظنين اني لن انتقم لهذا فأنت حمقاء

- اراك غدا عزيزي

قالت اروى وقد اغلقت الهاتف دون ان تسمع وصلة سبابه الطويلة علي الطرف الاخر ...ولا يجيبه الا

صوت صافرة مزعج

نزع الهاتف عن اذنه ..واتصل برقم صديقه ايمن نائب مجلس ادارة الجريدة .

- ايمن , اريد خدمة

-مالامر ياوليد !

- اروى عماد , اريدك ان تمحو اسمها من الجريدة الي غير رجعة , لا اريد ان ارها مجددا !

قال ايمن مستكرا

-اروى زوجتك !!

-نعم . قال وليد

فاجابه ايمن

-ولما تظن ان مجلس الادارة قد يوافق علي فصل صحفية نشيطة موهوبة مثلها , مالحجة يا صديقي ,
انت تعرف ان رئيس الجريدة معجب بكتابتها كثيرا , فلما قد يفصلها !

صمت وليد ...وقد ضربه الغيظ حتي فجر خلاياه .. زفر وليد خيبة امله ...ارخي راسه المثقلة بالغضب
و فكر قليلا ثم قال

- انقلها الي قسم الاخبار معي اذا

كان يعرفها هي تكره ان يسيطر عليها احدهم او ان يتحكم احد فيها ستستشيط غيظا , يكفيه هذا
الانتقام .

في الصباح التالي ذهبت ارووي الي الجريدة , اتصل بها وليد لتذهب الي مكتبه .. كانت اكيدة انه ينوي
الانتقام من ليلة امس , سعيدة انها ستري ملامحه المغتازة , اخيرا نالت منه , وجعلته يشعر بالخرج امام
اصدقائه .

ماان دخلت حتي القت التحية

-صباح الخير

تماسك امام ابتسامتها الساخرة ووقف عن كرسيه وسار نحوها قاتلا

-احسني , انت ذكية حقا

-شكرا , هذا من زوقك .

صوب نظراته الجامحة نحوها ... ابتسم ابتسامة ساخرة قبل ان يفجر قبلة بين ضلوعها بقوله ...

-اسمه حسام اليس كذلك . !

ارتعش الوجع في عينيها فادرك انه اصاب مقتل فاستطرد ...

-تذكرته بالامس , تعرفنا في حفل الايتام ذاك، ذاكرتي قروية جدا لسوء حظك.

صمت لبرهة كأنه يفكر ثم اكمل

-من الواضح انكما كنتما تحبان بعضكما كثيرا ومن الواضح ايضا انه اما تركك او انك تركتيه , اظن

هذا كان سبب الشجار اليس كذلك . ؟

تغيرت ملامحها , فادرك ان استنتاجه الذي اتى مصادفة صحيح .

رفعت سبابتها في وجهه وكادت تقول شيئا وهي تقترب منه خطوة لولا ان قدمها علقته بسجاداته

اللعيبة فلم تجد اروي نفسها الا بين ذراعيه وقد طوقها حتي لا تسقط ... حاولت الافلات لكنه اراد ان

يعاندها فاحكم قبضته حول جسدها الصغير لم تجدي محاولاتها للتملص حتي قالت ف ضيق

-اتركني ارجوك

ابتسم ساخرا وقال

-لا لن افعل

حاولت دفعه لكنه قربها منه اكثر , لم يبدو انه سيطلق سراحها فاستسلمت بين ذراعيه , اطلق ضحكة

هادئة منتصرة , ضربته علي ظهره في غيظ , فتعالي صوت ضحكته اكثر , شد عليها اكثر ليستفزها ,

كانت سعادته تزداد كلما شعر بها تزداد حنقا , هوس قديم في استفزازها تحول الي ادمان مع الوقت ,

ظلت في عناقه لبعض الوقت قريبة منه , دافئة , اصاب جسده خدر غريب , اغمض عينيه ولم يجد نفسه بجسده الضخم الا ضئلا جدا بين ذراعيها , دفعته بعيدا فلم يفلتها , نفث انفاسه الحارقة بالقرب من اذنيها وقال بنبرة اسي لم تعهدا اذها

-انتظري لثوان فقط . !

استسلم وليد للشعور الدافئ الذي اراح قلبه بقربها, كان يحتاج لعناق كهذا منذ زمن , يحتاج لان يثلج جسده المحموم قلبا نابضا كقلبها , يمكنه ان يشعر بخفقاها خفقا خفقا تنهادي كالموسيقي الي اذنيه فتبث فيه شيئا من الهدوء, صوت انفاسها يتردد في ضلوعه ليحمد نيرانا اشتعلت طويلا, شد الوثاق عليها قربها منه اكثر لتلتحم بضلوعه اكثر لثانية تمني لو تنفذ الي قلبه ولا تغادره ثانية , ليس لانه يحبها في الحقيقة لكن لانها فقط ستشعر به ربما لهذا بات يكرهها كثيرا لانه يعرف انها ستفهمه , لو ازاح الغضب جانبا سيقف امامها عاريا من مشاعره, وستكتشف انه ضعيف لذا في احلك لحظة لم يعد يتواني عن فعل ماسيجعلها تكرهه , سيبقي الدموع في عينيها عائقا عن رؤيتها له في صورة واضحة , لا طالما ساعدها في الماضي وكان قويا جدا امامها , صادقا , نقيًا , اما الآن وقد اهتزت صورته امامها لم يعد يملك اي شئ , يفضل ان يبقى في صورة سيئة علي ان تراه ضعيفا , علي ان يري الشفقة في عينيها , ربما لهذا لم يبرر لها مافعله معها ؟ ان تكرهه افضل من ان تشفق عليه !! لن يبدأ في ان يبدو ضعيفا امام تلميذته الصغيرة الان , حاولت دفع جسدها لكنه اراح راسه علي كتفها .. ولف ذراعيه اكثر حولها ...كاد يخنق انفاسها لكنها رغم ذلك لم تشعر يوما انها حرة الي هذا الحد , ذراعيه الذين يطوقانها ليسا سجنًا كما ظنت في البداية . فلقد كان صدره العريض فسحة لدموع غافلت عينيها وسقطت لتبلل قميصه , كم شعرت به قريبا , كم شعرت انها امنة ولا تخاف شيئا كم تمننت لو اعتصرها بعناقه املا في الا يفلتها ابدا , لو تبخرت في هذه الثانية فستصعد للسماء خالية من الوجود , لثانية شعرت انها ربما استعادت وليد صديقها الذي فقدته .

اتاه صوت هامسا في اذنها بنبرة استسلام

-ثوان اخري بعد

تنفست وقالت ..

-لماذا !

شد الوثاق عليها من جديد وقال ...

-هذا الشعور رائع !

-وليد؟!!

كاد يخبرها انه يفهم المها الصامت , يخبرها انه رأي النظرة المفجوعة في عينيها وهي تطالع حسام امس ,
لابد انه تخلي عنها كما فعلت معه سارة , ربما لهذا كان غاضبا , لو لم يتمالك نفسه للكمه حتي نرف
بين يديه , انتقاما منه ومن سارة .

لكنه لم يقل شيئا لم تشعر الا بصوت بكاء حبيس يحاول دفنه بين ذراعيها ,

رفعت اروي ذراعيها وربتت علي ظهره بعناقها الدافئ .

دفن راسه اكثر في كتفها وشدها له اكثر , قائلا

-انا اسف

دفنت راسها بين ضلوعه واستسلمت لدموعها ...

- سامعيني ارجوك !

لم يكن لسانه في تلك اللحظة خاضعا لكل الحجج المنطقية التي القاها علي عقله قبل ثوان , تحرك لسانه

بما يدور في قلبه , في اعماقه تمنى لو تغفر له , لو يغتسل من خطاه , يتبرأ من صورته المذنبه في عينيها , ان يحو الماضي كله كأنه لم يكن , ليت ذلك يجدي .

اختنق صوته بالدموع ..فسكت ..ربما لدقائق كانت كافية ليحفظ كل منهما في ذاكرته عطر الاخري بحيث لن يمحي ابدا ...كأنهما تجمدا ..رغم حرارة عناقهما ...غرقا في اللحظة واستسلما كل منهما اراد ان يمنحه الاخر القوة ...لو استمر الامر لثانية اخري بعد ربما كان ليتغير كل شئ.. فقط لو منحهما القدر الفرصة ليفلتا من هذا الوجع ...لو انصاع للشعور الذي اجتاحهما ...لو تركهما يعيشان هذه اللحظة مرات ومرات فقط لانها اكبر من ان تعاش دفعة واحدة , فقط لو لم يطرق احدهم باب الجحيم مجددا ربما دلغا الي الجنة من كان يدري!؟

طرق احدهم الباب ...تمسك بها وليد بين ذراعيه رافضا افلاتها. ...عاد الطرق فشدتها اكثر لثانية ملا فيها انفه بعبقها ثم افلتها ...التفت كل منهما ف اتجاه معاكس للاخر ليمسح اثر الدموع عن وجنتيه .. -ادخل ...قالها وليد الذي جلس الي مكتبه مسرعا ...

دخل ايمن حاملا في يده اوراقا ما ...ابتسم حين وجد ارووي امامه القمي عليها التحية فردتها ثم قال -من الجيد انك هنا

انتفض وليد عن كرسيه وقد تذكر ما طلبه من ايمن , للتو استعاد نفسه من عناقها هذا , للتو افاق من غرقه فيه , للتو انتهت جرعة المخدر الذي بثها حضورها بين ذراعيه في اعصابه لكنه لم يتخيل ان يفيق علي هذه الصدمة...حاول ان يقاطع ايمن لكن الاوان قد فات. - اردت ان ابلغك انك تم نقلك لقسم الاخبار , حسب طلب وليد .

جحظت ارووي مقلتيها وقد اصفر لونها وقالت في شبه لا وعي

-ماذا تقول !

نظر ايمن الي وليد مشيرا اليه وقال

-زوجك يريدك معه في نفس القسم

اللعنة عليك يا وليد ثم اللعنة عليك يا ايمن . صدم وليد راسه بالمكتب ف غضب , تعجب ايمن من رد فعله لكن ارووي لم توله اهتماما وعلت وجهها الابتسامة المعتادة حين تعاند البكاء , توا حملها وليد الي اقصي السماء ثم القى بها لترطم بالارض , فتنهشم جل عظامها , لم تستعده ولا ييدوا انها ستفعل يوما .

ابتسمت لايمن تركت المكتب وانصرفت , تاركة وليد منصهرا فوق مكتبه , لن تعانقه ارووي يوما بعد الان صار متأكدا , تعجب من تناقضه , كيف كان يريد ان تكرهه والآن يريد غفراها , بل يرغب فيها قريبة حد ان يطوقها بعناقها , اسئلة تصدح في جمجمته بلا اجابة , لماذا يتصرف هكذا لماذا صار الغضب يعميه عن التصرف الصائب , امن الممكن ان يشعر المرأ بشئ واضداده في ذات اللحظة ؟

لم يكن الصراع قائما بين فكرة واخري , شعور واخري , انما كان الصراع بين وليد ووليد آخر , رجلين صاروا يعيشان بين ضلوعه , الرجل الذي كان , والرجل الذي صار بعدما تملك منه الغضب , رجل نازف جريح يخاف علي ارووي صغيرته يكره نفسه لانه آذاها , ووليد آخر في قلبه ندبة يكرهها , ندبة تمنعه من ان يرأف بأي احد لان احدا لم يرأف به في الحقيقة , رجل ضعيف يتضخم في صدره ويرجوه ان يكف قسوته عن الفتاة التي ارهقها قهرا , ورجل تضائل صوته رويدا يرفض ذلك , رجل عاشق محبول لازال يحب المرأة التي حطمت قلبه , لازال يحبها اكثر من اي شئ في الحياة .

السقوط

ذهبت هي الي مكتبها واحضرت صندوقا ورقيا لتجمع فيه حاجياتها لن تبكي الان ليس تحت عيني سلمى ويوسف الذين يشاركونها ذات المكتب , اللعنة عليك يا وليد سحقتها في اللحظة التي كادت تنسى لك فيها كل شئ , كانت لتبدأ صفحة جديدة كان ليتغير الكثير لكنه ارادها الي جواره ليقول بأنه مسئول عن نجاحها , انها لا شئ دونه ليثبت لسارة انها حقاً طوع امره وانما تابعه وخادمه الامين .

اغلقت الصندوق وسبقت العامل الي مكتبها الجديد , حيث احضر لها الصندوق وبدأت تفرغه داخل مكتب مكتظ بتسعة موظفين غيرها , اغلبهم من الرجال, كم بذلت جهدا لكي لا تبكي ..

لكن حتي لو بكت ماكان احدا ليسمعها وسط هذا الضجيج الذي يصدره رفقاء المكتب الجدد .. كانت غارقة في عالمها الخاص حين بدأ الصخب حولها يهدأ .. التفتت لتجد ان الجمع بدأ يغادر لاجل استراحة الغداء ... عادت تركز في صندوقها الورقي حين امسكت يد بيدها بقوة ... رفعت عينيها لتراه ولا زالت اثار الدموع باادية علي وجهه جذب يدها الاخري ووضع احدهما فوق الاخري وطوقهما بيديه.

- انا اسف , اقسام اني فعلت هذا بالامس , حين لم تحضري فقط اردت الانتقام منك لاجل ذلك !

-الم تفعل ذلك لتستفز سارة اذن .

اجاب بسرعة

-اقسم لك لم يحدث

-لكن هذا لا يغير حقيقة اني اعمل بقسم الاخبار الان

مسح باصبعه دمعة ترقرت من عينيها وقال

- كلها صحافة في النهاية اليس كذلك ؟

ضحكت رغما عنها فابتسم ... وقبل ان ينطق جملته التالية قاطعه صوت اشعل مراجل الوجع ف اذنيه ..

- هذا رائع حقا , منذ متي والمكتب مكان للغراميات يااستاذ وليد ؟

كان يعرف الصوت لكنه اراد التاكيد نظر واروي باتجاه الباب ليجدا سارة وقد عقدت ذراعيها امام صدرها , ما ان راها وليد حتي سحب يديه من يدي اروي لا اراديا الامر الذي اثلج قلب سارة وجعلها تبتسم ابتسامة نصر .

- لم اكن اعرف ان اروي عماد ستشرفنا في قسم الاخبار , مبروك . الم تكن تقول ان وجودها في قسم الاخبار سيضعف من مواهبها الكتابية , ام لانها صارت زوجتك !

احمر وجه اروي غضبا ... اما وليد فقد شل تفكيره تماما , كل ما فكر فيه انه كان مشتاقا اليها بشدة .

اطفاً وليد سجائر حبه لسارة في ملامح اروي حين افلت يدها ... كم شعرت بالاهانة وسارة تدق مسامير الانتصار في راسها .. لذا امسكت بيد وليد وتشبثت بها وقالت

- وليد زوجي وفي اي مكان يختار ان اكون فيه سأكون فيه , المسكين يشتاقي كثيرا , لذا نقلني معه

ضغطت سارة علي اسنانها وقالت

- لكن هذا لا يسمح لكما بما كنتما تفعلانه قبل قليل انسة اروي ..

قاطعتها اروي

-مدام .. اسمي مدام ارووي !

انهارت كل وسائل الدفاع لدي سارة وانسحبت تاركة اثر احتراق اعصابها عالقا بالمكان .

نفض وليد يد ارووي من يده ونظر غاضبا وقال

-ماهذا الذي فعلته؟؟

سيطرت علي ازيز الغيظ في اسنانها وقالت

-الم تزوجني لتستفز سارة ها انا اقوم بواجبي ؟

رفع سبابته في وجهها وقال

-اياك يارروي ,, اياك ان تؤذي سارة او تهينها بأي شكل , صدقيني سانتقم منك انتقاما شديدا

تركها وذهب فعادت الي مكتبها تجر اذيال الحية الثقيلة ..وليد ..؟؟ كيف سمحت له برسم ابتسامة

علي ملامحها لماذا تركته يعانق خوفها ..تركته يربت علي احزانها ..تركته يترك اثرا مهما كرهته لن

تنساه ..لايمكن لامرأة ان تنسي عقب اول عناق ..شعور اول ذراعين تطوقانها ..الراحة التي تصاحب

وضع راسها بين ضلوع احدهم ..الامان والطمأنينة والحياة التي بثها فيها لدقائق ..ليست اشياء للنسيان

..وليد انت لن تمس شعرة من ارووي ما تبقي من حياتك ..لن تسمح لك بترك اثر اخر لن يمحي ..سى

ان عقل المرأة ربما لا يسجل كل شئ ..لكن قلبها لا ينسي شعورا واحدا مرت به يوما

دخل وليد مكتبه واغلق الباب بعصية ..كيف تجرؤ علي محادثة سارة هكذا من تظن نفسها , لقد اذت

سارة كثيرا بجديتها , هو لا يمكنه تحمل ان تتأذي سارة ابدا , لازال يعرض علي انامله ندما لاصطحابه

لاروي الي زفافها , كيف سمح لنفسه ان يفسد عليها بهجتها لقد كان غاضبا ولا يفكر ..

لازال يجبها لازال كل شريان ووريد وخلية ..تنبض فقط حين تراها..وتحمل حين تغيب ..فقط حين

تحضر ينتشي .. وتقيح حواسه حين تغيب .

لماذا يفعل ما يفعله , مالذي يعميه الي هذا الحد ؟ ما ذنب اروي ؟ ضرب قدمه بالحائط في غضب , منه ومنها , ومن قلبه وكل شئ , ما عاد بإمكانه ان يفكر كل ما يعرفه انه , لن يتمكن يوما من حب امرأة اخري ... لن يتزوج يوما بأميرة احلامه .. سيصطحب اروي الي بيته .. ربما .. لكن فقط كجثة تسحب جثة .. الي مصير معتم لا يمكن ادراك كنهه .. الي اين سيقودهما الطريق؟؟. لعن نفسه مرارا وتكرارا , اصبح يأكل بعضه , افكاره مشوشة تائهة , لم يعد يعرف من هذا الذي يتحدث , لم يعد قادرا ان يخمن رد فعله التالي ابدا .

جلس علي المكتب مرهقا حين سمع طرقا ع الباب فسنح للطارق بالدخول دلقت مساعدته الي الداخل واعطته مظروفا لامعا وانصرفت فتح وليد المظروف ليجد دعوة لحفل اياتام بالدار الذي اعتاد ان يزوره مع اروي

- اروي اروي اروي في كل مكان يا الهي .. !

قال وليد في خيبة ثم وضع المظروف في جيبه وخرج من المكتب هاربا من حصار اروي لافماره وصل الي الشقة التي سيسكن فيها مع اروي بعد الزواج فتح الشرفة وارتمي علي الاربيكة , كان المساء قد حل وزحف الظلام الي السماء , تنهد وليد حين حاصرهما الذكريات لكن الذاكرة ابت الا ان تجرعه الالم الليلة !

تدفقت الذكريات ع راسه .. ذكريات كريهة تمني لو نساها كليا لكن هيهات فقد انصهرت به وانصهر بها فما عاد من الممكن ان تتركه ابدا!

نشأ وليد في عائلة تري ان للرجل فضل علي الانثي وله من الحقوق ماليس لها , وضعه والداه في مرتبة اعلي من اخوته البنات , كان كل شئ متاحا له ومحرم عليهن بل كان من حقه ان يطلب من اي منهن

ان تفعل له مايريد ولا سبيل لاحداهن لتعترض فهو اخوهن الاكبر وفرض عليهن طاعته مهما اراد ومهما طلب ، واستبد وليد كثيرا بسبب هذه المزايا في بداية مراهقته تعلم ان يكون انانيا لا يقيم وزنا ولا قيمة لاي احد سواه ، وكيف يفعل ووالده يبثان في اذنه طوال الوقت انه الافضل والاهم والاعلي مرتبة، تضخم غروره ولم يكن ذاك بيده بل بأيديهما فكم من صدمات صارت بينه وبين اخوته وكانت له الغلبة بفضل والديه رغم انه المخطئ، كم من شئ اشتراه ليرفه عن نفسه به وكان ثمنه حلما من احلام اخوته ، كان وليد يافعا آن ذاك لا عقل فيه ليميز الخطأ من الصواب وكيف يميز بينهما وابواه اللذان لا بد لهما ان ينتشلاه من الخطأ كانا يزينا الاثم في عيونهم!

حتي كانت الليلة التي اسقطت وليد من عليائه فتحطم ولم يقم بعدها ابدا ، فقد كان لوليد اخت تصغره ونور بعام واحد تدعي امل كانت اقرب اخوة وليد اليه واكثر من يعاملها بلين وود رغم ان وده كان به من الجفاء الكثير ، سافر ذات مرة مع امل الي بيت جدتيهما في مدينة اخري وقضيا في منزلها اسبوعا وحين حان موعد السفر رفض وليد ان يعود للمنزل لانه واعد اصدقائه من جيران الجدة باللقاء في اليوم التالي .. توصلته امل ان يعودا للمنزل كانت مشتاقة لامها ولكنه رغم اشفاقه عليها رفض واصر علي البقاء ليلة اخري بعد ... التقي وليد اصدقائه في اليوم التالي و لكنه اضطر للعودة مبكرا اذ كان الجو عاصفا اغمض وليد عينيه وذكريات تلك الليلة البعيدة تتدفق الي ذهنه في سرعة ، كان المطر يهطل بغزارة ، السماء ت برق ويرتجف قلبه اثر صوت الرعد الذي يثقب الاذان ، كانت الريح عاتية ، وامل قد ارتفعت حرارتها وراحت تسعل دون توقف ، اتصل وليد بوالديه واخبرهما ، لكنهما عجزا عن الحضور في الحال ، المطر لا يتوقف والرياح مندفة بعنفوان وسرعة ، حاول وجدته جاهدين ان يضعها الكمامات الباردة ، اعطيها دواءا خافضا للحرارة دون جدوي ، حالتها كانت تزداد سوءا ، كان يراقب جسدها المحموم في خوف وهلع ، مرت تلك الليلة طويلة ثقيلة ، واشرق الصباح هزيلا خافتا يطل من النوافذ علي استحياء ، لازال وجدته حول سريرها ولازال تتأوه في وهن ، مرت ساعة او

اكثر حتي حضر والده بالسيارة المغطاة بآثار مطر الامس , اصطحبها ووليد الي المشفى , حيث تلقت العلاج وتحسنت حالتها بعض الشئ , وخرجوا من المشفى معا في المساء قافلين الي المتزل , الهواء كان عليلا لا ينذر بمطر , ولا ينذر بكارثة , انطلق والده علي الطريق , ودونما سابق انذار , دوي صوت ارتطام عنيف , لم يكتشف انه صادر من سيارتهم الا بعد برهة , حدث كل شئ بسرعة خاطفة انقلبت السيارة , وتعالق اصوات التحطم , لا يبدو اي شئ واضحا بعد هذا , يفتح عينيه بتناقض ليجد نفسه محشورا بين الكرسيين وهناك ايد تمم اليه تحاول جذبته وفعلا بعد عناء , خرج من السيارة غير قادر علي الوقوف علي قدميه , كل شئ يراه مخضب بلون الدم الذي اغرق جبهته , لكنه رآها , ملقاة علي الارض , هامدة , لا تحرك ساكنا , جسدها غارق في الدماء , سار نحوها غير مصدق جثا علي ركبتيه , هزها بيده , لكنها لم تجبه , راح يهزها ويصرخ , ولكنها لم تجبه في اي مرة , راح يصرخ ويصرخ ولا فائدة , عانقه والده وراحا يبكيان بكاء محموما , ينتفضان في ذعر , وهي ساكنة سكون الموتى ! .
سكون لم تفق منه بعدها !

انهار كل شئ في عالم وليد بعد وفاتها انهارت العائلة وغرقت في حزن سرمدي مزق كل فرد فيها وكان اكثرهم وليد الذي راح يلوم نفسه مرارا وتكرارا لانه يري انه كان سببا لما حدث معها لو لم يصر علي البقاء ليلتها ما حدث ذلك كله!

لم يبكي وليد بعد وفاة امل ابدا لم يكن هناك اي شئ قادرا علي ان يجرحه بالدرجة الكافية ليكي ... كلما ضربته الحياة ابتسم لها ساخرا وتحامل علي المة لانه يري انه في الحقيقة يستحق كل هذا , بل كان يفتح ذراعيه للاوجاع مرحبا عل الله يغفر له ويكفر عنه، تغير وليد بعد الحادث كليا اغدق علي اختيه بحنان بالغ .. تغيرت معاملته معهن صار يجهن اكثر حتي من روحه يسهر لو مرضت احدهن ويتلوي الما لو طال واحدة منهن اي اذي ... تحول وليد لوالدهن الغائب دوما في عمله وامهن المشغلة بأمور المتزل وصديقهن وحبيبهن صار وليد كل شئ .. حتي اروى حين رآها شعر انما ابنته ونالها مانال اخوته

من حنان وحب واهتمام كل هذا وهو يري انه يستحق كل الم وكل لحظة وجع يمر بها في ليله كل هذا وهو يري انه لا يستحق حتي ان يشتكي وان كل ما يصيبه انما هي عدالة السماء وذنب امل التي ارهقها بأنانيته حين كانت ع قيد الحياة!

وحدها سارة اشعرته انه يستحق الحب اربكت حساباته دلفت الي حياته كنسمة باردة تداعب وجها مل قيظ الحياة ثم غادرت كريح هوجاء بعد ان فتحت جراحه علي مصراعيها ولم تعالجها .. تألم وليد وفاق الالم كل حدود الادراك والعقل تألم حتي افاق شيطانه .. تكالبت كل الالام التي تجاهلها في حياته عليه .. هو سئ هو يستحق فلما لا يصبح اكثر سوءا ؟ كان وليد اضعف من ان يقاوم كل الغضب والالم وكانت ارووي هي من دفع ثمن اخطائه كلها ...

انسابت الدموع الساخنة علي وجنتيه اصابته غصة حاول كبج الدمع ضغط ع اسنانه حاول ان يقاوم البكاء اغمض عينيه يتوسل الدموع الا تسقط ثم انفجر فجأة, سقط عن الاريغة ارضا وضع يده علي قلبه وضاع في نشيج مرير راح يبكي ويبكي ، لن يمكنك ان تسكت الجراح الليلة يا وليد!

يبكي تسع سنوات من الالم المكبوت يتزف وعود سارة الكاذبة يتقياً شعوره بالذنب تجاه ارووي يفرغ روحه من ذنب امل بكبي وبكي ولم تتوقف الدموع كأنها كانت حبيسة خلف سد منيع وانهار فما عاد من الممكن كبجها .. لن يغفر لنفسه ما فعله بأرووي كيف فعلها؟! كيف آذاها! كيف وهي التي كانت ترجوه دوما ان يبوح بجزئه المدفون .. كيف وهي التي كانت محلصة له حتي اخر لحظة ورغم كل شئ ... بالغائه يخطئون ويخطئ هو وتدفع ارووي الثمن بأي ذنب قتلت؟ الا يعرف انها يتيمة ضعيفة الم يكن يفكر كم سيؤذيها جميعهم كانوا يستحقون العقاب الا ارووي والوحيدة التي عوقبت كانت هي! كيف!

بدأ وليد يهدأ شيئا فشيئا عادت روحه الي جسده ببطء شديد وبدأت الدموع تنساب دون صوت

ودون نشيج او اختناق كان يبكي كأنما يغتسل من اخطائه يرفع يده ليزيح اكوام الدموع المتكدسة علي وجنتيه!

اسند ظهره الي الاريقة وهو يفترش ارض الشرفة يطالع السماء شعر ان نداءا منها يأتيه فقام ليصلي ويبيكي ضارعا داعيا ان يغفر له الله وان يعينه لينسي ليشفي من كل الم .. انهي صلاته وعاد الي الشرفة ونام ع الاريقة من جديد شعر انه اخف و اكثر ارتياحا .. اخرج دعوة حفل الايتام من جيبه وابتسم .. فلربما كانت تلك اشارة لكي ينال غفران اروي و ان كان يري انها قد لا تغفر ابدا!

خلقت المشاعر للضعفاء , ما الشعور الا فعل احق يمارسه الاغبياء , المشاعر تجعل من البشر بمرور الوقت شيئا هشاً قابلاً للكسر , تحول الادمي الي شخص معطل , عاجز عن المضي قدما , بل يقضي حياته متنقلا من وجع لآخر ومن خيبة لآخري , يهلك نفسه وقلبه لاجل ما لا معني له , لهذا لا تؤمن بالحب , اذ انه مخرج بالحبيات , وملئ بالشوك الذي يترك في قلبك جراحا لا تكف عن الترف مهما طوقا الايام , وهي لا تريد هكذا حياة , لا تريد ان يهلكها وجع الجراح النازفة , تري ان الحياة اهم بكثير من ان تعاش علي هامش المشاعر , تتسائل , اذا ظلت حبيسة لسجون الحس فمتي لها ان تعمل وتحيا وتعيش , التعساء هم من يشعرون , هم من يتركون الابواب علي مصراعها في وجه الريح لتضربهم , اما هي فتصك كل الابواب ولا تسمح للنسيم الهادئ حتي بالعبور , العمر اقصر من ان تقضيه في عراكات قلبية غير ذات قيمة , ودموعها اغلي من ان تنسكب لاجل اللاشئ , وبالنسبة لها فكل ماهو آدمي وكل ماهو مرتبط بالحب .. تناديه لا شئ .

هكذا تعلمت من والدها , هكذا قال لها

- كوني عصية ياسارة , لا تتركي المجال لشئ ليكسرك , حطمي اي شئ قبل ان يطالك , لا تدعي احدا يؤذيك , انجحي وعيشي ولكن لا تبكي ولا تتألمي !

واستمعت للنصيحة ونفذتها بحذافيرها , لذا كان من السهولة بمكان ان تنسي امر والدتها , ان تتعاش مع غيابها , ثم بزواجها من رجل اخر بعد طلاقها من ابيها , ثم التعاش مع اولادها , ثم انسحابها الهادئ من حياتها تماما , كان هذا سهلا , اذ تحولت الي جماد , يرفض ان يعتبر المشاعر مهمة , امها غير مهمة , عنايتها غير مهمة , كل ذلك عديم القيمة , الحياة تمضي وتستمر , هذا كان درسها الاول .

وهكذا منذ عمر العاشرة حتي الخامسة والعشرين , حين التقت بوليد الذي قلب موازين كل شئ بالنسبة اليها , رغم كل الخوف ورغم الحصار الذي تضع فيه قلبها الا انه خفق بقوة , ودون مقدمات , مهما حاولت ظل ينبض وينبض , دون توقف , لأول مرة فقدت السيطرة علي كل شعورها , نفذ اليها ولم يترك من مسلك للهروب منه ابدا , احبها فاحبته , لكن الحب لا يصاحبه الا الوجد , وظلت الاسئلة تحيط بها , وظلت المعركة قائمة في داخلها , تحاول دفع وليد بعيدا بكل الطرق , لا تريد ان يأتي يوم الوجد تريد ان تمرب قبل ذلك بمدة كافية , تذكر ذاك اليوم الذي اتخذت فيه قرارها النهائي بترك وليد .

تشاجرا يومها شجارا عنيفا لانهما وافقت علي السفر في ذاك المؤتمر دون ان تخبره قبلا , استشاط غيظا حين وصله الخبر , لا تزال تذكر صراخه

- لماذا لا زلت عاجزة عن احترامي انا لا افهم؟! .. الا يحق لي ان اعرف , ان اتخذ القرار معكي , تقررين السفر لمؤتمر في الخارج لشهر كامل دون ان تفكري في اخباري .

صمتت يومها ولم تجبه فازداد غيظه وقال

- ان كانت هذه الحال اذا فدعينا نفترق , طالما ان رايي غير مهم بالنسبة لك .

القي بكلماته المحمومة الي جوفها وذهب , وبكت , كوت الدموع وجهها , هي التي لا تكاد تذكر انها بكت قبلا , حطمها الوجة , وعرفت مر مذاقه الذي هربت منه طويلا , ارقها تهديد وليد , امثل هذه السهولة يقول انه سيتحركها ! , ليلتها قررت ان تنساه تماما كأن لم يكن يوما , هي تحبه , يعني هي ضعيفة يعني هي ستتألم , وهي لن تسمح بحدوث ذلك .

سافرت هي الي المؤتمر , حيث التقت بمصطفى رجل الاعمال الناجح , لم تحبه , وهذا تحديدا ما ارادته , رجل لا تحبه , رجل لن تكون ضعيفة امامه , احبها هو وتقدم لخطبتها فوافقت , لتتزوج وتخلص من وجع وليد الذي يلاحقها , هكذا افضل وهكذا تستمر الحياة ..

لكن وليد لا زال يقفز الي حياتها يعثر ما يشاء كيفما يشاء ثم يرحل , تذكر كم بكت حين وصلها خبر زفافه وبمن اروى عماد ؟ , غريمتهها !!! , الفتاة التي تتلقي رعاية وليد واهتمامه كله منذ سنوات , ولم يتغير ذلك حتي بعد ان احبها وليد , ثم يظهر وليد في زفافها لاجل ماذا ؟ . اكان يريد ان يراها تحترق , ليته يعرف انها محترقة منذ الازل , فقط ليته يعرف , واليوم , يممسك بيدها في المكتب , يمرر يده علي وجنتها , يهمس لها , يحادثها , شل تفكيرها , شعرت بالف سكين ينغرس بين ضلوعها , ودمعة حبيسة تتأرجح في عينيها , كم تمننت ان تصرخ فيه , وتلك الاروي بأي ثقة تتحدث , بأي عنفوان , معها حق , هذا زوجها , لها الحق في دفع اي امرأة تحاول الاقتراب منه , لها كل الحق .

لا تملك الا ان توبخ نفسها , في كل مرة تري وليد تحرق معاودة عقدهما مع ابيها منذ الصغر , تسمح للوجع باجتياحها وللجراح ان تترف وتترف , صرخت امام المرأة التي جلست امامها في غرفة نومها في تلك الفيلا الواسعة

-توقفي , كفي , انتي قوية , انتي لن تضعفي .

لكن صوتها اختلط بصوت نداء بعيد

- سارة اين انتي لقد عدت !

مسحت اثر ادمعها الهاربة , ونزلت السلم تجيب نداء زوجها .

تذكر كلمات جبران خليل جبران التي تحفظها عن ظهر قلب

وسرور الحبّ وهم لا يطول و جمال الحبّ ظلّ لا يقيم

و عهود الحبّ أحلام تزول عندما يستيقظ العقل السليم

استيقظ وليد صباحا ليجد نفسه غافيا علي الاريقة اعتدل جالسا فتسلل الم مبرح الي مفاصله تذكر موعد الحفل في الظهرية فهب واقفا اغتسل وحمد الله انه كان قد نقل شيئا من ثيابه الي الشقة هنا بحث عن شئ مناسب يرتديه حتي وجد القميص الابيض الذي اهدته اياه اروي في عيد مولده قبل عدة اشهر ابتسم وارتدي القميص سريعا وقف امام المرآة يتأكد من هندامه وهو يتمتم داعيا ان تقبل اروي اعتذاره ، التقط مفاتيح سيارته وخرج من الشقة مسرعا ليلحق بالحفل حين وصل كان اول شئ بحث عنه عيونته هو اروي لخصها تقف بعيدا بين مجموعة من الاطفال سار اليها مرتبكا يضطرب نبضه بشكل غريب لخته اروي فهبت واقفة واستأذنت من الصغار وابتعدت تسمر وليد في مكانه حين رأي رد فعلها اصابته الحيبة والحزن لا تبدو مهمته سهلة علي الاطلاق .

انشغل وليد مع الاطفال حاول ان يتناسي اروي قليلا حتي يجد طريقة ليحدثها يرفع عينيه صوبها بين مدة واخري فيراها منشغلة ولا يدرك انها تبذل جهدا بالغا لتجاهل وجوده الباعث ع الالم!

كان اليوم طويلا منهاكا خاصة مع اعتياد الاطفال ع اروي ووليد فكانوا يرغبون في اللعب لمدة اطول

واطول شعرت ارووي بالارهاق فانسحبت لتراتح قليلا لحها وليد فسار ورائها حتي جلست ارضا بعيدا في الحديقة الواسعة افترش الارض الي جوارها فنظرت له فزعة وهمت بالوقوف لتنصرف لكنه كبل يدها بيده وهو يقول في رجاء

- بالله ابقني قليلا ارجوك!

نظرت له ارووي طويلا يمزقها كرهها له في تلك اللحظة رغم انها لا تستطيع ان تري الا وجه وليد الصديق والاخ والسند كيف ذلك!

استكانت وجلست الي جواره فقال بعد شرود طويل

- اتذكرين حين احضرتك الي هنا اول مرة !

تذكرت ارووي ذاك اليوم سريعا وكيف تنساه وقد كانت المرة الاولي التي يلتقي فيها وليد بجسام وجهها لوجه .. لم تجبه ارووي فتنهد وليد في خيبة وقال

- اشعر ان هذا المكان خاصتنا .. كلما اتيت الي هنا تكونين اول شخص يخطر ببالي وكثيرا ما اضحك حين اذكر كم من الاشياء عشناها معا هنا!

تجمعت الدموع في مقلتي ارووي ولم ترد .. مد وليد يده وامسك بيدها وهو يقول

- هل من سبيل لغفرانك يا ارووي؟ اي سبيل مهما كان طويلا وعرا او مخيفا انا له ... اي شئ سيجعلك تصفحين لي انا لدي كل الاستعداد لفعله

سحبت ارووي يدها من يده في عنف وهبت واقفة تهتف فيه

- لست تلك الحمقاء الضعيفة التي يمكنك ان تسمعها احاديثك هذه فتغفر لك اثمك الذي مزقها انسي

, هذا هو المستحيل بذاته

استدارت لتبتعد فاسمك بيدها التفتت له في حدة نظر لها وقال

- الضعفاء ينتقمون ممن لاذنب لهم كما فعلت انا اما الاقوياء مثلك فيغفرون للحمقي من امثالي زلائهم!

حملت فيه لبرهة فافلت يدها وشرد بعيدا فانصرفت عنه وغادرت المكان كله

- الي متي ستبقي هكذا اخبرني , انتهت الاختبارات منذ اسبوع وانت لم تفعل شيئا بعد , ولا يبدو انك تنوي , الي متي يا حسام , انت لم تعد طفلا , صار عليك ان تعتمد علي نفسك كانت مروة اخت حسام تصرخ فيه بينما هو يجلس علي السرير يفرك يديه في عصبية ..

- , لقد بدأ زوجي يضيق ذرعا , وانا ايضا , انا لا اريد ان اراك تفشل , قف علي قدميك ...

قاطعها حسام قائلا بحنق بالغ

-قولي انك لن تستطيعي ان تتحمليني اكثر , لا داعي لان تدعي انك خائفة علي

تركها وغادر مسرعا غير منصت لنداءها , وقفت تقلب كفا بكف , اعتصر قلبها علي حال اخيها الاصغر , الي متي سيبقي علي هذه الحال ياتري ؟

وقف حسام شاردا امام النيل المظلم , كم يحب هذا المكان , تلك البقعة تحديدا التي كان يصحب اروي اليها , نفص راسه في ضيق , لماذا تقفز هذه الفتاة الي راسه في كل الاوقات الغير مناسبة .

اخذ نفسا عميقا وزفره ببطء , ماذا سيفعل الان ؟ الي اين سيذهب ؟ كل الطرق مغلقة في وجهه , هل يعود الي منزله ؟ صرخ فيه صوت من اعماقه بان لا هذا مستحيل , لن يعود الي هذا الجحيم مهما

حدث , لكن اين يذهب , لن يستطيع العودة الي منزل مروة , وسيف غارق من رأسه حتي اخصص قدميه في مشاكله مع اخيه ولا يملك مايساعده به , تذكر حينها ابن عمه ذاك , كيف نسيه , هذا الرجل يملك فندقا في شرم الشيخ ولا بد ان يساعده ليجد عملا , اخرج هاتفه واتصل به لكن الرقم كان مغلقا , عاد يائسا يجلس الي احد المقاعد واضعا وجهه بين كفيه .

- هل انت بخير ؟

اتي الصوت من جواره فرفع راسه كان شابا في عمر الثلاثين علي ما يبدو , شكله يوحي بأنه لم ينم منذ عدة ايام ذقنه النابت وشعره الاشعث , والهالات السوداء تحت عينيه , وجهه النحيل وجسده الضعيف , كأنه هيكل عظمي متحرك .

عاد حسام ينظر امامه وقال

- هل يبدو لك اني بخير ؟

ضحك الرجل ضحكة خافتة وقال

- ومن منا بخير يا صديقي !

صمت برهة ثم اكمل

- اتعرف انا فقدت عملي منذ شهرين ولا زلت ابحث عن عمل اخر , زوجتي لا تتوقف عن النواح علي حالتنا , لم اعد اطيق المنزل .

بدا الرجل في حاجة ملحة للحديث , لذا استمع حسام له دون ان يهتم حقيقة بما كان يقول .

اخرج الرجل علبة السجائر من جيبه واخرج واحدة واشعلها , وراح ينفث في غضب , مد حسام يده

له وقال

-ناولني واحدة .

تفحصه الرجل بنظراته ومد له علبة السجائر , تناول واحدة اشعلها له الرجل , وراح يتنفس سمها الحارق وينفث الدخان من بين ضلوعه !

كانت تلتقط انفاسها بصعوبة , شعرها متناثر فوق جبهتها المضرجة بالدماء , تحاول النهوض , او الحركة دون جدوي , راح يهزها صارخا , لكنها لم تكن تسمعه , صوته لم يكن يغادر حنجرتة , بل يتلاشي , يحاول اكثر ويصرخ , دون فائدة , يركض , يمسك بذراع احد المارة , يحاول ان يطلب منه انقاذها , لكنه لا يسمعه , هو غير مرئي لا احد يراه , راح يصرخ ويصرخ لكنه وحده يسمع صوت صراخه , جسده مكثف , العرق الغزير يغطي جبهته , يدها مثبتتان الي الارض , كأن جسده قد شل , يحاول الصراخ من جديد لكن الصوت يبقي داخل جمجمته , يشعر انه يلتقط انفاسه من خارج رئتيه , يناضل اكثر , ويصرخ اكثر , وفجأة تهمزه يد ما , تهمزه بعنف , يسمع ازيز اصوات حوله لكنه لا يستوعب شيئا , يصرخ من جديد , ويخرج صوته هزيلا هذه المرة , ينتفض جالسا محاولا التقاط انفاسه , صدره يعلو ويهبط في سرعة , يسعل , وينتفض , تهمزه نور منادية في جزع

- وليد هل انت بخير ؟

ينظر اليها محاولا ان يستوعب اين هو , يتذكر الحلم , ذلك الحادث اللعين لا زال يطارده في احلامه , لازال يحكم الحصار عليه , ابتسم لها في وهن وخرج الي الحمام , وضع رأسه تحت صنوبر الماء البارد , يتخلل الماء خصلات شعره , ثم جبهته التي اشتعلت كالصفيح الساخن , عاد الي الغرفة وارتمى علي

السرير , وضعت نور يدها علي رأسه وراحت تتمتم بالمعوذتين وآية الكرسي , بدأ يهدأ قليلا ثم قال ,
- رأيتها في الحلم الليلة .

ابتسمت نور دون ان تعقب , واي حديث تقوله يشفي جرحها او جرح وليد .

راحت نور تمسح علي راس اخيها مغممة من بين دموعها

-ادعو لها بالرحمة ياخي ... !

فيجيب هو من بين شهقاته ,

-فليرحمها الله .

راح يدق الباب في ضيق لكنه لم يكن يتلقي ردا , ينادي

- حسام .. !!! هذا انا سيف , افتح لي

لكن لا يجيبه الا الصمت , اخرج هاتفه وعاود الاتصال برقمه دون جدوي , ماباليد حيلة , سار نحو
الشقة المجاورة وطرق الباب فخرجت له مروة

- اهلا ياسيف مرحبا .

ابتسم لها وقال غاضبا بصره

- اهلا بك , اين حسام هاتفه مغلق منذ اسبوع ؟ , اين هو ؟

- لن تصدق ماحدث , تشاجرنا وترك المتزل واختفي لثلاثة ايام , اتصلت به كثيرا لكنه لم يكن يجيب

ابدا , والدتي ستموت من القلق عليه , لولا ان ابن عمي اتصل بي من يومين يسألني لماذا يقيم حسام في فندق , ولماذا ترك المتزل ؟ اتضح ان حسام اتصل به باحثا عن عمل , اعطاني عنوان الفندق , ذهبت الي هناك عدة مرات لكنه رفض ان يلتقي بي , حاول ان تتحدث معه ارجوك والدتي تكاد تموت من القلق

- حسنا ولكن اعطيني عنوان الفندق

غابت لدقيقة وعادت تحمل ورقة بها العنوان اعطته لسيف فانصرف واعدنا ان يطمئنها عنه .

وقف علي الطريق ووقف سيارة اجرة واملاها العنوان , ابتسم ساخرا وهو يتذكر سيارته التي استولي عليها اخيه كما استولي علي كل شئ اخر بوضع اليد , سيف لم يرد ان يحاربه ان يدخل معه في عراك ايا كان نوعه , لازال يتمني في اعماقه ان يعود الي رشده قريبا .

وصل الي الفندق واخذ رقم الغرفة وصعد اليها طرق الباب مرارا قبل ان يفتح له حسام وينظر اليه بعينه النصف مفتوحة بدا انه كان نائم لكنه قال في لهفة

-سيف !

عانقه سيف سريعا وربت علي ظهره في حنو

- اين كنت يارجل !

صمت سيف لبرهة وقد تسللت رائحة الي انفه فتراجع محملا بوجه صديقه

-ثيابك تفوح منها رائحة السجائر !

ارتبك حسام لكنه قال محاولا الابتسام

- كنت اجلس مع بعض الاصدقاء

ابدي سيف امتعاضه لكنه لم يعقب

جلسا يتحدثان في الداخل وقص عليه حسام ما حدث متجاهلا قصة الرجل الذي اخذ منه السجائر

- بعد عدة محاولات اجاب ابن عمي علي الهاتف , التقيت به هنا , اتفقت معه وسأستلم العمل

بعد يومين في شرم الشيخ

- هذا جيد

صمت سيف لبرهة ثم قال

- لا اعرف ان كان يجب ان اخبرك هذا او لا ولكن زفاف ارووي بعد غد .

جحظ مقلتيه , وحاول ان يخرج صوته عاديا بقدر ما استطاع

- حسنا .

رمقه في شك وقال

- انت متأكد ان رائحة السجائر ليست من الغرفة !

فتلعثم قائلا

- اجل كما اخبرتك .

قضي سيف معه بعض الوقت ثم عاد الي منزله حيث يقيم مع اخيه وزوجته ووالدته , كانت زوجة اخيه

تصرخ

- ايها العجوز الشمطاء ماذا تظنين انا لست خادمة هنا , احضري لنفسك ماتشائين .

ركض صوب مصدر الصوت كانت والدته تتلقي صراخها ودمعة حارقة تسقط علي وجنتها , لم يتمالك نفسه صرخ في زوجة اخيه

- اخرسي , كيف تتحدثين الي امي هكذا .. ؟

- ماذا قلت انا ها ؟

- اياكي ان تتحدثي الي امي بهذه الطريقة , عامليها بشكل جيد والا اقسم لك اني ..

اتي صوت من خلفه

- ماذا ستفعل لها اخبرني !

التفت ليجد اخاه بجثته الضخمة واقفا يتفحصه ويزمجر في صمت فصرخ فيه

- تحدث مع زوجتك الا تري كيف تمين امي

- اخرس ,, الا تري اني استطيع تولي الامر كيف ترفع صوتك علي زوجتي هكذا !

- زوجتك مجددا اهذا كل مايهمك ! انت فعلا *****

مان تمات كلمات سيف علي اذن اخيه حتي لكمه , وطرحه ارضا وسط صراخ امه , وقف سيف ,

وامسك بيد والدته قائلا

- هيا ياأمي , طالما ان احدا لا يحترمك في هذا المتزل فلا مكان لنا فيه .

سحب امه وخرج , يصاحبه سباب اخيه , عرج علي متزل خالته ليقتضيا الليلة حتي يجدا حلا للامر ,

لازال يراهن حتي الرمق الاخير علي اخيه , يتمني بطريقة ما أن يستفيق مما هو فيه , ان يتركه يأخذ

نصيبه من الارث , لازال لديه امل .

الحاجة

قبل عامين

خطوة حذرة متمهلة وراء اخري حتي اقتربت من طاولته , كادت تضع يدها علي كتفه لكنه التفت لها بغتة , فتراجعت في فزع تحول لخبية وقالت في تبرم

- كيف بالله عرفت اني ورائك !

ابتسم لها واضعا يده علي قلبه

- اخبرني قلبي !

جلست الي الكرسي امامه , متأففة , تحاول ان تخفي خجلها قائلة

- سخيف , حقا كيف عرفت انت حتي لم تلتفت .

اعتدل في كرسيه قائلا

- انتي تأتين دائما مع نوران , وحين تأتي نوران , يرتبك سيف وسرعان ما يستأذن منصرفا دون سبب

فأعرف انك اتيت !

ضحكت اروي متعجبة من تصرف سيف , لكم كان يحيرها ارتبائه الواضح امام صديقتها , افاقت من شرودها علي صوت هاتفها الموضوع علي الطاولة , مدت يدها لتمسكه , فسبقتها يده، نظر للهاتف

بحنق بالغ وقال

- السيد وليد يتصل !

اخذت الهاتف من يده متجاهلة الغضب الواضح في نبرته , اجابت فاتاها صوت وليد

- آر كيف حالك !

قطبت حاجبيها في ضيق وقالت

- يمكنك ان تصبح شديد السخف احيانا اتعرف ذلك ؟

تعالت ضحكته وقال

- لكم اشتهي ان اكون امامك الآن لاري وجهك , احيانا اشعر بالاسف انني لم اهتدي لذلك الاسم

قبلا , فاتني الكثير من المتعة !

ضحكت ضحكة خافتة

- انت طفل احمق كبير

- اعرف ذلك !

اجابته في ضيق مصطنع

- يبدو ان مزاجك بخير اليوم , لما اتصلت قل لي والا سأغلق الخط !

اكتسي صوته بالجدية وقال

- سأمر لاصطحابك بعد ساعة .

- لماذا ؟ الي اين سنذهب ؟

اجابها متبرما

- اروي , هل انتي ثرثارة دائما , ام ان هناك مناسبة خاصة اليوم , كفاكي اسئلة , سأمر بك بد ساعة , اراك لاحقا ياثرثارة

اغلق الهاتف , فترعته عن اذنها تطالعه في دهشة قائلة

- ايها الملعون !

وضعت الهاتف علي الطاولة باسمه , فارتطمت نظراتها بوجه حسام المكفهر ونظرته الحادة , ارتبكت امام سؤاله الغاضب

- ماذا يريد !

اجابته بحروف مقلقلة

- سيمر بي بعد ساعة , ليصطحبني الي مكان ما لم يخبرني الي اين

اوماً براسه وزاغ ببصره , استشعرت غضبه ولم تعرف ما يسعها ان تفعل حيااله , ليته تفهم سر كره حسام الشديد لوليد رغم انه لم يلتقي به ولو لمرة , فقد كانت حريصة الا يجتمعا ابدا , تقنع نفسها انها تخاف من غيرة حسام وكراهيته , لكنها في اعماقها تعرف انها لا تملك ما تخبر به وليد عما يربطهما .

- حسام !

نادته في حنان بالغ فرفع بصره نحوها فقالت

- وليد ليس سيئا الي هذا الحد لتكرهه كل هذا الكره , انا لا افهم ..

قاطعها قائلا

- الا يكفي انه يحاول سرقتك مني ! انه ..

بتر جملته امام تعبيرها المشدوه , فعرفت انه تراجع عما اراد قوله , وادرك خطورة اعترافه فقالت

- وليد صديقي واخي الاكبر , لن يفعل شيئا يضر بمصلحتي ابدا , ثم انا اعرفه قبل ان نلتقي بعام كامل كيف يحاول سرقتي اذا ؟

- تعين اني سرقتك منه اليس كذلك ؟

قال بعصبية فهتفت به

- مابالك وحديث السرقة اليوم ؟ ثم ماذا تراني ليسرقتني احدكما من الاخر , الهذا الحد بت تتعامل معي علي اني جهاد او شئ تسعي لامتلاكه وحسب !

قامت وكادت ترحل , لكنه امسك بيدها قائلا في رجاء

- انا اسف لم اقصد هذا حقا , اجلسي ارجوك !

عادت لمقعدها علي مضض فاستطرد

- انتي لا تعرفين لكن مجرد ذكر اسم هذا الرجل يجعلني افقد اعصابي كليا

- لكن لماذا ؟

- لانه اقرب لك مني وانا لا اريد احدا ان يكون اقرب لك مني , فأنا ...

تسارع نبضها امام ما ظنته اعترافه الوشيك , لكنه ابتلع ما كاد يقوله واستطر

- فأنا اهتم لامرك كثيرا وحسب واخاف عليك حتي من هذا الوليد !

نزعت يدها من يده في خيبة وقالت

- لا تقلق وليد لا يمكن ان يؤذيني ابدا

ابتسم لها فزاغت ببصرها بعيدا شاردة في كون آخر .

بعد ساعة كانت تقف امام باب الجامعة تنتظر وليد الذي وقف علي الرصيف الاخر بسيارته يلوح لها

دون ان تراه , ترك سيارته وعبر الطريق وسط الزحام , تسلل ووقف الي جوارها قائلا

- تأخر هذا الاحمق كثيرا صحيح ؟

انفصت اروني في فزع فضحك لمنظرها قائلا

- عزيزتي اخبرتك مرارا ان ترتدي نظارة , انا الوح لك منذ ساعة ولم تريني .

لكزته اروني بمرفقها في صدره , فتراجع متأوها

- يوما ما سأقوم بعملية قلب مفتوح لعلاج الاضرار الذي تسبب فيها مرفقك !

تجهم وجهها , وهي تذكر عملية حسن قبل ما يقرب العام , انتبه وليد لما تلفظ به , فعض علي لسانه

قائلا

- اسف حقا لم اقصد !

ابتسمت له ان لا تهتم , سار معها ليعبر الطريق , فانتهت لعرجته الواضحة , وقفت امام سيارته ما ان

وصلا لها , وعقدت ذراعيها امام صدرها قائلة في غضب

- وليد هل ذهبت الي الطبيب كما اخبرتك ؟

تنحى وهو يدور حول السيارة حتى وصل الى باب القائد وقال قبل ان يركب

- اجل بالطبع .

ركبت السيارة صائحة فيه بقلق

- ايها الاحمق لماذا تكذب ؟ لست افهم ما كل هذا العناد ان كنت تشعر بالالم فلتذهب الى الطبيب

وحسب , لما كل هذا العناد ؟

انطلق بالسيارة مجيبا بنبرة باردة

- هاقد قلتها ان كنت اشعر بالالم , وانا لا اشعر باللم !

زفرت في اسي وهي تذكر مشهد التحامه بذاك اللاعب في مباراة كرة القدم التي كان يلعبها مع

اصدقائه في النادي , لقد كانت اكيدة من مشهد التواء قدمه انها علي الاقل قد كسرت , لكنها

فوجئت به يقوم مبتمسا كأن شيئا لم يحدث , رغم ان صديقه الذي ارتطم به لم يبرح الارض من شدة

الالم , رآته يحاول السير , وملامح الالم الذي لم ينجح في اخفائه بادية علي وجهه , تكره فيه كتمان

بشدة !

نظرت نحوه فآته شاردا بيتسم , فقالت

- انت تستمتع بهذا اليس كذلك ؟

- بماذا !

- اعني ان تثبت لنفسك انك قوي , ان لا شئ سيكسرک , ولا حتي الالم , كم انت غبي يا جلمود

الصخر الاحمق !

انفجر وليد ضاحكا , ولم يجيبها فقالت بعد صمت

- احترم الملك يا وليد , لا تضغط علي نفسك الي هذا الحد , تخلص من كتمانك هذا , انا صديقتك وبالكد اعرف عنك شيئا , انت لا تفصح عما يدور في داخلك ابدا , ربما تنفجر يوما ما صدقني .

نظر نحوها نظرة طويلة حانية, وعاد ينظر الي الطريق قائلا

- انا بخير صدقيني , لا داعي لخوف .

- ان لم تردني ان اخاف فدعنا نخرج علي الطبيب ارجوك , فقط لاطمأن .

تهند موافقا امام الحاحها الشديد , فحصه الطبيب وخرجا , تسبقه اروي الي السيارة قائلة

- سأقود انا , وستجلس انت في صمت حتي اوصلك الي منزلك لترتاح , لا اريد لقدمك ان تتأذي

اكثرا !

زفر متأففا

- لنذهب الي حيث كنا ذاهبين اولا .

قادت السيارة الي حيث كان يرشدها , شاردة فيما قاله الطبيب , هتمت في بعض اربطة القدم ! بالله

كيف تحمل الالم ؟

- احق !

همست لنفسها فقال

- من هذا ؟

نظرت نحوه متعجبة من انه سمعها , وقالت

- انت بالتأكيد وهل اعرف انا احققا آخر , هلا شرحت لي كيف تحملت الالم , كيف كنت تحادثني وتضحك وتمزح وانت تعاني كل هذا , اخبرك بشئ بدلا من تطمح لرئاسة قسم الاخبار , فكر في رئاسة سيرك ما , فمواهبك البهلوانية تناسب ذلك اكثر !

ضحك و ليد قائلا

- لا اعرف بشأن السيرك لكنني اصبحت قاب قوسين او ادني من رئاسة القسم وبعدها رئاسة الجريدة , واول قرار ستأخذه هو بفصلك نهائيا من العمل

- مهرج نذل !

- اعرف ذلك .

اوقفت السيارة امام دار الايتام الذي اشار اليه , فترجلا , دخلت الي الساحة الواسعة الملحقة بالمكان , كانت الساحة مزينة بالبالونات , والاشرطة الملونة , والالعب , كان الاطفال يجلسون او يلعبون في مجموعات يصاحبهم مجموعة من افراد الجمعية التي يعمل بها و ليد , قاطع انبهارها صوته

- ما رأيك , فكرت انك قد تحبين حضور الحفل !

ابتسمت ارووي في سعادة , وهي تقول بمرحها الطفولي الذي يجب

- هذه الجنة اليس كذلك ؟

ضحك و ليد , فتركته وانخرطت في الحفل مع الاطفال , طفولتها الناقصة لا يشبعها الا جنونها الجارف , ظلت تتراشق بالالوان معهم , في حماس طفولي حتي قررت ان تحتبأ حين لم يبقي سواها في اللعبة , كان و ليد يناديها بالخارج متأهبا ليقذفها بالالوان كما اغرقته هي , لكنها استمسكت بمخبأها , الا ان سمعت صرخة و ليد المتألمة بالخارج , خرجت فرعة تلتفت يمينا ويسرة بحثا عنه , فباغتتها واغرقها بالالوان التي

انزلت فوق المعطف البلاستيكي الذي ارتده فوق ثيابها حتي تحميها من الالوان صرخت فيه غاضبة

- وليد ايها المعتوه الغبي اللعين .

وقف يضحك الي جوارها فلم تملك الا ان تشاركه الضحك , دق جرس هاتفها فابتعدت لتجيب ,
اتاه صوت حسام الغاضب يسأل

- اروي اين انتي اتصلت بك اكثر من مرة لما لم تجيبي

ارتبكت امام غضبه واعتذرت , فسألها اين كانت ؟

- انا مع وليد , في حفل للايتام .

سألها عن مكان الحفل , فاملته اياه , اغلق الهاتف دون ان يسمع ردا منها , جلست علي مقعد بعيد ,
تراقب وليد ومزاحه مع اصدقائه , مجنون هذا الوليد قالت لنفسها , احيانا تجلس في اجتماعات الجريدة
, تستمع الي حديثه الجاد , فتتظر اليه محاولة التأكد من انه ذات الشخص الذي تعرفه !

كاد الليل يرخي سدوله حين لحت سيارة تقف امام باب الملجأ , جحظت مقلتيها حين ترجل منها حسام
سائرا نحوها بابتسامة واسعة , مازادتها الا دهشة , كادت تقول شيئا , لكن صوت وليد الذي اقترب
منها سبقها

- اروي دعينا نذهب !

بتر وليد جملته ونظر الي حسام بابتسامة متكلفة , وقال

- مرحبا !

مد حسام يده مصافحا

- اهلا انا حسام رفيق اروى بالجامعة .

صافحه وليد

- اهلا بك انا وليد

النفث وليد نحوها قائلا

- اروى هلا ذهبنا , قدمي بدأت تؤلمني !

كانت تعرف ان مجرد اعترافه بالامر يعنى ان الالم اصبح فوق احتمال له لذا اوامأت موافقة في سرعة ,

فقال حسام

- يمكنني ان اوصلها , لاداعي لتعب نفسك .

لكن وليد قال له بلطف صارم

- شكرا لك لكن يمكنني الاعتناء بها .

رحلت مع وليد امام نظرة حسام الغاضبة , لكن ماعساها تفعل الم يكن هو من قال رفيقة دراسة , هو

اسقط حقه فيها بملاً يده .

قاطعها حسام بعد ذلك الموقف لاسبوع كامل , وبدل ان تغضب هي , غضب هو واضطرت لمصالحته ,

كم تغير كل شئ منذ عامين حتى اللحظة , تحطمت ثقته بوليد كلياً , اخبرته انه سينفجر يوماً ما ويوم

فعل لم ينفجر الا بها هي , لابد وان الحياة تقف ساخرة من ثلاثتهم الآن , فغدا تتزوج ووليد ,

ياالسخرية القدر !

- لقد وصلنا !

افاقت من ذكرياتها علي صوت سائق الاجرة , ترجلت من السيارة التي توقفت امام الجامعة , سارت حتي وجدت لوح اعلان النتائج معلقا علي الحائط , أروي حسن عماد الدين , تقدير جيد , نوران محمد علي , تقدير جيد جدا , سيف الدين انور , امتياز , حاولت قدر استطاعتها ان تتجاهل الاسم الرابع , لكن اصابعها زحفت صعودا تبحث في شوق عن اسمه , حسام شكري الدمراوي , جيد جدا , ابتسمت في سخرية , تماما ككل عام يحصد تقديرا مرتفعا رغم اهماله , ابتعدت عن اللوحة المعلقة عليها الاسماء , تقودها قدماها في خطي قلق الي مقعد يجتأ خلف الاشجار , تترد خطواتها كثيرا , لكنها تعجز عن المقاومة , جزء منها مشتاق الي ذاك المكان بشدة وجزء اخر يريد ان يودعه الوداع الاخير , حالما وصلت وجدته هناك يجلس علي ذات المقعد , سابحة نظراته في الفضاء من حوله , استندت علي شجرة وقفت تتأمل كم تغير وجهه , كم اصبح نحيفا تعلوه ملامح الارهاق الشديد , تلتهم لحيته الغير مشذبة نصف وجهه , ويكتسي اسفل عينيه بسواد عميق , راقبته في صمت وراحت تطوح بها الذكريات يمينا ويسارا , لتسقط الدموع الساخنة علي وجنتها , تكوي قلبها المكلوم , ياليت الزمان يعود بها ؟ ما كانت لتجلس يوما علي هذا المقعد , كانت لتهدم الجسر الصامت الذي تكون بينهما , كانت لتدفع حسام بأقصى قواها بعيدا , ماكانت لتسمح له بمساعدتها او مساندتها , زفرت لوعتها في ضيق صامت .

كان هو غارقا في التفكير ممتقع الجبين , تمطر الذكريات رأسه , وانياب الوجع مغروسة في قلبه , ليترف ويترف الي ما لانهاية , يأخذ نفسا عميقا من بين ضلوعه المنقبضة , مشاعر كثيرة تتخبط داخل قفصه الصدري , اشياء تدهسه دون ان يعرف طريقة لمقاومتها , ياليت ! , ياليت لم يكن بهذا الجبن , ويل للندم حين ينتابك بعد فوات الاوان , حين لا يعود بيدك شئ , ينصب صقيعا فوق رأسك لتشنج عضلاتك , تنتفض وتثور , لكن هذا لا يغير ايما شئ , مسح دمعة غافلت جفونه بيده , حين لمحها تقف علي مقربة تراقبه بعيون دامعة , شعر بالهواء ينفذ الي رئتيه , بقلبه يدق ويدق بعد سباته العميق , سار

نحوها تصطدم نظراتهما تتعارك , حتي وصل وقف امامها مرتجف القلب قائلا بصوت مجروح ..

- أروي !

شعرت بأنفاسها تضيق والدماء تنسحب من اطرافها ليحل محلها برد قارص , تراجعت الي الوراء فنادها

- توقفني رجاء

تسمرت مكانها فأكمل

- دعيني اطالعك لآخر مرة , من يعرف ان كنا سنلتقي مجددا او لا

انقبضت ملامحها واعترتها رجفة بكاء عنيفة فقال

- لا تبكي ارجوك

لم تجبه فأكمل

- سامحيني يا أروي

التفت سائرة مبتعدة فقال

- اروي رجاء

- ماعاد الامر ليشكل فارقا صدقني يا حسام .

تركته واقفا تضرب ضلوعه ريح عتية , يقول عقله

- لم تعد تشكل فارقا بالنسبة لها , لقد صرت جزءا من الامس يا صديقي

فيجيب القلب

- ان كان كذلك , فلما هذه الدموع اذا , اظنك مخطفى يا صديق .

تخبط في افكاره الحائرة وعاد يجلس الي كرسيه , يراقبها تبتعد حتي اختفت .

سؤال عنيد يطن في رأسها، هل احبت حسام حتي يوما او انها فقط احتاجت وجوده حتي ادمنته فما عادت تستطيع تركه؟! تراها احبت اهتمامه بما؟ هو اشعرها انها موجودة وكم كانت في حاجة الي هذا الشعور !

شتان بين الحاجة والحب ورغم ذلك لا نبرح تختلط الامور علينا فلا نفرق بينهما , ونسقط في الحيرة والنشست , تؤرقنا الحاجة , ويمزقنا الحب , او ما ظنناه في الحقيقة حبا , لماذا لا ننتبه الي ان الحب لا يقتل , لكن الحاجة تفتك بنا شيئا فشيئا , الحب غير مشروط بسبب او مقابل , اما الحاجة فتسرق منك كل شئ , حتي نفسك , كثقب اسود لعين ينبثق في داخلك فيبتلعك كلك , الحاجة تربكنا لانها تؤجج غريزة آدمية لا تعبا الا بسد الحاجة مهما كان السبيل الي ذلك , اما الحب فيترهنا عن عبث اي غريزة اخري الاله , الحاجة انانية مفرطة , ففي طريقنا لسدها لا هي تعبا بنا ولا تتهاون معنا , ولا نحن نعبا بكل ما ندعس في الطريق ونخسره حتي لو كنا نخسر انفسنا , اما الحب فعطاء جزل , منحة بلا مقابل , وقود يسير بنا الي حيث انفسنا والي حيث كل شئ , الحاجة خديعة ماكرة , والم مبرح , لا يجعلنا نري امامنا , ولا ابعد من حاجتنا , فلا نفتأ نبحت عن اقرب طريق مختصر يقابلنا لسدها , ولكم كان حسام طريقا مختصرا قصيرا لسد حاجتها في الخلاص من وحدتها وبتمها الوشيك , مد يده فتعلقت بها , هربا من غرق يسحبها الي القيعان , اطمأنت ولم تعرف انه لم يكن الا امانا زائفا , يشدها من الغرق ليتركها فريسة لاشياء اكثر فتكا , لانها احتاجته ولم تحبه , في فهم الجائع راحت تلتهم حضوره فيغزوها شعور الشبع الكاذب , وما ان يتركها حتي يعاودها وجع الجوع والحاجة , كمخدر يندس في اوردتك ينسيك الكون بأسره حتي ذاتك , وما ان يذهب تأثيره , حتي تتناكب اعراض الحاجة اليه من جديد , فتقضي حياتك في دائرة مغلقة , بين الشبع المؤقت , وساعات التوق اليه , وما بين هذا وتلك تسقط انت ,

تخفي رغباتك الاخرى , تتأرجح رزانتك , وتلهث روحك محاولة ان تلحق بك حتى تستسلم نهائيا ,
لثلاث سنوات معه , غيها كليا حتى عن ان تسال نفسها سؤالا واحدا , ماذا كان يعني لها حسام ؟ ,
فقط لو وقفت لبرهة لالتقاط انفاسها لادركت انها تركض وراء كابوس احقق , فلو تحقق لذقت مره
ولو لم يتحقق لقصت حياتها تلاحقه , لكنت رأيت كم سرق منها حسام و كم استترفها يوما وراء الاخر
, بل الي اين اوصلتها حاجتها اليه .

لربما كانت ادركت ان الحب الصادق لا يضعف امرئ قوي , لا يهدم رزانه المرأ , ولا يضيع كرامته ,
ولا يصفع مبادئه , ولا ينسيه الوجود , ولا يترعه من نفسه , فخوف الحب شئ اخر , وخرده شئ اخر
, وارتباك شئ اخر عن كل ما مرت به , الحب الصادق لا يسرقنا من انفسنا , لا يخيرنا بيننا وبين من
نحب , بينهم وبين كرامتنا او بينهم وبين مبادئنا , لكن الحاجة تفعل , الحب ان تصبح اقوي في مواجهة
الخوف والهزيمة والحزن , الحب الذي لا يصنع منك شخصا افضل لا يسمى حبا انما يدعي حاجة ,
فالحب يساندنا لو حدث وانقصمت ظهورنا يوما , يدفئنا لو اصاب الصقيع ارواحنا , ولشد ما اشعرها
حضور حسام بالصقيع , فتلمس الدفء تائهة , كيف كانت عمياء الي هذا الحد تساءل نفسها , لا
يجرحها غياب حسام , انما يجرحها انها كانت ضعيفة مستسلمة , ربما تسامحه يوما لتخليه عنها , لكنها
لن تسامح نفسها يوما لانها تخلت عنها اكثر حتى مما فعل هو , ضعفت فركنت اليه ظنا انه سيمسك
بيدها ان سقطت , ولم تدرك ان المرأ حين يتخلي عن نفسه فمهما حاول الاخرون انقاذه فمصيرهم الي
فشل ذريع , هي وهي فقط كانت تستطيع انتشال نفسها من ضعفها , لا حسام ولا وليد ولا حتى
حسن , هي وحسب , فقط لو اتخذت قرارا وتخلت عن حسام منذ زمن , ما كانت لتتحطم دونه كما
وسوست لها نفسها , كانت قوية , لكنها ما كانت تصدق ذلك , لو ارادت ان تبكي الان فلتبكي
ايامها المهذرة , وصراعها وارقتها لاجل شئ ما استحق في النهاية كل هذا العناء , فلتبكي ارووي وضعف
اروي وخذلانها وكرامتها وحسب , فلتبكي كل شئ الا حسام !

مسحت دموعها بابتسامة عنيدة , كفاها دموعا وحزنا , كفاها , ستحاول ان تنسي , ان تغفر لنفسها ,
ربما تنجح يوما .

الجزء الثاني

اليوم

"طالما لا زالت جراحنا تترف فسنستمر في السقوط مرة وراء اخري حتي
يأتي اليوم الذي نموت فيه او تشفي جراحنا"

السعادة الزائفة

كان كل شئ يتحرك في سرعة , ساعات اليوم قمرول لتصل الي الموعد المختار , بيت وليد يضوج بالاصوات , ضحكات هنا وهناك , احاديث , وموسيقى , الجميع يركض ويركض في كل اتجاه , الابن والابنة سيغادران الليلة ويخلفان فراغا عظيما وراءهما , سنة الحياة , هذا ما تردده والدتهما في داخلها لتتماسك , وتبتسم لهذا وذاك , في جو حميمي يملأه جمع الاقارب بالكثير من الذكريات ضجيج ينسي المرأ اي تفكير يدور في رأسه , ضحك وهو يتردد صداه في منزل اروى فراغا , لا شئ , كأن لا زفاف في هذا المساء , لا ضجيج ولا موسيقى , لا ام تعانق ابنتها , تزينها تساعدتها تنصحها , لا شئ , احد اكثر الايام التي شعرت فيها باليتم , تخلف امها فراغا لن يستطيع ان يملؤه والدها مهما حاول , تنحفر ابتسامة زائفة علي ملامحها , اطفأت هي كل صراع واحساس يمر في داخلها , ستحتاج لعدم الشعور والا قتلتها مراسم الزفاف والا اهلكها شعور اليتم , شعور انها الليلة تزف الي رجل بالغ في اهانتها .

كانت نوران و خبيرة التجميل تساعدانها لتزين وترتدي فستانها الابيض , حين طرق احدهم الباب , فتحت نوران علي مهل فاطلت خالتها برأسها قائلة

- اين عروستي الصغيرة .

قفزت اروى عن كرسيها مسرعة الي خالتها تعانقها في لهفة , مرّ عامان مذ رأتها اخر مرة , كم كانت مشتاقة اليها , هي الوحيدة التي لا تزال تحمل عبق والدتها , امدتها وجود خالتها بالقوة , الآن قد تستطيع تحمل عناء اليوم الطويل , احاط ابنتي خالتها بها , يمزحان معها ويضيفان علي الجو الرتيب طعما ما , هاتين كانت رفيقتي طفولتها القصيرة , طفولة خرجت منها سريعا علي اثر فجعية فقد والدتها , نفضت رأسها لا تريد تذكر شئ سئ الان , لا تريد .

حلّ المساء سريعا ووصل وليد , كانت اروى في غرفتها تفرك يديها في رعب , عاجزة عن التنفس ,
دلف حسن الى الغرفة مرتبكا وقال

- اروى هيا لنخرج

ارتجفت ملامحها , ارتجف كل شئ , حتى الهواء ارتجف وهو يدلف الي رثيتها ,

خطت اولى خطواتها خارج الغرفة كان يوليها ظهره محدثا سيف الذي ابتسم لها ما ان لحها فانتهى وليد
.. والتفت اليها , ترتدي فستانا ابيض يشبه فستان اميرة ما رآها في احلامه علي الدوام و حجابا يضي
علي ملامحها جمالا اخر , اما وجهها فقد كان مشرقا عيونها ترتسم كعيني عروس نيل جميلة , كم تشبه
اميرة احلامه , تلك الطلة , هذا الغرور , تلك النظرة , الابتسامة , كأنها امرأة من كوكب اخر , هي لا
تشبه اي انثى وقعت عيناه عليها قبلا , اكانت جميلة او انه سحر اللحظة الذي جعل قلبه يتراقص , لا
يعرف , لكنه عرف شيئا واحدا انه رغم زواجه بها كصديقتة فحسب لكنها الليلة اميرة وستعامل فقط
كما تستحق ان تعامل اميرة لذا سار نحوها تأبطت ذراعه , وسار بها هامسا لها

- تبدين جميلة جدا

ابتسمت خجلا كادت تخبره ان الحلة جعلته يبدو كأمر , كادت تخبره ان قصة شعره تضفي رجولة
علي ملامحه .. كادت ولم تفعل

يالتلك الليلة كيف تضفي علي البريق بريقا , كيف توقف عقلك , وتترك قدميك تسير بك الي لحظات
لن تعيشها سوي مرة واحدة ومشاعر ستغزوك دفعة واحدة ستدوخك وتطيح بمقاومتك ارضا , لن
تملك الا ان تترك نبضات قلبك تدندن موسيقي بين ضلوعك , ستضطر ان تفرد جناحيك وتحلق ,
ستتخلي عن قدميك لانهما لن تحملا ارتباكك ولا سعادتك ولا اي شئ .

ستنسي سارة وحسام ولو قليلا , ستري اروى تنظر الى عينيك بل الى اعماقهما بعينيها التي اضفي الحكل عليهما طعم الليل مختلطا بطعم قهوة ترتشفها وقد داعبت انفك انفاس البحر الذي فردت ذراعك واستلقيت امامه , شئ يشبه هذا كان يدور في داخل وليد وهو ينظر في عينيها بدوره , كما طلب المصور لاجل صورة الزفاف ...

ستتوقف حتما عن التفكير ماذا لو كان من في مكان من , اذا حان موعد رقصتك معها , وبدأت تلف يدك حول خصرها وتمسك بيدها الاخرى في يدك وتضع هي يدها علي كتفك , وتراقصان معا علي انغام هادئة , حتما كنتي لتنسي حسام لو استطعت رغم كل هذا الضجيج ان تشعرى بأنفاس وليد بجوار اذنك , لو شعرت به يتمم بحديث تعرفين انه لك لكنك لن تفهميه , ربما يقول بانك جميلة وربما انه يشعر بالراحة هكذا بين يديك,ستتركين نفسك لذلك الشعور حتما ...

كانت اروى متعلقة بذراعه يزفهما الاخرون الى سيارة ستأخذهم الى مشوار بعيد , الى مشوار لا احد من الحاضرين يعرف الى اين يؤدي , حتى اروى ووليد , استسلما فقط للان , استمتعا بالغيوبة الزمنية هذه , سيتشاجران لاحقا ويتعذبان حتى لا يهم , لاول مرة كان الحاضر اهم من اي لحظة مضت او اي لحظة ستأتي , الان حيث تلقي اروى بنفسها بين ذراعي حسن وتجهش بالبكاء , حيث تشبث بعناق نوران وبنات خالتها بشدة , حيث يشد سيف علي يدها في شبه اعتذار , حيث تختم الوداع برائحة امها التي تجدها بين ذراعي خالتها , كل ذلك كان اهم , ستتذكر اروى دائما الليلة التي كانت تفصلها عن عالم اخر سيأتي , عن كوارث اخري ربما .

الان كان اهم بكثير , حيث يقف حسام خلف شجرة قريبة مراقبا ملاكه يزف في طقوس مهيبه الي رجل اخر , مرت برأسه ذكرى قديمة , كانت اروى جالسة في حديقة الكلية تطالع كتابا كعادتها لكنها بدت شاردة ساهمة , تنظر للكتاب مقطبة حاجبيها في ضيق , جلس الي جوارها فانتفضت فجأة , ابتسم لها فهذأت , وعادت الي شرودها مرة اخري فسألها عما بها , وضعت الكتاب امامه و اشارت الي جملة

فيه قراها بصوت مرتفع متسائلا

- اتأملك.. بحسرة العاصي الذي يعرض عليه مقعده من الجنة ثم يجر إلى النار؟

لم يفهم حسام سبب ضيقها من الجملة اغلق الكتاب ليقرأ اسمه في شك " سقف الكفاية محمد حسن علوان" فقالت هي قاطعة حيرته

- فقط اخاف ان يأتي اليوم الذي اطالعك فيه بذات الحسرة .

اطال النظر في عينيها يومها , كانت خائفة من فقدته اكثر من اي يوم آخر , لم تكن تعرف انه هو من سيطلعها بتلك الحسرة , سيرها ترف الي غيره , ويجر هو متسر بلا بجبنه وخذلانه الي الجحيم .

لماذا اتى ؟ لعين هو ذاك الشعور الغامض الذي دفع به الي هنا ليراها , اكان يعاقب نفسه , او يتلقى عقابها هي في صبر , هو نفسه لم يكن يعرف ولن يعرف يوما تراه ظلمها حقا ام تري كلاهما اخطأ , تحسس جواز السفر في جيبه وسحب حقيبته ووقف سيارة اجرة , انطلقت به الي مصير معتم , هو الذي ترك كل شئ وراءه ورحل , ولا يعرف ما تخبئ له الحياة بعد , التفت الي الوراها عبر زجاج السيارة تلوح للجمع مودعة , قبل ان تنطلق سيارتها هي الاخري تلقي بها لمصير ظنه هو اكثر اشراقا من مصيره ولم يعرف انه ربما يكون اشد الما وعتمة من اي شئ تخيله هو او تخيلته هي , نظر امامه الي الطريق المظلم وأخذ نفسا عميقا وغفا طالبا من السائق ان يوقظه حين يصل .

سار سيف ونوران علي الطريق كان يمسك بيدها خافضا راسه يحدق في خطوته البطيئة

-مايك ؟ سالت في قلق

زفر في ضيق وقال

- حسام سيسافر اليوم؟

- الي اين؟

- الي شرم الشيخ , وجد عملا في فندق احد اقاربه

حسام كان يعني لسيف الكثير تلك الصداقة الطويلة كانت السند الوحيد له ف الحياة لم يخذله يوما , كان عصاه التي يتكأ عليها , الجناحان الذين حلقا به حين كان يخاف حتي ان يمشي , الظهر الذي احتمى به حين تعري ضعفه امام الكون باسره , حسام تركه وحيدا , غارقا في مشاكله .

- لا تقلق عليه سيكون بخير!

تنهد جمرا وقال

- انا فقط خائف عليه من نفسه ، حسام يمكنه مواجهة اي شئ الا نفسه .

- انا اظن ان ابتعاده سيفيده قليلا خاصة بعد ما حدث مع اروى .

هز رأسه مفكرا

- لنأمل ان يكون بخير، سأفتقده حقا علي اية حال .

شدت نوران علي يده وقالت

- حبيبي انا معك , سنتخطي هذا سويا، انا بجانبك .

وضع يده علي كتفها مبتسما وقال

- انا اعرف ذلك , صدقيني انا لم اعد ارغب في اي شئ طالما انك معي , كل المشاكل تتضائل , وتصبح الحياة بأسرها غير مهمة , طالما انك موجودة انا لا اشعر اني وحيد او خائف .

خفضت راسها في خجل فابتسم ,واقترب من وجهها وطبع قبلة علي وجنتها , ارتبكت نوران ودفعته بعيدا سارت امامه تخفي ملامحها الحجلة , تبعها مسرعا وعاد يضع يده فوق كتفها قائلا .

- بقي القليل فقط , اعدك , شهور قليلة وتزفين الي منزلي

رفعت ذراعها ولفته حول خصره مبتسمة وقالت

- ياذن الله

- تبدين جميلة حين تخجلين ، اتعرفين ذلك !

قال في خبث فدفعته مجددا وسارت بعيدا , وهو يلحق بها , ساخرا من خجلها الذي يجب .

ادار وليد قفل الشقة وفتحه , دلفت ارووي , الشقة صغيرة جميلة , غرفتين وصالتين متوسطتي الحجم , باحدهما الصالون المذهب والاخري بها طاولة الطعام , علي يسار الباب يوجد المطبخ , ف نهاية الصالة توجد شرفة واسعة .

شعرت ارووي به يغلق الباب , ارتبكت , صوت في داخلها يقول

- وليد انت لن تمس شعرة اخري مني .

داخلها شعور حانق , لقد ترك بصمته علي ذاكرتها من جديد , كيف ستنسي الليلة , كيف ستنسي فستانها الابيض , رقصتهما الوحيدة , وكل مراسم الزفاف , من اين للمرأة ان يملك قوة لنسيان اشياء كهذه.

سارعت خطواتها نحو غرفة النوم واغلقت الباب خلفها , وقع اقدامه يقترب , نل الامر حركتها , فتح

الباب بقوة ودلف الي الغرفة ونظرة خبيثة تعلق ملامحه انتفضت اروي فقال

- لا تخافي , جئت لآخذ ملابسي

قالت بنبرة مستهزئة

- ومن قال ابي قد اخاف منك انت

توجه الي الدولاب واستخرج بيجامة قطنية , وسار بها نحوها , قائلا

- اه حقا لست خائفة ؟

تراجعت الي الوراء قائلة

- اجل لا اخاف

لكنه تابع التقدم نحوها وتابعت هي التراجع للوراء ,

ربما اشفق علي ملامحها المذعورة لكن هوس استفزازها تملك منه , كلما سار نحوها تراجعت نحو الحائط

اكثر حتي التصقت به اصابها الهلع قالت وهي تهدده بسبابتها

- وليد ابتعد عني من فضلك .

- الم تقولي انك لا تخافين مني ؟ .

- انا لست خائفة

لكنه اقترب منها كثيرا , حتي اصبحت تستطيع عد انفاسه اسند جبهته الي جبهتها , فاولته جانب

وجهها , فقال

- لا تدعي القوة عزيزتي كلانا يعرف كم انتي ضعيفة في الحقيقة .

كان ييٲ ذلك كله في اذنها بنبرة حادة حارقة ...ثم طبع قبلة علي وجنتها ..انتفضت علي اثرها سار مبتعدا وهو يلوح لها قائلا

- تصبحين علي خير .

امسكت بوسادة من ع السرير والقت بها نحوه في غيظ ..لكنه تفادها ضاحكا .

حالما ترك الغرفة جلست علي السرير واضعة راسها بين كفيها واجهشت في بكاء مرير سرعان ماتكورت علي نفسها بعده وغفت لشدة التعب غفت وملامحها يكسوها اثر الكحل الدامع .

استيقظ وليد ظهرا علي صوت هاتفه فاجاب بتناقل

- مرحبا

- صباح الخير يا وليد كيف حالك وحال اروي ؟

كان ذاك صوت حسن مهزوزا مرتعا بعض الشئ

- نحن بخير لا تقلق . اجاب وليد ناعسا

- ايكني ان اتحدث الي اروي ؟

تنحنح وليد قائلا

- اه حسنا دقيقتين واجعلها تتحدث اليك .

اغلق الهاتف وكاد يغط ف النوم لكنه تذكر ان حسن سيزعجه ثانية لذا سار متناقلا نحو غرفتها ,

وجدها متكورة علي نفسها كطفل في رحم امه , خطين من العذاب الاسود يمتدان من عينيها بطول وجنتيها الجميلتين , يكاد يري اثر احتراق حيث قبلها امس , انقبض فؤاده علي هيئتها تلك , هو أوصلها الي هذا الحد , لماذا يضغط عليها هكذا , مالذي يصيبه ؟ , الا يكفي ما هما فيه لماذا يزيد الوضع صعوبة ؟

راح يتأملها مبتسما , كم بدت جميلة رغم كل هذا الحزن , بل ان الحزن اضفي علي ملامحها شيئا لم يره قبلا , ان ارووي امرأة جميلة حقا , ليست طفلته التي يتخيل , ملامحها نضجت , وطلتها صارت تحطف القلب , نفض راسه كانه يدعو نفسه لان يفيق ومد يده ليهز كتفها لتستيقظ ..فتحت عينيها بتناقل مسرحي فقال

- والدك سيتصل الآن يريد الاطمئنان عليك .

اعتدلت وجلست علي السرير , امسكت الهاتف وتحدثت اليه , حاولت الا تبدو حزينة ومنهزمة , حاولت الا تدع في قلبه شيئا من القلق , طمأنته بقدر المستطاع

انتهت الاتصال وناولته الهاتف بيد مرتجفة , قامت عن السرير , واتجهت الي الدولاب لكن جسدها لم يحملها فسقطت , وقف وليد مسرعا وسار نحوها , كانت تجلس ارضا لاهثة الانفاس , مصفرة الوجه , امسك بذراعها ليساعدها علي الوقوف , لكنها دفعته بقوة لا تليق بضعفها , هو لا يعرف , المرأة مهما كانت ضعيفة ستملك ما يكفي من القوة لتقاوم فقط ان اقتنعت انهما تستطيع , كظم غيظه فقط اعتبارا لحالتها السيئة تركها وذهب الي المطبخ احضر كوبا من العصير وعاد اليها.

مد يده عن بعد فالتقطتها في غيظ وشربتها

- انتي بخير ؟

لم تجبه فقال

- اروي اجيبني

نظرت له بغضب مختلط بما اضاف الكحل السائل علي ملامحها من وجع , خفض راسه وانسحب من الغرفة بهدوء , عاندا الي غرفته , اروي اعلنت الحرب علي مايدور , لا زالت نظرها تبعث باعصابه القشعريرة انها غاضبة الي حد الجنون..ربما تخطي حدوده كثيرا .

اغمض عينيه وعاد للنوم ولم يستيقظ الا علي وقع صوتها ف اذنه .

-استيقظ ياهذا

فتح عينيه , ليلمح خصلات شعرها البني تغطي غرقما , وقد امالت شعرها كله علي جانب واحد اما الجانب الاخر فاحسر الشعر وراء اذنها التي يتدلي منها قرط بلون الفيروز , للحظات ظن انه يحلم , ظل يحدق في عينها دون حتي ان يعي الي ان هزته بعنف وقالت

- هيا قف .

انفض عن السرير بغضب فتراجعت الي الورا , سار نحوها فلم تتحرك بل عقدت ذراعيها امام صدرها ووقفت بثبات وبابتسامة واثقة , تقدم اكثر فلم تتراجع

- جيد , لم تعود تخافين .

- ولماذا اخاف , ان كنت ستضربني , فسأتكفل بسجنتك ما تبقي من حياتك , و ان فكرت ان تتناول في حديثك , فأنت تعرفني انا امراة سليطة اللسان في الاصل واستطيع ان ارد لك الصاع صاعين .

ابتسم في غيظ وقال

- لماذا توقظيني ؟

- العصر اذن منذ مدة , قم لتصلي , ثم والدي وخالتي سيأتون بعد قليل , لا يمكن ان يروك نائما هنا .
ابتسم لها نصف ابتسامة وغادر الغرفة , سيأتي حسن وحينها سينتقم , لديه خطة .

وصل حسن معه حالة ارووي وابنتيها و نوران ايضا , استقبلهم وليد واروي كما بل افضل من عروسين حقيقيين , لم يتوقفا عن الابتسام , بعد ساعة تقريبا استاذن الجمع بحجة أنهم لا يريدون ازعاج العروسين, عند الباب ودون ان تدرك ارووي وجدته يلف يده حول خصرها , وهي تكلم خالتها , رمقته بنظرة غاضبة فقالت خالتها

- مابك يافنأة , اتخجلين مني .

واطلقت ضحكة اخرجت ارووي كثيرا ..فابتلعت التصاقه بها في صمت , لم يتزحزح هو لثانية حتي ودعوا الجمع , هنا لم تمنحه ارووي فرصة حتي ليبيدي ندما , فقد سددت له بمرفقها الذي يشبه المسمار الي حد كبير , لكزة قوية الي معدته جعلته يفلتها وينحني الما .

اولته ظهرها وكادت تتعد لولا ان امسك بشعرها وجذبها للخلف قائلا

- انتي ايتها البلهاء !

تماسكت ولم تصرخ , لن تبدو ضعيفة امامه , همس في اذنها وهو لا يزال ممسكا بشعرها .

- لو لم تكوني فتاة لدهستك بقدمي الآن صدقيني

فجأة امسك بها ورفعها ف الهواء حاملا اياها علي كنفه في مشهد يشبه حمل شوال بصل ما , راحت

تصرخ لكنه لم يفلتها , حتي شعر بالمر في كتفه ..لم يدرك ان اسنان اروي كانت مصدره دفعها علي الاربكة متألماً تحسس موضع الالم وقال صارخا فيها

- اي اسنان هذه يا الهي !

سار نحوها فتناولت كأس الصودا الموجود علي الطاولة القريبة والقتة في وجهه تراجع صارخا وقد تسلل المشروب الي اجفانه فاحرقها

- عينيّ , ثقل الحساب كثيرا ايتها الحمقاء .

راح يفرك في عينيه في ضيق فركضت هي الي الغرفة واغلقها بدفع كرسي وراها , دقائق حتي ذهب مفعول الصودا , وراح يطرق علي باب الغرفة بعد ان ادرك انه مغلق .

- افتحي يا مجنونة , افتحي .

- لن افتح .

صمتا للحظة ثم انفجر كلاهما في الضحك طويلا حتي قال وليد ضاحكا

- لا تفتحي اذن , سأجلس انا هنا حتي تفتحي

فقال

- اجلس اذا حتي تمل .

وعادت ترتقي علي السرير ضاحكة حتي كادت معدتها تنفجر , جذب كرسيها وكتابا وضع الكرسي امام الباب واسند قدمه وجلس

بدا من همكا فسألته

- ماذا تقرأ ؟

- قصة موت معلن ..

شردت قليلا تتذكر الكتاب الذي قرأته قبل عدة اشهر , تبادر الي ذهنها سؤال فقالت

- وليد , لماذا تظن ان احدا لم يخبر البطل ان هؤلاء سوف يقتلونه رغم ان الجميع كان يعرف لكن احدا لم يحذره ؟ .

صمت وليد مفكرا ثم قال

- كانت الحقيقة اوضح من ان تصدق حسبما اظن , لا اعرف اظن انها تلك القناعة بأن المصائب تأتي بغتة ملتحفة بالغموض وعلينا نحن بذكائنا الخارق ان نكتشفها، لا يمكننا ان نصدق ان القدر قد يبدو واضحا الي هذا الحد ، غرورنا البشري لا يتحمل الامر .

- انت محق!

قالت في صوت ملى بالخيبة وهي تفكر، ربما حقا كانت الحقيقة اوضح من ان تصدق , الم تكن تؤمن في اعماقها انها لن تتزوج حسام يوما , كل شئ كان يشير الي انها لن يرتبطا ارتباطا طبيعيا ابدا , هو الذي لم يشفي غرورها مرة ولم يقل احبك صريحة واضحة , الشئ الوحيد الذي كان واضحا هو حقيقة انه سيتخلي عنها مهما حدث .

الم تكن حقيقة ان ارتباط وليد المفاجئ بها يدعو للريبة وان وراءه شيئا ما واضحة , الم يكن عقلها يطن محذرا من خطر محقق , لكن الامر كان اوضح من ان يصدق .

ربما هو القدر لا غيره , يفرقها عن حسام ويجمعها بوليد لسبب لا تعرفه حتي الآن , سبب ربما اكبر من وعيها وفهمها هي , ربما تفهم يوما ما من يدري ؟

قطع شرودها صوت باب الشقة يغلق نادت وليد فلم يجب .

فتحت الباب واطلت برأسها كفأر يبحث عن قطعة جبن تسد جوعه دون ان يقطع رأسه , سارت الي المطبخ وكلها قلق من ان يكون فخا , تسللت الي المطبخ واخذت في سلة صغيرة بعض العصائر والمأكولات الخفيفة .

وقف وليد امام باب الشقة منتظرا اياها لتأخذ مايكفيها من طعام , هو ف النهاية لا ينوي قتلها بعد دقائق وسار نحو الباب متعمدا اصدار صوت حتي يمنحها فرصة لتهرب رويدا فتح الباب واطل برأسه فسمع صوت خطواتها ثم صوت اغلاق الباب بقوة , اغلق الباب ودخل .

طرق باب غرفتها قائلا

- سأخلد للنوم , لا تفكري في الخروج من الغرفة , لا تعرفين ماذا قد يحدث

ابتلعت ريقها بصعوبة وسط زحام الطعام الذي دسسته في حلقها وقالت

- اذهب من هنا

عاد الي غرفته ضاحكا , وارتمى علي السرير يحملق بالسقف المظلم , ليزحف ذلك الثقل الي قلبه فيدفعه متذكرا احداث اليوم ويضحك , هكذا يفعل حين يصبح ما بداخله حالكا موحشا ومخيفا , يضحك ويضحك , لتصدح الضحكة بين ضلوعه لتؤنسه , ولا تتركه للافكار التي تطوح به , تنفج اساريه , انفراجة قاسية ويقاوم بأقصى قوته انعقاد حاجبيه , وانين قلبه المعتصر , يضرب بكل شئ عرض الحائط ليرتد كل شئ ضاربا اياه ليسقط متألما , فيقوم ليضحك , ويعود يركل كل شئ فيعود يرتد عليه ويعود

يسقط فيعود الالم فيقف ليضحك مجددا , ضحكا مختلطا بدموع خفية .

فقط لو نتوقف عن ارهاق قلوبنا بهذا الشكل، لو نُحزن حين نشعر بذلك، ونسعد حين تغزونا السعادة، لو نتوقف عن معاندة انفسنا واجبارها علي الشعور بعكس ما تشعر هي، وكأن قلوبنا لا يكفيها انها عليها ان تلاحق تقلبنا بل عليها ان ترضخ لعنادنا، علي القلب ان يسكت الما ينخر فيه فقط لاننا نريد، ان يطفأ سعادة تنبض لاننا نريد، ثم نعجب حين تتمرد قلوبنا يوما ويزحف ثقل حزين الي صدورنا لسنا نعرف مصدره، ولو كان لقلوبنا ان تنطق لقاتل انه ليس الا الحزن الذي دفنته كبرا قبل الزمن بزمن .

الرحمة

شعر بالعطش في الفجر فذهب الي المطبخ ليشرب وفي طريق عودته راي الشرفة مفتوحة , سار نحوها بخطي حذرة , كانت اروني تجلس الي الاريكة وقد اطلقت ذراعيها لاستقبال الهواء الذي راح يداعب خصلات شعرها يمنة ويسرة , اي ملاك هبط بشرفته ياتري؟؟ ...سحب كرسيها وجلس عليه امامها... لم تشعر به... هناك سماعة للموسيقى في اذنها .. ربما الان يستطيع تفحص ملامحها تحت ضوء الفجر... كم طلة تملكين ياهذه...ربما لا يستطيع ان يري ملامحها بوضوح... لكنه يشعر بما كلها...هاتان عيناها ساجتان في ملكوت اخر...في عالم ربما لن تسمح له بمرافقتها اليه...هذا انفها .. يداعبه الهواء البارد , الذي تعرف وحدها اثره في رئتيها , هاتين وجنتيها تتوردان خجلا من قبلات الفجر الباردة الندية , هذان ذراعاها يحلقان يناديانه ليدفن راسه بينهما مرة اخري

ايحرب ابضع راسه علي كتفها؟!..تري كيف ستتصرف!

كانت تعرف انه بالقرب منها ..اصبح من السهل تمييز رائحة عطره التي تحفظها عن ظهر قلب ..كان قريبا ..لكنها لم تفتح عينيها تركته ليقرر ماسيفعل ..كم تمننت الا يفسد عليها اللحظة ..

سيفسد كل شئ لو اقترب الان ..وينتهي الامر بشجار ..وهو لا يريد ذلك ..لن يشوه ذكري كهذه ابدا , صورتها الملائكية هذه ستبقي ملائكية وحسب دون عبثه وجنونه , لذا انسحب خارجا , حينها انزلت ذراعيها وتنفس الصعداء اخيرا ..بدأ البرد يتسلل اليها فقررت الدخول اغلقت الشرفة ..

ودخلت الي غرفتها ..التفتت لتغلق الباب لتجده وراءه

- الم اقل لك لا تخرجي من الغرفة ؟

قفزت مسرعة فوق السرير وقالت مهددة وهي تمسك بزجاجة المياه

- وليد ابتعد عني ؟

قفز علي السرير هو الاخر متحديا وقال

- وماذا ان لم افعل

لم تعجبها نظراته .. فقفزت عن السرير وبقي هو بالاعلي حاولت ان تسير نحو الباب وادعي انه لم ينتبه .. لكن ما ان اولته ظهرها حتي قفز واحاطها بذراعيه من الخلف وحملها والقي بها علي السرير

تأوهت لثانية كاد يشفق فيها عليها , لكنها القت بزجاجة المياه نحو ساقه فتألم

قفز علي السرير فتدحرجت ارضا قبل ان يصل نزل ارضا وسار نحوها حملها علي ظهره كما حملها من قبل .. وخرج من الغرفة ..

فتح باب الحمام ووقفها في المغطس وفتح دش الماء البارد فوق راسها ..

ارتعشت قليلا لكنها لم تبكي او تبدي اي ردة فعل ... كان يضحك بشدة حتي لاحظ رد فعلها الصامت .. فصمت هو الاخر , صرخت فيه بعد برهة

- هل انتهيت ؟

فخفض راسه في خجل , خرجت الي غرفتها وهي تصك علي اسنانها , لحق بها قائلا

- انا اسف لقد كنت امزح .

صرخت فيه

- بالطبع تمزح , كل شئ بالنسبة اليك مزاح , حياتك كلها لعبة كبيرة , زواجنا لعبة , زفافنا لعبة , ما نحن فيه الآن لعبة , مستقبلنا لعبة , تزوجتني لآكون لعبة في وجه سارة , اهلكتني الما وقهرا وكل هذا لعبة , الا تعرف ما فعلته بي , اليس لديك اي شعور ؟

وقف مطرقا يستمع اليها فأكملت

- بأي حق تمزح , بأي وجه اخبرني , من اين لك تلك الجرأة اريد ان افهم , تعاملني كصديقتك , كأروي التي كنت تعرف , كأن شيئا لم يحدث علي الاطلاق , كأن سكينك ليس مغروسا بين ضلوعي , انت اسوأ من قابلت في حياتي حقا .

صمت لبرهة تلتقط انفاسها وقالت

- منذ اللحظة ابتعد عني تماما , لا اريد ان اراك ابدا اتفهم ؟ انا اكرهك ايها المعتوه ؟ دفعته بيدها الي خارج الغرفة وشفقت الباب في وجهه , ارتمت باكية علي السرير , عاد الي غرفته ودفن رأسه بين يديه , وراح يزفر اختناقا .

في الصباح ذهب الي غرفتها ليعتذر , طرق الباب عدة مرات فلم تفتح , ففتح هو الباب في قلق , كانت تغط في نوم عميق , سار نحوها , كان العرق الغزير يغطي جبهتها وقد احمر انفها ووجنتيها , وضع يده علي راسها ليجد حرارتها مرتفعة ..كاد يصفع نفسه ندما ..

اتصل بطبيب يعرفه في الجوار ..وحاول ان يغطي شعرها بالحجاب وصف لها الطبيب دواءا سرعان مااحضره وليد وساعدها لتأخذه وسط رفضها العارم لان يقترب منها ..حتي جلس اخيرا القرفصاء علي السرير ووضع يده خلف راسها ودرس الدواء في فمها قائلا

- كم عمرك يافتاة , الا زلت في العاشرة !

دفعته بعيدا بيدها دون ان تعقب , لفت نفسها بالغطاء وادارت ظهرها له , ظل جالسا في مكانه لمدة ,

ينتظر ان تغفو , يضع يده علي جبهتها كل حين ليطمأن علي حرارتها , يلوم نفسه لانه اوصلها الي هذه الحال , هي مريضة بسببه , مجروحة بسببه نفض راسه في يأس .

- اكل هذا الوقت تبحث عن عمل يا سيف , الي متي سن بقي علي هذه الحال ؟

قالت نوران بصوت محتق فقال

- اخبريني انت ماذا اعمل , اعمل محاسبا وانا لا افقه شيئا في الحسابات , او اعمل في محل الخمر ذلك , او اعمل جرسونا في ذاك المطعم اخبريني هيا

- الا يوجد الا تلك الاعمال الكريهة ؟

- انا ابحت بكل قواي عن عمل مناسب لذا امنحيني فرصة .

عقدت نوران ذراعيها امام صدرها في صمت فقال سيف في ضيق

- من الافضل ان اغادر , اراك لاحقا

- لماذا لا تذهب الي قرية سياحية ما يا سيف !

- واترك امي !!

التفت لها قائلا , كانت عيناه تقدر بالشرر فقالت

- الا يمكنها ان تبقي عند خالتك !

- لماذا , لانها لم تنجب رجلا يمكن ان يؤمن لها منزلا !

صمت نوران فخرج واغلق الباب خلفه عائدا الي الشقة التي استأجرها ووالدته في احد الاحياء النائية , كانت امه تؤدي صلاة العصر , جلس يراقبها حتي انتهت , كانت تدعو له ان يوفقه الله. نزل عند ركبتيها ووضع رأسه فراحت تمرر اصابعها بين خصلات شعره حتي غفا وقد توصل عقله لقرار , سيقبل بوظيفة المحاسب صباحا و يعمل في ذاك المطعم ظهرا , الوظيفتان معا سيوفران له شيئا من المال بعدما انفق كل ما يملك لايجار هذه الشقة , سيحاول في هذه الاثناء اقناع اخيه بأن يعيد له سيارته وشقته و حصته في ارث ابيه كاملة .

مدام " سارة سعيد "

- هذه انا .. !

ابتسمت لها المرضية فحاولت سارة رسم ابتسامة بصعوبة شديدة , سارت نحو المرضية , ترتعد فرائسها , ويخفق قلبها بقوة , تري ماذا ستكون النتيجة ؟

اخذت نفسا عميقا وطلبت من المرضية ان تفتح المظروف وتخبرها بما فيه , مرت لحظات الصمت ثقيلة طويلة , اخيرا ابتسمت لها المرضية وقالت

- مبروك النتيجة ايجابية !

حملت بها سارة غير مستوعبة

- انتي جادة انا حقا حامل ؟ .

اومات المرأة برأسها , فتدفقت دموعين علي وجنة سارة فرحا , فتحت حقيبتها واخرجت مبلغا من المال واعطته للمرضية مبتسمة , غادرت مسرعة تقود سيارتها الي المنزل وتمسح الدموع المتدفقة من عينيها لا

تكاد تصدق , لقد ظنت دائما انها لا تريد اطفالا , لا تريد عائلة او اسرة , لكن ما ان شعرت بأمر الحمل وذهبت لاجراء التحليل وداخلها يهتف متمنيا ان تكون حاملا حقا , ربما يكون طفلها هو الشخص الوحيد الذي لن تشفق ابدا من منحه حبها , ربما تنصلح علاقتها الروتينية الباردة مع مصطفى , قد يتقربان اكثر , قد تنصلح اشياء عدة مع هذا المولود السعيد .

وصلت الي المتزل ودخلت غرفة المكتب حيث انكب مصطفى علي بعض الاوراق قال دون ان يرفع راسه

- ليس الآن ياسارة انا مشغولة

- انا حامل .

القت بالكلمة هكذا فرفع رأسه مندهشا

- انتي ماذا ؟

- انا حامل .

انتفض عن كرسيه وسار نحوها عانقها بقوة وهو يقول

- اهذا صحيح , انتي حقا .. يا الهي لا اصدق

ربتت علي كتفه قائلة

- بل صدق

قال الرجل الواقف في الاستقبال

- حسام احمل هذه الحقائب الي غرفة 32

نظر اليه حسام شزرا وحمل الحقيبتين وصعد بهما الدرج حانقا , فتح الغرفة ودفع بالحقيبتين , كانت السيدتان تلحقانه , مدت احدهما يدها ببعض البقشيش فرفض شاكرا ثم انصرف , نزل درجات السلم يضرب الارض بقدمه في عنف , لا يصدق الحال التي وصل اليها , كيف استطاع والده اقناع ابن عمه بأن يجبره علي العمل في حمل الحقائب حتي يدفعه للاستقالة والعودة الي القاهرة , لكن حسام كان مصرا علي موقفه , سيعانده بأقصى قواه , ليري من سيربح في النهاية , الشئ الوحيد الذي يوغر في صدره هو بكاء امه المشتاقه اليه في كل مرة يجادئها في الهاتف , لكن ماباليد حيلة , استسلامه الآن سيثبت لوالده انه ضعيف , وهو ابعد ما يكون عن ذلك .

- نوران عليك ان تتحدثي معه مجددا

نفثت نور في ضيق قائلة

- لقد تحدثت معه ياأمي هو لا يستطيع ترك امه والسفر

- اسيجلس بجوار امه اذن دون عمل , ونعم الرجل ؟

صرخت نوران فيها

- امي , سيف رجل فعلا , لا تتحدثي عنه هكذا , هو يعرف ما عليه فعله , ياالهي انا ضايقته بسببك

اليوم وقلت له حديثا سخيفا , وذهب غاضبا مني .

-متي ستفهمين ايتها الحمقاء , اروي تزوجت بالامس , الي متي ستبقين هكذا ؟

قالت نوران باكية

- امي كفاكي , رأسي لم يعد يتحمل اكثر .

تركتها عائدة الي غرفتها , تحاول كبح دموعها فتعوزها القوة .

تتناول الحساء معلقة وراء اخري , ترفع عينيها علي مهل لترتطم بعينه المشتتين عليها , يرفع حاجبيه

آمرا فتنظر في طبق الحساء مجددا وتعود ترفع معلقة وراء اخري متممة في ضيق

- طعمه سيء مثلك !

- تقولين شيئا عزيزتي !!

- لا

يضحك ساخرا , فتلتهم الحساء عن اخره وتناوله الصينية , ينسحب الي المطبخ ويعود حاملا كوبا من

العصير يناولها اياه ويرتمي علي الاريقة , يقلب صفحات كتاب في يده , يتأفف متمللا , يضع الكتاب

جانبا , ترمقه في غيظ , وتعود تنظر الي السقف , اعتدل علي الاريقة جالسا وقال فجأة

- اروي !

شهقت قائلة ,

- افزعني مالا مر !

حملق فيها لبرهة وعاد يتكأ علي الاريسة , ساد الصمت لدقيقة قبل ان يقطعه قائلا

- انا اغبي انسان قد تقابلينه في حياتك يوما يا أروي , احاول بكل قوتي ان ادفع الالم بعيدا , وينتهي الامر في كل مرة بآلم مضاعف , اشعر احيانا اني افقد وعيي , شخص اخر يحتل صدري وينتحل شخصيتي ويتصرف رغما عني , شخص معتوه , ذات الشخص الذي آذاك الي هذا الحد ولا زال يفعل , ذاك الذي احب سارة ولا زال يفعل .

اطلق تنهيدة حارقة ووقف سائرا نحو السرير , جلس ارضا الي جوار سريرها امسك يدها واردف يقول

- انا لم اعني ان اؤذيك يااروي اقسام لك , انا لم اكن افكر , كنت اتحرك كالجنون , كل ما كان يشغلني هو كيف سأنتقم منها , كيف اوقف نزيف قلبي , لكنني اكتشفت اني انتقم من نفسي ومنك اني وحسب , نحن من تأذي فقط بسبب لعبي السخيفة .

كانت يدها ترتجف بين يديه , طبع قبلة عليها واكمل قائلا

- انا لن اطلب ان تغفري لي لاني اصلا لن اغفر لنفسي , ولكنني اطلب منك ان تتركينا نعيش في سلام لبعض الوقت , انا مرهق , من الشجار والصراخ والبكاء والالم , احتاج ان اهدأ , لم اعد املك القوة لاقاتل اكثر , ارجوك , امنحي هذا القلب بعض الراحة .

كانت دموعها الحارقة تنصب علي وجنتها فقال لها

- اتعرفين كيف اشعر ؟

او مات براسها نفيا فقال

- اشعر بألم !

- اين ؟ سألت في لهفة

فامسك بيدها ووضعه علي قلبه قائلا

- هنا عزيزتي , هنا يؤلم بشدة , امنحيه السكينة , اذا كنتي تستطيعين , انا ارجوك , انا اتألم الي الحد الذي لا يتحملة احد , فاسمحي لجراحي ان تبرأ ولآلامي ان تذهب وبعدها اقتليني ان شئت , لن الومك .

صمت برهة ليمسح دموعه ثم اكمل

- الامر الآن بين يديك , اما ان نعيش في جحيم , ونفتح جراح بعضنا كل يوم , واما ان نعيش في سلام , متأكد ان وليد صديقك الذي تعرفينه سيشفع لي عندك .

افلت يدها وتركها مغادرا الحجرة , القت اروي برأسها علي الوسادة تفكر وتفكر .

مرت عدة ايام كانت اروي لا تخرج من غرفتها الا للطعام والصلاة , لم تكن تحدث وليد ولا تنظر اليه , كاد الانتظار يقتله , تري ماذا ستقرر , كان قد وصل الي حل في اعماقه , انها لو اصرت علي موقفها فسيستأجر شقة اخري بعيدة عن هذا المكان ويقيم فيها وحده , ويتركها وحدها , حتي لا تري وجهه وتشعر بالالم , لكنه استيقظ ذات صباح علي صوتها

- وليد هيا عليك الذهاب للعمل ؟

فتح عينيه ليجدها تمزقه بلطف , استيقظ مبتسما , وخرج من غرفته , ليراها قد اعدت الفطور ايضا فنادها , اتت من المطبخ نحوه

- ملامر ؟

عانقها عناقاً خاطفا وقال

- شكرا لك

دفعته مازحة وقالت

- لا بأس ..

المودة

تسلل خيوط الشمس علي استحياء معانقة السماء الرمادية الملبدة بالغيوم , تتدافع السحب متعاركة مع ضوء الشمس المركز علي اجفانها فتهرب منه بعيدا شيئا فشيئا , تنقشع الغيوم رويدا , وتقف الشمس محاطة بها , يصطفان الي جوار بعضهما دون ان يهزم احدهما الآخر , دون ان يبغى احدهما علي الآخر , الجو بارد لكنه برد حميمي , لا يدفع علي النفور , انما هو ذاك الصقيع الذي يجعلك تدفن رأسك في عناق احدهم بحثا عن الدفء . ابتسمت ابتسامة عذبة من خلف زجاج الشرفة وعادت الي غرفتها , نزعت اسدال الصلاة ومشطت شعرها , سارت نحو غرفة وليد طرقت الباب فلم يرد فدلقت الي الغرفة المظلمة , فتحت الشباك ليدخل النور اليها , كان وليد نائما , يضع ساعده فوق جبهته كالعادة , سارت نحوه وهزته برقة , فأزاح يده وابتسم لها علي مهل

- هيا ستأخر !

اوما لها صامتا ووقف ليخرج من الغرفة , اعتادت ان وليد لا يتحدث حين يستيقظ من النوم ابدا , انما يذهب الي الحمام ليغتسل ويتوضأ ويصلي , وحينها يبدأ في التحدث , اعدت له الفطور حتي انتهي من الصلاة , جلس الي الطاولة , يحتسي قهوته في صمت لم يقطعه الا بعد مدة قائلا

- كيف الطقس اليوم .. ؟

نظرت نحو الشرفة وقالت

- بارد بعض الشيء , اظن عليك اخذ معطفك .. ؟

استمع لها في صمت ثم قال

- لا اسال عن هذا الطقس ؟

قطبت حاجبها غير فاهمة فقال

- كيف طقسك انت ؟

صمت برهة تحاول ان تستوعب ثم انفجرت في ضحك طويل وقالت

- لا تقلق انما احد الايام القليلة التي لن اكرهك فيها

زفر مرتاحا في حركة تمثيلية مصطنعة فعادت تضحك من جديد , جلس يراقبها متذكرا كيف قضيا الشهور الماضية , جنبا الي جنب , كانت اروى تستيقظ في احد الايام وتعامله بلطف بالغ , ثم في اليوم الآخر لا تكف عن الشجار معه , كان الأمر يزعجه في البداية حتي ادرك حجم ما تعانيه هي , كم كانت تضغط علي نفسها لتنسي كل ما جري , كثيرا ما كانت تملك القوة لذلك وحيانا ما كانت تضعف عزيمتها , تقضي ليلتها تبكي وتستيقظ مستثارة الاعصاب حانقة , تجلس الي حاسبها النقال , لتكتب وتكتب دون ان ترفع رأسها , الا لمرات قلائل , تحرك فيها رقبته يميناً ويساراً حال تشنجت , كان يبتعد عنها تماما , لا يجادتها ابدا , حتي تهدأ , وعندما تهدأ فهي تعود اروى اللطيفة , باسمه الوجه .

كان يحملق فيها شاردا حتي قالت

- وليد ستأخر علي العمل هيا ..

- سنذهب الي منزل والديّ مساء لا تنسي

- لن انسي لا تقلق

ابتسم لها وغادر مسرعا بعد ان عبث بيده بخصلات شعرها كعادته , انسحبت هي الي غرفتها بعد ان

شيئته , لتكعب علي كتاب ما تقرأه , اصبحت حياتها بين الكتب والكتابة , وزياراتها المستمرة لحسن , بعد ان استقالت من الجريدة , بدا انه الحل المنطقي لاجتناب اللقاء بسارة والمشاحنات والغضب الذي لا ينتهي , رغم انها عرفت ان سارة انتقلت الي فرع الجريدة الاخر لكنها لم ترغب في المخاطرة , ربما كانت تعرف ان ما هما فيه سلام مزيف سينتهي يوما ما بفجعية او ماشابه , لكنها استمسكت بما استطاعت من الحاضر , لم تفكر , ولن تفعل , دع ما يحدث يحدث

هناك وظائف في هذا العالم , خلقت لتحاصر ك بين ضدين بل وتطحنك بينهما , تجبرك علي المراقبة عن كعب , علي حفظ الوجوه , وان تتوه في حكاية كل وجه وما تخفيه كل ابتسامة من زيف وكل مظهر مهذب من وقاحة , بل كل ما تخفيه بذة سوداء وقورة من خلاعة وفسق , تعلمك ان تميز المعدن الزائف من ذاك الحقيقي , سرعان ما تشكل حركات الايدي وملامح الوجوه اشارات لشئ ما وحدك بت تفهمه , لكن من الناحية الاخرى تجبرك علي تسطيح علاقتك بكل ما تراه , ملامح وجهك وابتسامتك ليسا ملكك بل هما ملك الآخرين , عليك ان تكون بشوشا مهما استفزوك , صبورا مهما اهانوك , لا تشتمز , ولا تبدي اعتراضا او امتعاضا , ببساطة تعلمك البلادة , تجمدك مكانك بينما يسير الكون من حولك في حركة سريعة , لتهرم انت ويتجدد شبابه هو .

كان حسام شاردا كعادته مذ تسلم العمل في استقبال الفندق بعد ان تشنجت فقرات ظهره من صعود السلم ونزوله لمدة طويلة , لا يعرف في الحقيقة هل ابن عمه اقنع والده او العكس , سيان المهم انه لن يضطر الي الوقوف امام هؤلاء الذين يمدون يدهم بالبشيش له .

اصبحت حياته ثقيلة , يدفع الايام فيها دفعا لكي تمر , كل شئ مكرر ويشبه كل شئ , شعور قمئ

يطبق فوق صدره , يجبس انفاسه بين ضلوعه فلا تخرج او تدخل الا بعد جهد , ظنّ في البداية ان الأمر بسبب السجائر التي صار يدخنها بشراهة مدمن محروم , لكنه تذكر ان ذاك الشعور ذاته مرّ به ليلة صفعته ارووي , هو ليس الا شعورا بالعجز والقهر والحياة , شئ العن واشد تأثيرا من السجائر بكثير .

.....

عانق وليد والدته ووالده مودعا , فهما سيذهبان الي رحلة الحج ويعودان بعد اسبوع , كانت امه تبكي بكاء حارقا , هكذا هي منذ وفاة امل , مرتبطة به وبأخته كثيرا , وحدها ذاقت الم فقد ابن ووحدها تجرعت مرارة الشعور , لذا لم يتعجب حين الحت والدته كثيرا عليه مرودة

- ارجوك يا وليد اعطني بأختك جيدا

كان يطمأئنها لكنها كانت ترمق علا بنظرات لم يفهم كنهها , بعد ان اوصلهما الي المطار عاد يصحب علا واروي من منزل والديه الي شقتهم حيث ستقضي اخته معهما الاسبوع , كان الهواء باردا يثلج القلب , لكنه لم يستطع كبح النيران المتقدة في صدر ارووي كلما تذكرت والدته وليد ووداعها له , كم تشتاق لامها , فقط في لحظات كهذه , تعوزها القوة للتماسك , تسقط دمعة من عينها فتمسحها خلسة يراها وليد فيسأل عما بها فتجيب ان " لا شئ " , يعود ينظر الي الطريق , وهو يعرف ان خلف دموعها اشياء كثيرة لكنه ليس المكان المناسب للبووح ابدأ .

وصلوا الي المنزل واستأذنت علا لتنام مبكرا , اذ لديها جامعة في الصباح الباكر , نامت علا في غرفة وليد , وذهب وليد لينام في غرفة ارووي علي الاربيكة , لم تبد ارووي امتعاضا , اذ اعتادت ان ينام علي الاربيكة ذاتها في تلك الليالي التي كانت تنقطع فيها الكهرباء او يغفو رغما عنه وهو يقرأ كتابا ما , او حين تأتي اخته او والدته او حسن للزيارة .

كانت النوم علي الاربيكة غير مريحة للمرة الاولى , فهناك سؤال يلح علي رأس وليد يمنعه من النوم لما

كانت تبكي ارووي , ينظر نحوها فيراها نائمة مولية ظهرها له , ظنها نائمة في البداية , لكنه رأى جسدها يرتعش ارتعاشة خفيفة , وقف سائرا نحوها يخفق قلبه في اسي , صوت انين مكتوم يتعالي كلما اقترب , جلس علي السرير ومد يده يمسح علي شعرها قائلا

- ارووي ماذا هناك ؟

اشتد بكاؤها , لكنها لم تجبه , جذبها اليه وطوقها بذراعيه , فراحت تبث صمتا حزنها بين ضلوعه , حتي هدأت بعض الشيء ابعداها عنه قليلا وقال

- اخبريني مابك ؟

حاولت ان تقول شيئا من بين دموعها , فخرجت الكلمات مخنوقة مفككة

- امي !

كانت تلك الكلمة الوحيدة التي التقطتها اذن وليد , لكنها كانت اكثر من كافية ليفهم ما يعتمل في صدرها , جذبها اليه مرة اخري وعانقها بقوة قائلا

- ادعي لها بالرحمة يا ارووي .

ظلت هي بين ذراعيه حتي هدأت تماما , فوضع رأسها علي الوسادة , امسك بيدها بين يديه وجلس يراقبها حتي غفت

قضت اروي فهارها تعد ما استطاعت من الطعام في انتظار علا ووليد حتي عادا في المساء , تناولوا العشاء وانسحبت علا لغرفتها بداع انها سوف تذاكر , بعد ساعة او اكثر بقليل قررت اروي العروج علي غرفتها للاطمئنان عليها , لكنها قبل ان تطرق الباب استمعت لشيء حبس الدم في عروقها , ظنت انها مخطئة في البداية , لكنها ارهفت السمع

- اخشي ان يسمعي احد .. انت تعرف انني لم افعل شيئا من وراءهم قبلا .. لقد رحلت امي غاضبة مني وانا اخشي ان يكتشف وليد الامر هو الآخر حينها سأقع في مشكلة لا فكك منها .. استمع الي فقط .. اه يا الهي .

تراجعت اروي مصعوقة , عادت الي غرفتها ساهمة , سألها وليد

- الا زالت علا مستيقظة , اريد ان امر عليها قبل انا انام .

قالت اروي ببقايا صوتها الضائع

- لقد نامت .

ابتسم وتدثر بالغطاء , سارت الي سريرها وجلست , تحاول التقاط انفاسها , تتسارع الافكار في رأسها عاجزة عن التقاط اي منها , كانت علا تحدث شابا ما بالتأكيد , ماذا عليها ان تفعل ؟ .. اتخبر وليد ؟ اتحدث اليها ؟ اترك الأمر وشأنه ؟ ما الحل ؟

تكرمت علي السرير جاحظة العينين , يعاندها النعاس وتعاندها الافكار , تنظر صوب وليد النائم ولا تعرف ماذا عليها ان تفعل ! .

استيقظت في الصباح بعد نوم قلق , اعدت الفطور , حتي استيقظ وليد وعلا , جلسوا يتناولون الافطار

, كانت ساهمة تطالع كل منهما بوجل وبعين ساهدة , بدت متشنجة غير قادرة علي المزاح , فقال وليد

- يبدو ان طقس اليوم سيء ! اليس كذلك يااروي ؟

نظرت له باسمة وقد فهمت ما يعنيه فقالت

- لا الطقس بخير لا تقلق

ابتسم وليد في صمت , غادر الاثنان بعدها تاركين اروي تصوج في الشقة وتقطعها في قلق ذهابا وايابا , تنظف هذه وترتب تلك , في محاولة يائسة لدفع الامر عن رأسها دون جدوي , تذكرت ايامها مع حسام وماآلت اليه حالتها في النهاية , تذكرت كل الوجع , اشفقت علي علا من المصير الذي قد ينتظرها , ساعتها حسمت قرارها ستحدثها اذن لن تسمح لها بالوقوع بما سبق ان وقعت فيه هي .

لحسن الحظ عادت علا مبكرا من الجامعة ذاك اليوم , جلست مع اروي في الشرفة يتحدثان في امور شتي , يتمازحان وتعلو ضحكتهما , كانت اروي تحاول استجماع شجاعتهما , لا تعرف من اين تبدأ , لكنها حزمت امرها , وقالت

- دعيني اخبرك قصة يا علا

ابتسمت علا منصة فاردفت اروي

- كانت هناك فتاة ضائعة ووحيدة , لا احد يستمع لما تقول ولا احد يشعر بما يدور داخلها , فتاة عاندها الكون وطوحت بها المشاكل , فصارت ضعيفة وهشة , كانت في امس الحاجة لصديق يقف الي جوارها , شخص يساعدها يهون عليها ماكانت فيه , يشعرها ان كل شئ سيكون بخير , شخص يملأ فراغ كونها الصغير , ووجدته يوما ما , صدفة وضعه القدر في طريقها , فانتشلها مما كانت توشك علي

الغرق فيه , ساندها , وجعلها تقف علي قدميها من جديد , احبته كثيرا واحبها اكثر , واستمر حبهما في البداية عذبا رقيقا , لكنه اصبح مخيفا بمرور الوقت , اصبح مقلقا , لا يدعها تنام , ولا تعيش , كانت خائفة طوال الوقت من ان يأتي اليوم الذي يتركها فيه , كانت خائفة من ان يعرف احدهم بأمر حبهما السري , كانت تخاف ان تغضبه , تخاف علي شعوره , تحاول بأقصى قوتها الا تدع مكروها يمسه وان مسها هي , كان يؤلمها دون قصد فتصمت لانها تخاف ان ترعجه , لم يكن قلبها يكف عن الخفقان , لكن ليس خبا , انما خوفا , تلك اللحظات التي كانت تسرقها معه كانت عذبة وجميلة , لكنها كانت تدفع ثمنها غالبا , احتراق اعصاب ورعشة فؤاد , وهسيس ضمير يوجع بين الضلوع , كانت تعرف انها مخطأة لكنها كانت تعاند , تحول الحب الي حاجة مريرة , لتكتشف فجأة انها غارقة في الوحل , انه ما انقذها الا ليورطها اكثر , اصبحت كل لحظة معه ثقيلة ومريرة , تلتفت في كل مرة تجلس معه يمينا ويسارا خشية ان يراها احد , ويفلت هو يدها ما ان يلتقيان بشخص يعرفانه , لو تعرفين اي شعور مهين كان يمر بها في تلك اللحظة , لكنها استمرت في العناد , ليأتي يوم ويفلتها وحيدة وضائعة كما وجدها , ومحطمة القلب ايضا , لم تملك يومها الحق ولا القوة للصراخ به , اذ كانت تعرف ان تلك هي نهايتهما المحتومة علي اية حال ! . الالم كان يصاحبها منذ اليوم الذي تركها فيه , شعور مر كربه يحيط بكل نفس تتنفسه , وخز اليم في يديها حيث امسك بهما , يلازمها الندم طوال حياتها , فقط لانها كانت تستطيع منع هذا ولم تفعل , كان بإمكانها الا تتألم , اكتشفت ان الامر برمته لم يكن يستحق العناء اصلا .

كانت علا تحملق بها مضطربة , شعور في داخلها يخبرها ان زوجة اخيها تلمح لها انها عرفت كل شئ لكنها لم تصدقه , ظلتا صاممتين لبعض الوقت حتي قال وليد الذي وقف عند باب الشرفة

- لقد عدت .

ابتسمتا له وغادرت ارووي لتعد الغداء , يراقبها وليد متسائلا لما اخبرت اخته بتلك القصة , شئ ما يخبره انها كانت تتحدث عن نفسها هي , وعن حسام , جلس الي الطاولة يراقبها , لكن نظرهما كانت منصبة علي الطبق امامها , مرتبكة وضائعة كانت تبدو , تمني وليد كثيرا ان يسألها لكنه عرف انه لن يستطيع .

انهي وليد ضلابة العيد وعاد الي المنزل حيث سبقته اخته ومعها ارووي الي هناك , فتح الباب فاستقبلته علا بذراعيها قنأه بالعيد وتطلب منه مصروفا ضحك وليد من تصرفها الطفولي واخرج مالا من جيبه واعطاها اياه فقبلت وجنته وكاد يمضي معها الي الصالة لكنها استوقفته

- الن قنأ ارووي بالعيد ؟

التفت وليد الي المطبخ ليري ارووي واقفة تنظر لهما وتعلو ملامحها ابتسامة شاحبة مرتجفة ترك علا وسار الي ارووي وكلما اقترب منها زادت ملامحها اضطرابا وارتاباكا وقف امامها ولم يكذب يلفظ شيئا حتي قاطعته

- لقد ذهبت اختك لا داعي لذلك !

واولته ظهرها مدعية الانشغال امسك وليد بذراعيها وادارها نحوه امسك كتفيها بيديه وخفض رأسه بعض الشئ لتكون في مستوي رأسها وقال وهو يثبت كل نظراته في عينيها

- ارووي انا فعلت الكثير من الاشياء السيئة لك لن انكر هذا لكنني رغم ذلك كنت دائما في منتهي الصدق حين يأتي الامر للتعامل معك وجها لوجه , لم اكذب ولو لمرة واحدة امام عينيكي ولا يمكنني ان افعل , لا استطيع ان اكون الا وليد معك وليد وحسب مجردا من كل شئ , لم يسبق ان مثلت او

ادعيت ولن ابدأ في فعل ذلك الان لاي سبب مهما كان !

رفع رأسه وقبل جبينها وقال

- كل عام وانتي بخير , ارجو ان يمنحك الله كل السعادة التي يستحقها قلبك الطيب

لم تجبه اروي لكنها ابتسمت ابتسامة واسعة كانت ابلغ من كل قول من الممكن ان تقوله !

قال حسام

- الأعياد في النهاية نسبية كما كل شئ آخر في الحياة , لا يجب ان تعني لك ما تعنيه للآخرين بالضرورة .

فانفجر سيف في ضحكة طويلة علي الهاتف حيث يحادث صديقه ليهنأه صباح العيد

- يبدو انك اصبحت فيلسوفا يا صديقي

حاول حسام ان يضحك حتي لا يعرف صديقه ما يدور بخلده حقا , الاعياد بالنسبة له لا طالما كانت اياما ثقيلة طويلة , شعر فيها بصقيع في روحه اكثر من اي يوم آخر في حياته , لا طالما كان يقارن بمعاملة والده ومعاملة الآباء الآخرين فيخسر والده دائما خسارة مريرة .

اغلق سيف الهاتف وغادر الشرفة الي الصالة الضيقة حيث تجلس والدته تشاهد مراسم الحج عبر شاشة التلفزيون بعينين دامعتين ملأوهما رجاء مشوب بالرضا , يعرف انها تتمني ان تزور بيت الله , لكن ضيق ذات يده يجعله عاجزا قليل الخيلة , الي متي سيتحمل جفاء اخيه هذا ؟ , هاهو عيد اتى وسيرحل ولا يفكر في الاتصال بأخيه حتي ليهنأه بالعيد وان حدث واتصل سيف به , لا يجيبه , لقد بدأ صبره ينفذ

بالفعل .

مساءً مرّ ليصطحب نوران ليخرجها قليلا , امام الكورنيش جلسا يتحدثان غارقين في روعة المشهد الليلي البارد , كانت نوران متململة مرتبكة , احس هو بذلك فسالها ان تتحدث فقالت

- لقد وجد لي والدي عملا في احد شركات السياحة ويريدني ان اذهب .

حملق فيها سيف لبعض الوقت وقال

- هل هذا اذن ام اعلان , لا افهم ؟

ابتلعت ريقها في توتر وقالت

- هل يعقل ان ترفض ؟

وقف سيف يتحرك قليلا يحاول التحكم في غضبه , حتي لا ينفجر فيها , تماسك بقدر ما استطاع وجلس الي جوراها قائلا

- انا لست معترضا علي عملك في الاساس , لكن التوقيت سيء , ستضعيني في موقف محرج , انا لازلت انتقل بين هذا العمل وذاك , وانا اعرف والديك جيدا شهر واحد في تلك الوظيفة وستأتينا المشاكل من حيث لا ندري .

وقفت نوران قائلة

- كنت اعرف انك ستقول هذا ؟ انت اناني حقا يا سيف , انا احتاج لهذا العمل وسأعمل .

- وهذه كلمات من هذه المرة ؟

- لا افهمك ؟

ضغط سيف علي اسنانه وقال

- اعني هل املك اياه خالتك ام امك ام ابنة خالتك , ام من تحدثت اليك وصبته في اذنك !

- دعنا نعود الي المتزل !

- هذا رايب ايضا !

دفعها قليلا لتسير امامه , اوصلها الي متزلها وتركها دون ان يحدثها , عائدا الي متزله , تتخبط الافكار بجمجمته , لا طالما كان يكره شيئا واحدا في نوران , شخصيتها المهزوزة , فجأة تنفجر بكلمات جارحة ليكتشف فيما بعد انها كانت ناتجة عن حديثها مع شخص ما , هي تنصت للجميع سواه , كل يؤثر فيها وعليها الاله , يتمني الا يلغي ارادتها , يريد لها ان تتخذ القرار بيدها لا بيد شخص آخر لكن الوضع يزداد سوءا , وما يصعب الامر الوظائف التي يتنقل بين احدها والآخر وكلها لا تناسبه , لكنه لا زال يحاول رغما عن ذلك .

كانت قاعة السينما مظلمة الا من ذاك الضوء القادم من الشاشة التي تعرض فيلما بدا لوليد شديد السخف كان الارهاق قد بلغ منه مبلغا عظيما بعد ان سار لفترة طويلة مع علا واروي وهاهي علا قد اصرت علي حضور الفيلم ولم تكتفي بنهار العيد الطويل الذي قضاه ثلاثتهم بين الحدائق والمطاعم ولم يستطع وليد ان يرفض لها طلبا خاصة مع ملاحظته من تجهمها في الايام السابقة , ارخي وليد رأسه الي الوراء وغفا سريعا لشدة التعب تاركا اروي واخته مركرتين علي الفيلم غير منتبهتين له كليا , حتي افاق فرعا علي صوت تصفيق حار بعد ان انتهى الفيلم انتبهت اروي لفرعه فمسحت علي رأسه قائلة

- وليد لقد انتهى الفيلم هلا ذهبنا

وقف وليد سائرا امامهن وقد افاق تماما بعد ان ظل نائما طوال فترة عرض الفيلم , استقل الثلاثة السيارة وانطلقوا في طريقهم الي المتزل دون ان تتوقف علا عن مدح الفيلم ووليد عن ذمه ظلا يتجادلان طويلا ونامت ارووي التي داعبها الهواء البارد علي كرسيها حتي وصلوا الي باب المتزل نزلت علا وسبقتهما الي اعلي , نزل وليد من السيارة وسار الي باب ارووي وفتحه مناديا

- ارووي لقد وصلنا

فتحت ارووي عينيها الناعستين وترجلت من السيارة بالكاد تري امامها لتسير , اشفق وليد عليها من مشيتها المترنحة غير المتزنة بعض الشيء , لكم تمنى ونازعته روحه ان يمد يده ليمسك بيدها لكنه لم يجرؤ علي فعلها كان خائفا من رد فعلها خائفا من الا يكون له الحق في ذلك , راح يقبض يده ويبسطها ويدق قلبه بسرعة شديدة تتفاقم نيران الحيرة في صدره فينفث في غضب ويده تنقبض وتبسط حتي شعر بيد ارووي تسكن في يده , التفت لها متفاجأ فابتسمت من وسط النعاس قائلة

- سأسقط لما لا تمسك بيدي

اتسعت ابتسامة وليد وقبض علي يدها بشدة حتي صعدا السلم سويا وترك يدها ليفتح الباب ودخل , نزع حذائه وكاد يدخل الي الصالة لكنها نادته فالتفت له اشارت له ان يقترب فوقف الي جوارها , استندت بيدها علي ساعده وانحنت تخلع حذائها ذا الكعب العالي فيما يقف وليد مراقبا وغبطة تجتاح قلبه انتهت ارووي وتركته سائرا الي غرفتها , اطمأن علي علا ولحق بها سريعا فوجدها نائمة كما هي بشياها ناداها فلم ترد جلس الي السرير وشدها من يديها حتي جلست فقالت له متأففة

- اتركني اريد ان انام

- وماذا عن هذه المسامير في حجابك الا تخشين ان تؤذيك

فتحت اروى نصف عين وضحكت قائلة

- اي مسامير .. وليد اريد ان انام

تنهد وليد وخلع حجابها في رفق ثم تركها لتعود الي النوم وغطاها واستقر جالسا الي جوارها يراقبها مفكرا سعيدا اروى صارت تعتمد عليه من جديد , هل استعاد صداقتها اذن .؟ هل صارت تثق به من جديد ؟ لن يخسر صداقتها ابدا .. ؟ ماذا عن وضعهما الغريب هذا ؟ تري ليس ما يجري الا هذوءا يسبق عاصفة جديدة ليس الا ؟

تنهد وليد ووقف ليخلع معطفه وارتمي علي الارىكة لينام

كانت تلك هي ليلة علا الاخيرة في بيت وليد , اذ سيعود والديهما في الصباح الباكر , حاول وليد مرارا ان يسألها عن سبب تجمها وضيقها لكنه لم يحصل علي اجابة , كانت تطمأنه بجمل بمعثرة لا معني لها فيعود اكثر قلقا , لم تستطع اروى ان تطمأنه لانها نفسها كانت قلقة من وضعها , بيد ان حديثهما لم يؤت ثماره المرجوة , لا زالت تتحدث الي ذاك الشاب , لكن اروى تمني نفسها ان يكون سبب ضيقها هو تأنيب ضميرها وشعورها انها تخطأ خطأ فادحا , تراها اخطأت حين لم تخبر وليد !

كانت تساعد علا في اعداد حقيبتها , حين جلست الي السرير وقالت

- اروى امكننا التحدث قليلا

ارتعبت اروى لكنها اومت موافقة وجلست تنصت الي حديثها عن ذاك الشاب ومن اين تعرفه , وكيف حدثته ؟

- انا تحدثت اليه بالامس واخبرته انني ما عدت استطيع فعل هذا !

ابتسمت اروي في راحة وضمت علا في حنو , كانت تعرف انها تتالم , وقررت انها منذ اللحظة لن تتركها وحيدة , ستتقرب اليها , ستصبح صديقتها , ستملاً هي فراغ كونها الصغير ولن تسمح لاحد باقتحام حياتها حتي يحين الوقت المناسب , ستفعل معها ما لم يفعله احد لها , ستحميها من نفسها .

الدفء

من تكونين ؟ كاد يسألها , بيد ان عيناه لا تكادان تعرفانها , عنيدة كما لم يسبق له ان عرفها , شهر كامل تحملته نوران بعيدا عنه , مكابرة لا تريد ان ترضخ لما تسميها انانيته , تسلمت الوظيفة رغم رفضه , واقامت من مشكلات ما شاء الله له ان يقوم ولم تتراجع , لم تحدثه حتي , رغم انه اشتاقها بشدة , اليوم , واليوم تحديدا كانت القشة التي قصمت ظهر البعير , ينظر نحوها غير منصت لحديث والدها اللاذع عن كونه تأخر في الاعداد للزفاف او عن كونه لا يستطيع ان يجد عملا حتي الآن ؟ لماذا لا تدافع عنه , لماذا تجلس صامتة تاركة هذا الحديث ينهال علي رأسه , يعرف انه تأخر كثيرا بل كثيرا جدا جدا , لكن كيف كان له ان يعرف حين حدد مع والدها موعد الزفاف ان اخاه سيتحكم في كل شئ بوضع اليد , ان حبيبته ستعانده , ستصعب عليه الامور اكثر مماهي بالفعل , كيف يخبرها انه تقريبا لم يعد ينام , يعمل في وظيفتين , ينهكانه , ماذا عليه ان يفعل اكثر ربما حان الوقت ليتوقف عن كونه بهذه الطيبة والسذاجة , الي متي سيتحمل صراخهم عليه , الي متي سيتركهم يهضمون حقه , الي متي سيجلس امامها يري فيها كل شئ ظن انه غير موجود يوما ؟ .

انتظر منها المساندة والدعم لكن يبدو انه في هذا الوضع وحده ووحده فقط , لن يساعده احد مالم يساعد نفسه , " مد يدك وانقذ نفسك او اغرق يا صديقي " قالها لنفسه وهو يغادر منزل نوران وصرير الحديث يأز في اذنه , اقترب من المكان الذي توجد فيه شقته التي استولي عليها اخاه , من الجيد ان ساكنا جديدا لم يستأجرها بعد , سار الي محل الاقفال القريب , القمي النحية علي الرجل الذي كان يعرفه بالفعل سأله المساعدة ليفتح الشقة حيث سافر اخاه ونسي ان يعطيه المفتاح , ساعده الرجل وفتح له الباب , طلب منه سيف ان يغير المفتاح ففعل واعطاه نسختين من المفتاح الجديد , شكره سيف

فانصرف الرجل , اخرج الهاتف من جيبه واتصل بوالدته , طلب منها ان تحزم اغراضهم قائلاً

- سنعود الي شقتي ياامي .

تشي السماء بهبوب عاصفة , الريح تضرب جسده المرتعش , فينكمش داخل معطفه الجلدي , لكنه رغم كل شئ يبقي ساكناً , تسقط قطرات المطر واحدة تلو الأخرى فوق رأسه , مختلطة بدمعه , يلتقط انفاسه في ضيق , كم يبدو الهواء ثقيلًا , كل شئ من حوله يتآمر ضده , كأن الزمن يعود به الي تلك الليلة نفسها , تضرب تلك العاصفة روحه , وصورتها مضرجة بالدماء لا تفارق رأسه , لازالت رائحة دمائها النفاذة عالقة بجسده , مهما اغتسل مهما مر من فصول , يظل وجع فقدها لصيقاً بقلبه , ينوح في الليالي الخالكة , يكتفه العجز يطاردها في كوابيسه دون جدوي , يسقط كل مرة في نهاية الحلم الي جوار جسدها صارخاً باكياً دوغماً حول او قوة .

تنكسر عزمته , ويدب الوهن في اوصاله لا يملك القوة فيجلس الي المقعد البارد , يزداد المطر , ولا يتوقف هاتفه عن الطنين , اروى لا تكف عن مهاذفته , لكنه غارق حيث هو , يحث الخطي الي المنزل , تحت المطر وفي عكس اتجاه الريح التي تحاول دفعه للوراء فيدفعها بجسده , يخترمها كما اخترمت روحه في تلك الليلة , يعاركها , يريد ان يصرخ لكن الحزن المعربد في حشاه يقلص انفاسه فيخرج صوته مبوحاً , ضائعا , وسط صوت الريح العتية , يزوم كليث جريح , فتزوم بدورها , قوية نبرتها تصم اذنيه , تخرج انفاسه محملة بمشرفة بكاء مكتوم , مخيف صوت صرخته التي لا يسمعها سواه .

وصل الي المنزل فتح الباب فانتفضت اروى عن الاريقة , راکضة نحو الباب تساله في لهفة اين كان , فيجيب

- ها أنا عدت .

تركها ودلف الي غرفته وسط حيرتها الشديدة , كانت عيناه حمراوين , منطفأتين , شئ فيه مختلف مكسور , شئ بدا في نبرة صوته المهزوزة .

ذهبت الي غرفته فتحت الباب فوجدته نائما سألته

- وليد مابك ؟

- لا شئ

- الن تبذل ثيابك , ربما تصاب بالبرد ؟

- لاحقا , اخرجني رجاء

اغلقت الباب وخرجت , اخافتها نبرته الباردة , تعجز عن فهم ما اصابه فجأة , مر يومين او ثلاثة وهو علي هذه الحالة لا يحدتها , لا يأكل , انعزل عنها تماما , تتساءل هل ارتبكت خطأ ما لكنها لا تذكر انها فعلت , حالته اليوم تبعث علي الخوف , هو اكثر حزنا , واكثر هشاشة من اي مرة رآته فيها قبلا .

رن هاتفها فذهبت لتجيب عنه , كانت علا المتصلة , سألته في قلق

- اروني اين وليد , اتصلت به كثيرا ولا يرد

- لقد عاد لتوه الي المنزل , ماذا هناك ؟

صمتت علا لبعض الوقت وقالت في قلق واضح

- اعتني به رجاء

- حسنا انا بدأت اقلق هلا اخبرتيني ما الامر !

راحت علا تقص عليها ما حدث مع وليد وامل قبل تسع سنوات, انصتت ارووي في حزن

- يا الهي لم اكن اعرف بهذا الامر قبلا

- وليد لا يجب التحدث في الموضوع , لازال متأثرا بالأمر الي الآن , لا تنسي , هي ماتت بين يديه , وكان هو لا يزال يعد طفلا .

اغلقت ارووي الهاتف , وعادت مسرعة الي غرفته , كادت تطرق الباب لكن خانتها قواها , لأول مرة لا تعرف ماذا يجب ان تقول له , اي كلمات مواساة سوف تستعمل لتخفف عنه , و هل وجع كهذا قابل ليخفف اصلا ؟

فتحت باب الغرفة فاخترق ضوء الممر الضيق بين غرفتيهما ظلام غرفته الصامت , سارت نحو سريره , لم يبد انه شعر بوجودها , نادته فلم يجبها , هزته برفق , ففتح عينيه علي مهل , يطالع شبحها , قالت له

- وليد ! انت بخير؟

حاول ان يجيبها لكن صوته لم يسعفه , مدت يدها الي وجنته فتلمست اثر الدموع نفض يدها بعيدا , ووقف الي جوار الباب مشيرا لها لكي تخرج , سارت نحوه ووقفت امامه , لم تعرف ما تقول له , شعرت ان كلماتها ستخرج سخيفة , تزيد جرحه اغورارا .

وقفت علي اطراف اصابعها , مدت ذراعيها لتحيط بعنقه , وحده عناق دافئ , يصهر صقيع الروح , اجسادنا يمكنها ان تتأقلم مع حرارة الفقد ولهب الخيانة, لكنها لا تتأقلم مع صقيع الحزن , لا تعتاد صقيع ارواحنا الذي نطن اننا ندفن به الالم دون ان نواجهه, لا ندرك نحن اننا حين نقابل الحزن ببرودنا الكاذب فننحه عمرا فوق العمر فيحتاج نسيانه اضعاف ما تحتاجه الالام الاخري , لو امعنا النظر قليلا

لوجدنا اننا الان نبكي الاما لم نبكه بالامس حتي، وحدها تلك الجراح التي ادعينا انما غير موجودة تظل
تأن نازفة في ركن من اركان القلب ولا تسكت، وحده كسر أصلح خطأ سبب لنا العرج، ووحده الم
كان اعني من الاستيعاب فتجاهلناه شوه دواخلنا .

احاطته بذراعيها , هشة كانت , ضعيفة وصغيرة مقارنة به , لكن دفنها صهره ليتضاءل ويتضاءل ,
ويصبح بين ذراعيها , اكثر هشاشة وضعفا , سقطت الدموع الساخنة علي وجنتيه , احست برعشة
بكاءه تحترق روحها , ربت علي كتفه , وافلته وقفت امامه ينعكس الضوء علي جانب وجهها فتبدو
دمعة عنيدة في افق عينيها , امسكت بيده وقالت

- لا تحمل اثقالك وحدك يا وليد , دعني اشاركك , ناصفني وجعلك .

مسح دمعته بأصابعه وقال بصوت مزكوم

- وما ذنبك لتحملي ثقلا كهذا ؟

- اول بنود الصداقة " نصف حزنك كما نصف فرحتك , ملكي انا "

مسح علي شعرها في رفق , بدت صادقة , كطفل في الخامسة , يحاول بيديه الصغيرتين مسح دمعته
الثقيلة التي سقطت قهرا من عينيك .

خرج معها الي الصالة جلست الي جواره واضعة راسها علي كتفه , يراقبان السماء من خلف زجاج
الشرفة ملتحفين بغطاء ثقيل , لم يقل شيئا , لكنه شعر انه قال الكثير , كأنها ناصفته حزنه بالفعل .

جثا حسام علي ركبتيه بعد ان خارت قواه ولم يعد جسده يحمله اكثر , تطيح الاسئلة بقواه , ان كان يفعل كل ما يفعل ليعاقب والده فلما يشعر انه الوحيد الذي ينال هذا العقاب , ان نفاهم جميعا بعيدا عنه , فلما يشعر بروحه منبوذة في هذا العراء البارد , ان كانوا حقا يتعذبون لفراقه , فلما ينوح قلبه هكذا , وان كان هو انتصر واثبت انه بهذه القوة , فلماذا يشعر بكل هذا الضعف ؟

رفع زجاجة الخمر في يده الي فمه فسقطت آخر قطرة فيها , رماها بعيدا علي الشاطئ وارتمي علي ظهره , فرد ذراعيه الي جواره , رغم شعوره المخدر الي ان صقيعا ضربه فارتعش بدنه , تتراءى له صور كثيرة , اروى , سيف , والده ووالدته , حسن , الجامعة , والعمل واشياء اخري كثيرة , لاجل ماذا تخلي عن كل هذا ؟ لاجل التمرد ؟!! فقط ليثبت ان لا شئ يقوي علي كسره , ليثبت ان والده لا يستطيع ان يسيطر عليه و فقط لاجل هذا !! وماذا اثبت في النهاية , لا شئ علي الاطلاق !!!

وقفت امام المرأة تنظر الي بطنها المنتفخ , تمرر بيدها عليها , تتخيل طفلها الصغير غافيا في سلام , بأنامله الصغيرة , وقلبه الذي ينبض في وهن , تدمع عيناها , فبتبسم , تذكر امها في تلك اللحظة ولا تشعر نحوها الا بالشفقة , مسكينة امها كم كان عليها ان تتحمل حتي تنفصل عن سارة , اذا كانت سارة مستعدة للموت لاجل الطفل الذي لم تراه بعد , فكيف تشعر امها وجزء منها بعيد , ويرفض التحامه بها مجددا , ربما تفهم اليوم لأول مرة , عمق وجعها , وحدها ام تفهم ام .

كان مصطفى رغم سفره المستمر يعتني بها بالقدر الكافي , كم يجبها هذا الرجل ؟ وكم كانت حمقاء حين ظنت يوما ان الحب يجعل المرء ضعيفا ؟ كيف وهي تشعر الآن انها في أوج قوتها , قادرة علي مواجهة اي شئ , ولو كان الموت نفسه , لن تفكر ثانية قبل ان تمنح حياتها لحماية حياة طفلها النفيسة , وستفعل ذلك بمنتهي السعادة ومنتهي الصدق .

ندرك متأخرين جدا القيمة الحقيقية للأشياء , وهي ادركت متأخرا كم يساوي الحب ؟ بل كم يساوي الدفء . ؟ نادرة هي الفرص التي تعطينا ايها الحياة لنصحح اخطاءنا وسوء تقديرنا للأشياء , لكنها امتلكت احدي تلك الفرص النادرة , زوجها طفلها , هذان يمنحانها فرصة لتعالج كل ما انحطم بالامس .

عاد الي المتزل في المساء دخل الي غرفته بحثا عن زوجته ليجدها تخرج ثيابها من الخزانة وتضعها في حقيبة السفر , سار نحوها مبهورا

- هناء ماذا يجري ؟

لم تجبه فامسك بذراعها

- ماذا تفعلين الي اين تنوين الذهاب ؟

مسحت دموعها وقالت

- سأغادر هذا المتزل ولن اعود حتي يعود حسام اعد لي ولدي كفاك

كانت قد اكتفت وملت وتعبت , لامت والد حسام مرارا علي ما فعله لكنه لا طالما ادعي انه لا يلقي بالا لحديثها لا تدرك هي كيف تمزقه احاديثها كيف يقتله حينه الي ولده , لا تدرك انه نفسه يلوم نفسه كل يوم الف مرة علي ما فعله بولده , كلما نقل له ابن اخيه اخبارا عن حسام وعن تدهور صحته وحالته النفسية يدرك انه القي به بكلتا يديه الي النار وتركه وحده

- سيعود حسام لا تخافي لكن لا ترحلي انتي ارجوك

- انا مشتاقة لولدي ارجوك تحدث اليه

جلس شكري علي السرير وقال

- نحن اخطأنا في حق حسام كثيرا ياهناء .. انتي بمنحك اياه حرية زائدة وانا بضغطي عليه الي هذا الحد كل ما كنت اريده ان اجعل منه رجلا يتحمل مسؤولية نفسه وحياته ينتبه لك ولاخته بعد ان اموت لكنني اخطأت في استخدام الوسيلة الصحيحة لذلك كنت اشد قسوة مما ينبغي , حتي هرب الولد منا , لذا دعينا نفعل شيئا صائبا له ولو لمرة واحدة , دعيه يخوض هذه التجربة وحده ليتخلص من ضعفه وسليته هذه ليقف علي قدميه وحده وحين يشعر انه يريد ان يعود سيجد ذراعينا مفتوحين لاستقباله من جديد

- ولكن اخشي ان نفقده

تنهد والد حسام وقال

- ادعي له كل شئ سيكون بخير لنأمل ذلك .. !

انتهت اروي من ارتداء ملابسها وخرجت من الغرفة , ابتسم لها وليد متنهدا في ارتياح وقال

- ظننت اننا لن ننتهي الليلة .

رمقته في سخرية وسبقته الي الباب , استقلا السيارة ووصلا سريعا الي مكان الحفل السنوي الذي تعده الجريدة , انغمس وليد سريعا وسط جمع اصدقاءه , بين حديث ومزاح اما اروي فوقفت بعيدا تراقبه , لا طالما كان هناك حاجز يقف بينها وبين صحفيي هذه الجريدة , لم يحدث مرة ان خفت وطأة النظرات

الحادة المتبادلة , رغم انه لا سبب حقيقي لها .

شعر وليد بشئ من الاختناق فذهب متسللا الي الحديقة يلتقط انفاسه حين ناداه صوت من خلفه ,
التفت ليجدها سارة تبدو شاحبة في هذه العتمة , باردة اكثر حتي من هذا الصقيع , تسمر وليد في
مكانه , ولم يقل شيئا , كان يطالعها بنظراته المتفحصة , لتقف عيناه المفجوعتين علي بطنها المنتفخ ,
فتعود ترتطم بعينيها في صدمة , نظرت سارة الي الارض حين احرقتها نظراته , سارت نحوه علي مهل
ووقفت امامه مباشرة , صوبت نظراتها الي عينيه نافذة الي اعماقه قائلة

- كيف حالك يا وليد ؟

ابتلع ريقه في توتر قائلا

- بخير وانتي !

- انا بخير .

ران الصمت لبرهة بدت طويلة جدا , ثقيلة محملة بأحاديث كثيرة ارادت سارة ان تقولها , وبصقيع
يجمد قلب وليد , لا زال يتفحصها بنظراته ليتفاجأ انه ما عاد يعرف من تكون هذه المرأة , شعوره لا
يتحرك ناحيتها , انما هناك جليد ومزيد من الجليد يقف في المسافة القصيرة بينهما , التقطت هي انفاسها
وقالت

- وليد انا اريد ان اعيش في سلام وشئ واحد يمنعني من هذا !

- وما هو !

- ان تغفر لي انت , ان تسامحي علي ما اقترفت في حقك , صدقني ان لم اترك لاجل مال مصطفى كما
تعتقد

قاطعها قائلاً

- سارة , لا داعي لقول شيء , انا سأمحتك .

رفعت نظرها في دهشة , ظنت انه سيوبخها , سيصرخ عليها , سيفعل اي شيء الا ان يغفر لها , هو نفسه لم يصدق انه سأمحها بالفعل , ظنّ اكثر منها انه حانق وغازب عليها , لكنه حين رآها ادرك منذ الوهلة الاولى ان سارة لم تعد سبب خفقان قلبه , لسبب آخر يدق هذا القلب .

- يوما ما يتوجب علينا ان نغفر لهؤلاء البائسين الذين ما عادوا يعنون لنا شيئا , انا اغفر لك لانني اريد ان اخلص من ثقل كرهك , انا ايضا اريد العيش في سلام.

ابتسمت له , فتركها وانصرف .

كانت ارووي تبعثر نظراتها بين وليد والجمع , حين اختفي فجأة ولم تعد تراه , سألت عنه احد اصدقائه فأخبرها انه اتجه الي الحديقة , سارت ارووي نحو الحديقة المظلمة , كان يقف متحدثا لامرأة ما لم تستطع ان تعرفها اذ كانت تولي ظهرها لها , وقفت بعيدا ترقبهما في صمت , حتي انتهيا من حديثهما وتركها وليد منصرفا , التفتت المرأة عائدة الي الحفل , حين رأتها ارووي وقفت مصعوقة في مكانها .

- سارة !

همست لنفسها , الهذا السبب احضرها وليد الي هذا الحفل ؟ ليستفز سارة ؟ مجددا يفعل بها ذات الشيء , مجددا يعاملها كأنها لا شيء , حطم ثقته بها , لم تكن تدرك ان ما بينهما هش الي هذا الحد .

عادت الي الحفل تجر قدميها الثقيلتين , قادتها خطواتها الي البوابة , قررت ان تغادر , لحق بها صوت وليد , فوقفت مكانها , لا تقوي علي الاتيان بحركة , لم تتلفت له , فاقترب منها قائلا

- اين تذهين . ؟

ادارت جسدها باتجاهه , تطالعه في حلق , في صدمة , لماذا يحاول دائما ان يثبت لها انه انسان سئ , انه لا يكن لها اي احترام .

سألها وليد في قلق حين رأى ملامحها المكفهرة

- اروي ما بك ؟

خانتها دمعة , فارتبك , امسك بيدها فنفضت يده بعيدا , لم يفهم ما سر غضبها فقال

- اروي ما الامر . ؟

- لماذا احضرتني الي هذا الحفل ؟

- ماذا تقصدين ؟

قالت بصوت حانق باكي

- احضرتني لتستفز سارة مرة اخري اليس كذلك , استعملتني من جديد , اليس هذا صحيحا ؟

جحظ وليد مقلتيه قائلا

- انت مجنونة ؟

- انا فعلا مجنونة لانني وثقت بك .

ركضت مبتعدة عنه , بينما وقف هو مصعوقا يشاهدها تستقل سيارة الاجرة وتبتعد , دق هاتفها
فأجابت ليصل الي اذنيها صوت نوران الباكي يقول

- ارووي .. سأطلق انا وسيف !

فغرت ارووي فاهها ولم تعرف بأي كلمة يجب ان ترد .

الفقد

كان حسام يقف في استقبال الفندق , يحاول فتح عينيه , فيطبق الالم علي رأسه , زائغة ملامح كل شئ امامه , لماذا تناول زجاجة الخمر هذه ؟ راح يسال نفسه , كان كل مافكر فيه ان والده لو رآه في هذه الحال سيشعر بالحسرة , لكن الامر انتهى به ليشعر هو نفسه بالحسرة , لم يسبق ان ارتكب فعلة يخجل منها كتلك .

بدا كل شئ واضحا بالنسبة له ساعتها , ان كان يحاول نفي الآخرين بعيدا عنه فلما انتهى به الامر ليكون الوحيد المنبوذ في النهاية , كيف يحاول ان يوجعهم , فيرتد الوجع عليه اضعافا , كل تلك المعارك خرج منها خاسرا كل شئ , وحده يسقط ووحده يجرفه التيار , وحده يتعذب .

رن جرس هاتفه فأجاب بصوت مهتز

- مرحبا يا سيف كيف حالك ؟

- حسام , استقل اول طائرة الي القاهرة وعد .

تسمر حسام في مكانه , خوف خفي لجم لسانه فلم يجرؤ ان يسال مالسبب , لاحظ سيف هدوئه , فتماسك بقدر ما استطاع قائلا

- عمك حسن مات !

- حسن من !!

قالها حسام وكل خلية في جسده تصرخ رافضة لكن متي افادنا الرفض ماان تنفذ سهام القدر , لن

يفيدك صراخ او عويل , لن يجديك غليان رأسك , ولا تشنج قلبك , حتي وان تجمدت , كل ماتفعله ,
عبث!

- والد اروى يا حسام , انا في طريقي لابلغ اروى الخبر , ارجوك احضر سريعا

وقف حسام على حافة فقدان الوعي, تماما في تلك الثانية التي تتمني فيها ان يتوقف الزمن , ان تضربك
صاعقة من السماء , ان تموت حتي , المهم الا تسمع .

- حسام تمالك ارجوك !

- انا ات في الحال !

وضع الهاتف على الطاولة غير واع لاي شئ , قفز مسرعا , بعدها كمن لدغته افعى , لا يعرف كيف
جمع اغراضه ولا حتي متي , لانه ببساطة شئ واحد كان يصرخ في راسه , حسن مات

عاد وليد الي المتزل ليجد اروى تجلس في الشرفة وقد ضمت ركبتيها الي صدرها , كانت تحملق في
السماء , بدت محبطة , مسح علي شعرها في رفق , فالتفت اليه , جلس الي جوارها , كاد يتحدث
لكنها قالت

- لا تقل اي شئ ارجوك !

- ولكن ..

- وليد ارجوك !

لم يكدها حتي دق الجرس ذهب ليفتح الباب فوجد سيف امامه بلامحه الخزينة , دعاه وليد للدخول

متعجبا من زيارته المتأخرة , وما ان سمعت اروى صوته حتى ارتدت حجابها وركضت نحوه قائلة

- سيف ما هذا الذي اخبرني به نوران !

قال سيف بتماسك

- لم آت لاجل هذا

تسمرت اروى في مكانها اي مصيبة اقوي من خبر طلاقه ونوران , ابتلع ريقه بصعوبة , رفضت حباله الصوتية ان تطيعه , ماذا يقول ؟ ايلفظها بهذه البساطة حسن مات ! , لماذا الاشياء المؤلمة دائما ماتكون في ذات البساطة والوضوح , كأنها ترفع عنك عناء الفهم وتصوب طلقات الفجيرة الي جمجتك دفعة واحدة وبسرعة لن تستطيع حتى ان تتفادها .

اصابت ملامح سيف اروى بالذعر , فامسكت بذراع وليد الذي قال

- ماذا هناك يارجل تحدث !

ترقرقت دمعة من عينه , فشبهت اروى في خوف , سار نحوها وامسك بيدها قائلا

- البقاء لله !

نظرت الي وليد غير فاهمة , لكن سيف اكمل ..

- والدك توفاه الله !

ارتطمت الكلمة بوجودها كله فتناثر , اصطدمت الكلمة بصدرها فتراجعت الي الورا , تحملق بعينين دامعتين , ارتعش بدنها , ارتعاشة واحدة زلزلتها فانهارت تماما , كادت تسقط ارضا لولا ان امسكها وليد الذي راح يهزها في قوة فلا يستجيب جسدها , صرخ فيها مناديا , لكنها اختارت ان تجمد الزمن

ربما لدقائق , او لايام او شهور , المهم الا تشعر بهذا السكين المغروس في احشائها , المهم الا تشعر بمطرقة الفقد تمشم حجمتها .

حملها وليد مسرعا وذهبا الي المشفى الاقرب , اعطاها الطبيب مهدئا غفت علي اثره , جلس وليد الي جوارها يحاول التقاط انفاسه واستيعاب ما يدور حوله , حسن مات ..

هكذا بتلك البساطة ارتطمت الكلمة برأسه , فقط هكذا , جملة ببساطة جملة صباح الخير , تنهي حياة شخص وتغرس الف خنجر في القلب , بتلك البساطة يمضي شخص الي غير رجعة , لهذا الحد بسيطة هي الحياة حقا , والموت تحديدا ابسط كثيرا من ان يمتطق او يقنن , هو يحدث وحسب .

الا نعي حقا كم تبدو الحياة تافهة الا حين يصعقنا الموت , ترتعش ارواحنا العارية امامه , نتكسر كقطع الزجاج الهشة حين يصيب قريبا , لعل فقد الموت هو الشعور الوحيد الذي لن تملك امامه الا البكاء , اولسنا نبكي حين نخرس ارواحنا مفجوعة ! , حين لا يمكن لشيء ان يعبر الا مرارة دمعة حارقة واهتزاز الارواح الشكلي , كم بكى , حسن واخته , كم تحشرج بكاءه , كم ابتلع ريقه مرا , كم حاول التنفس فلم يكن يدلف الهواء الي رئتيه , تحتق رئتيه , يسعل باحثا عن بعض الهواء يبقيه حيا , فيتسلل شيء شفاف لا طعم له الي رئتيه ينفث فيهما ويخرج من هما فلا يشعر انه تنفس فعلا .

كانت اروي غائبة عن الوعي تائهة في سماء اخري , هاربة من واقع يقحم اسنانه في قلبها , يمزقه ويلقي بأشلاءه في كل مكان , كان وليد يجلس الي جوار السرير , حين بدأت تفتح عينيها , حملقت بالسقف طويلا , دون ان تبدي اي حركة , حاول ان ينتظرها لتبدي اي رد فعل لكنها لم تفعل , كانت متصلبة كالموتي , باردة كالثلج

امسك بيدها فلم تحرك ساكنا ..

-اروي ..

لم تجب ...

ادار وجهها نحوه ... لكنها كانت زائغة البصر تحملق بالفراغ خلفه , ساهمة , متعلقة بالاشئ , لا زالت خائفة من لحظة ارتطامها بالارض تعرف انها ستتهدم , هزها وليد في عنف فلم تجبه , خرج مسرعا يبحث عن طبيب يتدفق الدم الي اطرافه , ويصعد مسرعا الي رأسه ليغلي ويعود سريعا الي قلبه مندفعاً فيستقبل قلبه حمي الجسد دفعة واحدة , ينبض نبضة قوية مؤلمة فيرتعش جسده كله , حضر الطبيب الي غرفتها ففحصها قائلاً

- لا تخف , ليس بها شئ .

تركهما سيف عائدا الي منزل حسن في انتظار عودة اروى ووليد من المشفى , كان رأسه مثقلاً بالذكريات , يذكر كيف قرر الذهاب الي حسن ليخبره عن ماحدث بينه وبين نوران , اراد ان يبيته سقم قلبه , لكن ما ان وصل الي المنزل وطرق الباب .. لم يأتها اي جواب ابدا , اتصل بالمشفى وتأكد انه قد غادر منذ ثلاث ساعات , عاد وطرق الباب دون جدوي اتصل بهاتفه , فاستطاع ان يسمع الصوت بالداخل اذا هو بالداخل حقا , نزل مسرعا الي البواب , واتي بالمفتاح الاحتياطي وفتح , ليجد الفجيعة امام عينيه كان حسن مستلقيا بجوار سجادة الصلاة , ركض سيف نحوه وحاول ان يهزه بقوة علي امل ان يستفيق لكن دون جدوي , حسن قد صعدت روحه الي بارئها ..

لم يعرف كيف يتصرف لم يجد نفسه الا طارقا علي باب الجيران .. كان مفجوعا ويحتاج للمساعدة حقا .. ركض الجيران من كل صوب وحذب .. الدكتور حسن قد قضى نحيبه .. الرجل الطيب المعطاء الذي اقام في الشقة مايقرب ربع القرن .. انتهت حياته , اتصل سيف باهل وليد , هم فقط من يأمنهم ليترك حسن ليذهب لاروى , تركهم مع جثمان حسن وغادر ليخبرها , اصر ان يخبرها بنفسه , لم يرد لها ان

تسمع الخبر وهي وحدها .

وصل وليد واروي فجرا الي منزلها , كان المكان مكتظا والنساء يتلقفنها من عناق لآخر , وهي غير واعية من الاصل , الي اين يقودها وليد لا تعرف دلف بما الي غرفة والدها , وهي تنظر اليه , كان يعرف ان المشهد سيقتلها لكن بعض المشاهد من الافضل ان تعيشها وتقتلك علي ان لا تعيشها ابدا , ما كان من الممكن ان يجرمها من نظرة اخيرة لابيها ابدا .

اجلسها الي كرسي بجوار السرير وامسك بيدها وهو يرفع الغطاء عن وجه حسن , كان وجهه شاحبا باردا , نضبت ابتسامته التي لاطالما زينت وجهه البشوش , تصلبت يديه اللتين لاطالما هربت اليهما من وحل الحياة , الجسد الذي حماها من كل شئ , يسقط الان صريع الموت , مفسحا المجال لكل الاشياء القاسية التي حماها منها لتضربها مرة واحدة , الجسد الذي حارب المرض لاعوام , مستكين مستسلم , جحظت مقلتيها وهي تنظر اليه , مدت يدها الي كتفه وهزته في غير وعي , وقالت وسط ابتسامتها المعتادة حين لا تريد ان تبكي

-ابو علي ...

هزته من جديد ..

-ابي قم ارجوك ...

هزته بكلتا يديها وبعنف هذه المرة وهي تصرخ

- ابي تحدث اليّ قم رجاء

الرد كان صمّتا حارقا مخيفا , ..لماذا لا يقول لها اي كلمة ..امات بهذه البساطة ..؟؟ دون حديث اخير دون وداع , سئ حقا ان يمضي دون وداع , دون قول اي شئ , كل ما تريده هو عناق اخير , اهذا

كثير حقا ؟

-يا ابي...؟؟...قربت وجهها من وجهه وهمست في اذنه ..

-ابي ارجوك , لا تتركني وحدي , بالله عليك قم ..

-كفي يا اروي ..

هكذا قال وليد وهو يحاول جذبها بعيدا عنه ..لكنها تملصت منه وعادت الي جسد ابيها

-ابي

هنا امسكها وليد واحاطها بذراعيه من الخلف وجذبها بعيدا ..كانت تصرخ منادية باسم حسن ...وتنتفض بين ذراعي وليد ...

-يا اروي يكفي , حرام

هدأت لثانية فقط تبعتها صمت , سقط راسها ..فادارها نحوه , مجددا فقدت الوعي .

حملها بين ذراعيه واخرجها من الغرفة ...دخل بها الي غرفتها ...وضعها ف السرير ولم يكن في حاجة لان ينادي طبيا فالمكان مكتظ بهم , مجددا مهدئ اخر يتسلل الي عروقها , ماان تأكد وليد انها نائمة , وترك نوران معها بالغرفة حتي خرج ..ليساعد سيف في مراسم الدفن والعزاء

كان الدفن بعد صلاة الظهر ...كانت جنازة مهيبه , حسن حقا كان رجلا محبوبا ..لكن اروي لم تحضر لازالت في سريرها تحت تأثير مهدئ ثالث ..ونوران الي جوارها لا تتوقف عن البكاء .

وعكة قلب

كان العزاء ف المنزل نفسه مساء , لكن سيف استاذن عصرا وقال بأنه ذاهب الي مشوار قريب وسيعود , كان في الحقيقة ذاهبا لاحضار حسام من المطار كان الارهاق قد بلغ منه مبلغا عظيما فلم يكن قد عرف طعما للنوم منذ يومين يوم بسبب نوران ويوم بسبب العزاء , وصل الي المطار ليجد صديقه في حالة يرثي لها اكثر منه هو , تطلع في وجهه الذي نحف , جسده الذي ضعف , واللحية النابتة التي تزيدده عشرة اعوام فوق عمره , عينيه منتفختين ومخضبتيين اثر البكاء وقلة النوم , عانقه سيف , مربتا علي كتفيه في حنان , دفن حسام رأسه في عناق صديقه ولم يقل شيئا , سيصد جسده صديقه شيئا من كل ما يتربص به بالتأكيد , سيسانده , سيحميه من نفسه , سيحجر ضعفه , وضع كل ثقته في الذراعين اللتين لم تخذلانه يوما بل لاطالما كانتا هناك تتلقفانه في كل سقطة .

اوقفا سيارة اجرة وانطلقا في طريق عودتهما , غرق حسام في حزنه علي حسن اوغر موته في قلبه حتي ادماه مات الرجل وهو يكرهه كثيرا لن ينسي هذا ابدا لن ينسي انه خذله واروي كثيرا , انه اليوم خسر ابا .

توقفت سيارة التاكسي وقد اصدر صوت الفرامل صريرا قويا وقبل ان يعلق اي منهما انطلق لسان الرجل ف السيارة الاخرى في وصلة سباب ارتبكت امامها شيبة سائق سيارة الاجرة الخمسيني , اشفق حسام ع الرجل فتزل من السيارة صوب سيارة الرجل الاخر وفتح الباب قائلا وهو ينفث جمرا

-انزل

نظر الرجل الي عيني حسام الغاضبتين وقد ادرك انه قد وضع نفسه ف ورطة وحده سيف انقذه منها

حين امسك بكتفي حسام وسحبه للخلف لكن حسام دفعه بعيدا بحركة عصبية وعاد نحو السيارة لكن سيف لحق به مجددا ودفعه دفعة اسقطته ارضا و اشار للرجل ف السيارة ان ينصرف , وقف حسام امام صديقه مزجرا في غضب

- مالذي فعلته ايها المعتوه !

ضغط سيف علي اسنانه وقال في تماسك

- احمي صديقي من جنونه !

دفعه حسام بيديه في صدره صارخا فارتد للوراء

- ومن طلب منك هذا , من طلب من اي منكم وصاية او حماية .. !!

لكمه سيف لكمة طرحته ارضا وهو يقول بصبر نافذ

- غبي .. ستبقي غبيا , ماذا كنت تريد ان تفعل , ماذا كنت ستستفيد لو ضربت الرجل ؟ اتفرغ غضبك من نفسك فيه ؟ انت مريض

مسح حسام بظهر يده الدم الذي تدفق من انفه , التقط سيف انفاسه وقال بصوت لازل يشوبه الغضب

- الي متي يا حسام ؟ اخبرني , لماذا لا تفكر في تصرفاتك , لما لا تنتبه لنتائج افعالك , فكر ابعد من نفسك قليلا وستري كم انت اناني واحمق , انظر الي حالتك , اشعر انك صرت اكبر من عمرك خمسين عاما .

وجه سيف حديثه الي السائق قائلا

- خذنا الي اقرب فندق رجاء

هب واقفا وقال متوسلا

- لا ارجوك دعنا نذهب لاروي رجاء

بدا سيف يلتقط انفاسه رويدا , كان غاضبا حزينا مشفقا علي صديقه الابله , هل يثق به ؟ هل يأمن رد فعله ؟ كان خائفا مما قد يفعل صديقه لو رأي اروي بل لو رأي وليد

- اذا كنت تريد ان تذهب فعليك ان تحسن التصرف , ان تضع نصب عينيك ان اروي زوجة وليد , عليك ان تحترم هذا .

بدت نبرة سيف تحذيرية , مسح حسام دمعة هاربة من عينيه وأوماً موافقا , ركبا السيارة , وسط دهشة السائق الذي وقف يراقب شجارهما دون ان يفهم شيئا .

تردد تحذير سيف في راس حسام , هو افلتها , هو تركها لوليد , هو يجني مازرع بيديه , الندم حقا مؤلم خاصة عندما يفوت الاوان , تشعر به يشح راسك نصفين شعور حارق في اسفل معدتك يتسلل منها الي رئتيك , فيصبح كل نفس تأخذه بمثابة كرة من النار تتلف كل حواسك , مرهق هو من العراك الطويل مع نفسه , تتجلي خسائره الكثيرة امام عينيه , لم يربح شيئا , وافلت كل شئ من بين يده , مريرة هي الخسارة , تقصم ظهره , تكبل رغبته في الحياة , كل مايريد الآن هو ان يراها , الشئ الوحيد الذي بات واثقا منه .

جلست اروي في وسط الصالة حولها بعض النساء , وصوت القراءان يتردد , كانت غائبة عن الوعي تماما , لا تبكي ولا حتي دمعة , ولا تتحدث , نوران تحاول ان تحدثها لكنها صامتة تماما , خرساء كل الاحاديث علي لسانها , مظلمة هي كل الصور امام عينيها .

اجربت يوما ان تخرج قلبك من مكانه .. او ان تدهسه سيارة ما ذهابا وعودة مئات المرات ..؟؟ اجربت ان يمسك احدهم بانفاسك بين يديه .. وتتنفس انت من بين ثناياهما الضيقة جدا ... فلا ينفذ الي رئتيك من الهواء الا اقله .

ام تراك جربت ان تفتح عينيك فجأة لتجدك اشلاء تحت قطار مخاوفك الذي دهستك للثو ..؟؟

اتراك تعرف كيف يعوج عمودك الفقري حين تفقد امك .. وكيف ينكسر تماما حين تفقد ابيك ..؟؟ اتعرف ذلك الشلل .. ليس انك لا تستطيع الحركة بل انت تستطيع .. لكن الشلل الاسوا ان قدميك لن تقودانك يوما الي حيث تريد الشلل هو ان لا يعود لقدميك جدوي لانهما لن تحملاك الي عناق ابيك ابدا .. مهما كانتا قويتين .. هذا هو الشلل ..

ان تتوقف افكارك نبضاتك تماما .. ان يصبح الصوت في داخلك صامتا .. بالاحري .. ان تصبح اخرس ؟ , حسن مات , كلمة اكبر من وعيها , اكبر من ان يستوعبها قلبها الذي تدميه الندوب , منذ الازل وكان موت حسن هو الخوف الاكبر الذي يطاردها , الشئ الذي كانت توقن بحتمية حدوثه , لكنها لا تستوعبه , لا تفهمه , عجزت عن توصيفه او تصنيفه , كيف يموت حسن ؟ مالذي تعنيه الكلمة ؟ واي حسن هو الذي مات , حسن الاب الذي رعاها طوال حياتها , ام حسن الذي حاول بكل الطرق ان يمنحها حنان امها الغائبة وكثيرا ما نجح , ام حسن السند الذي تعول عليه لو حدث ان سقطت , ام حسن الصديق الذي تألف الحياة في وجوده , ام حسن الذي تكن له حب العالم كله , من عليها ان ترثي ؟ علي اي منهم تبكي ؟ خسارة كبيرة , لا تتحملها , لا تفهمها ولا تريد ان تفهمها , لا تريد ان

تعيشها , لا ترغب في مواجهة هذا الجرح ابدا , يعتصر القلب وينتفض كالذبيح , جسدها ضائق بها ,
كلها يكره كلها , نار تأكلها من الداخل , الم ينبح في حشاها .

امام المتزل كان الصوان مقاما لاستقبال العزاء , وكان سيف ووليد ووالده واحد اصدقاء حسن هم من
يتلقون العزاء بينما جلس حسام بين الاخرين , هو لم يأت لهذا , يريد ان يري اروى ..يريد ان يمسخ
دموعها هو يريد غفرانا مات حسن قبل ان يمنحه اياه , ربما تغفرين ذات يوم يااروى ربما تفعلين ..الم
يكن من المفترض ان يكون هو مكان وليد متلقيا العزاء , فهو الذي فقد اباه اليوم لا وليد .

انتهى العزاء وصعد حسام مع سيف ووليد لرؤية اروى و رغم تحفظ وليد لكن لم يكن الوقت مناسباً
لابدء اي اعتراض , صعدوا الي الشقة كانت نوران تجلس الي جوار اروى وتحادثها

- ابكى يااروى ارجوك لا تفعلنى هذا بنفسك .

لكن اروى لم تفهم مالذى يعنيه الامر ان تبكى , الوجع الذى يقتلنا لا يجعلنا نبكى , فالموتى لا يعرفون
الدموع , ركض وليد صوبها , جلس على ركبتيه ارضا امامها بينما كانت هى على الكرسي امسك
بيدها فنظرت اليه , نظرت غائمة

- اروى , رجاء هونى على نفسك

لا تجيبه

- افرغى ما فى صدرك يااروى

لا تجيبه

- اروى ارجوك

تنهد في حزن علي حالتها , تمزقه رؤيتها ضعيفة مكسورة هكذا , يعرف كم تتألم ؟ الموت مؤلم , جربه من قبل , لعله الالم الوحيد الذي لا تفيد معاه رباطة جأش او قوة , المة يبقي ناخرا في الصدر .

ماذا تجيبه ؟ اتخبره عن النيران التي تحرقها , عن الالم الذي يمزق روحها , انفاسها الضائقة , " حسن مات يا وليد , اتدري كنه الكلمة , اتعرف حجم الوجع ؟ صدري لا يتحمل , الالم يضرب ضلوعي , جسدي لا يقوي علي حمل هذا الثقل , ابي اين انت كم احتاج لحمايتك وعونك الان , احتاجك لتشد من أزرى , وتمسح بيدك علي روحي المرهقة , تربت علي فؤادي المسكون بالاشباح لتطرد لعنات الخوف والالم منه , احتاج لان تعاتبني وتؤنبي بصوت انهكه المرض , احتاجك ان تقول شيئا , احتاج ليلة اخيرة , حديث اخير , ووداع اخير , كيف تمضي هكذا دون كلمة ؟ كيف ؟ "

ترقرقت دمعة في عينيها , اغلقت اجفانها عليها توقف سيل الدموع الذي يوشك علي السقوط , لكنها لم تستطع , لم يعد جسدها يتحمل الالم اكثر , اختنقت حنجرتها ببكاء مر , اجهشت في البكاء ناحية بصوت بعثره , اتلفه كله , عانقها بذراعيه , تمسكت به , بثت حمي وجعها في قلبه , علي مقربة وقف ينظر الي النحامهما , تصدعت ضلوعه في الم , حاصر القهر انفاسه , وتأججت نيران الدموع في عينيها , كان ليكون محله , كان ليحميها يخفف عنها يساندها , كانت لتبكي بين ذراعيه , ماكان حسن ليموت غاضبا منه , لو لم يكن ضعيفا جبانا ماكان ليخسر اي شئ .

فك وليد حصار ذراعيه عن جسدها امسك وجهها بين كفيه مسح دموعها علي هوادة متمتا يسألها ان تدخل الي الغرفة لترتاح قليلا , او مات موافقة فسار معها الي الغرفة , اصطدمت نظراتها الباكية بحسام الواقف قرب باب المنزل , ابتعدت عن وليد وسارت نحوه , كم تغير ؟ , مالذي يفعله هنا ؟ تساءلت , بينما كادت نظراتها اللائمة تقتله , معها حق في اي شئ تفكر فيه , معها حق ان لامته او احتقرته , هو نفسه لا يعرف كيف كان مغيبا ضائعا الي هذا الحد كيف وصل بنفسه وبها الي هنا ؟ , وشئ آخر يعذبه

اكثر , حسن مات , خوف اروى الاكبر قد صار حقيقة .

كادت نظرها تقتله كان يبكي , قرب الدموع من بين اجفانه في غير وعي , الالم الذي يضرب اضلعه كان اقوى من احتماله , غصة مرة عالقة بحلقه , ليته يموت الآن كم تمني ؟ كان مستعدا لاي اي شئ الا ان تطالعه بكل هذا الكره , توقفت امامه مباشرة ربما لدقيقتين او اكثر كانتا كفيلتين باحراق اعصاب وليد عسبا عسبا وتمزق اوردته وريدا وريدا ..

لم يستطع حسام ان ينطق لجمته نظرها لم تتحرك الا دموعه وبالكاد كان يتنفس , وكما اقتربت منه ابتعدت وعادت الي وليد دون كلمة , ادخلها الي الغرفة فتمددت علي السرير دثرها وخرج , كان حسام لايزال متمسرا في مكانه يطالع خيالها الذي اختفي بالفعل , رفع نظره ليرتطم بنظرات وليد النافرة نحوه , ايغار علي اروى منه ؟ اتي صوت من داخله يأن في ألم " يحق له فهي زوجته , ملكه " .

ابعد وليد نظراته عنه وقال وهو يجلس الي الاريكة دافنا راسه بين كفيه

- اروى ليست بخير ابدأ .

ربت سيف علي كتفه قائلا

- امنحها بعض الوقت .. اذا كنا نحن نشعر بكل هذا الالم لفقدته فما بالك بها , اصبر وستكون بخير ان

شاء الله .

اوماً براسه في استسلام وقال بصوت باهت

- اوصل نوران لمترها فقد تأخر الوقت , انا سأهتم بأروى .

ابتسم سيف مرتبكا و اشار لها ليخرجها , امسك بيد حسام وسحبه امامه كجثة هامدة , بالكاد تملك

القدرة علي الحركة .

عاد الي الغرفة , وظل مقيما علي كرسي الي جوار سريرها يقرأ القرءان حتي تسلس النوم الي عينيه فغفا في مكانه لشدة الارهاق ,عندما استيقظ صباحا لم يجد اروي في سريرها انتابه الفزع ..خرج يبحث عنها في ارجاء الشقة لكن دونما اي اثر .

فتح عينيه الموصدين في اعياء شديد , يحملق بالسقف , اين هو , تساءل وهو يدير عينيه في المكان , برهة طويلة من الصمت , حتي عادت له ذكرياته الاليمة زاحفة تنهش قلبه وروحه , انتفض عن السرير , الي الحمام حيث صب الماء البارد فوق راسه , خرج وبدل ثيابه , ملم شتات الروح , وانطلق الي وجهته , الي قبر حسن , لديه الكثير ليقوله له , لديه اعتذار لا بد ان يقدمه , يعرف انه ربما لن يسمع , ربما لن يغفر , لكنه يحتاج ان يبرأ من اثم حسن الجاسم فوق صدره .

كانت هناك , اضطرب نبضه حين رآها , جالسة تضم ركبتيها بذراعيها , تتأمل القبر الذي يبعد عنها مسافة قصيرة , اقترب منها بخطوة متوترة , لم تشعر به , نظراتها مثبتة علي رفات حسن , جثا علي ركبتيه بجوارها , ينظر الي حيث كانت تنظر هي , وبقلبه لوعة تحرقه , بالكاد كان يمسك دموعه عن الالهمار , عاجز لسانه عن البوح بشئ , لكن السكوت في تلك اللحظة , كان يبدو فعلا مشينا , لم يأت هو ليصمت , ولن تسنح له فرصة اخري كهذه ابدا تنهد قبل ان يبدأ خطاب اعتذاره الطويل
لحسن اولاً!!

اعرف بأني لا حق لي ف الغفران , ولا الانصات , بل لا حق لي في زيارة قبرك حتي,بعدها كنت الوجلع الذي انغرس بين ضلوع ابنتك , بعدما قابلت ابوتك بوضاعتي,اعرف بأني اخطأت , اقسام اني اعرف ذني

اخذتق صوته بالدموع , ابتلع المه واكمل

- الا تغفر لابنك الضال خطأه ؟ الا تسامحه ؟ اتيت لاطلب الغفران فقط بحنو اب يغفر لابنه زلته ,
سامحني ارجوك .

متأخر جدا كان اعتذاره فات الاوان كثيرا وهو الذي لم يظن ان الاوان قد يفوت يوما , تري كيف
تلهينا الحياة الي هذا الحد ؟ كيف تخادعنا بأمان زائف ان الوقت ملك ايدينا , انه يرضخ لما نرغب فيه ,
ونحن في الحقيقة الذين تدهسنا عجالاته المسرعة علي حين غفلة , تري ايملك الوقت ليصحح اخطاء
الماضي ؟ ام ان الوقت سيفوته كما فعل للتو ؟ اسينصلح مايبنه وأبيه ؟ ام سيأتي اليوم الذي يجلس فيه
قريبا من رفاتة , يبثه فيه توقه الي حمايته , او رغبته في غفرانه , او اسفه علي الوقت الذي مضى دون ان
يكون معه فيه ؟ تساءل , ماذا لو لم تمنحه الحياة فرصة ؟

التفت الي ارووي الجالسة بجواره , كفكف دموعه لتضح صورتها الغائمة , الا زالت لا تشعر بوجوده ؟

- ارووي ؟

همس لها فأجابت ببقايا صوت جامد بعثره الدمع الحبيس في مقلتيها

- ماذا تريد ؟

اجابها بصدق صارم

- الغفران حبيبي اجث عن الغفران , اريدك ان تمنحيني فرصة لاداوي الجراح الغائرة التي تسببت فيها
, ان تسامحيني علي زلاتي , فلتتجاوزني عن ضعفي وخذلاني , وامنحيني الوقت لانسيكي كل هذا ,
ارهقني الذنب , ارهقني الشوق , ارهقني التوق اليك , فرصة واحدة فقط .

كاد يمسك بيدها , لكنها رفضت يده بسرعة ووقفت مدعورة تطالعه باحتقار , ارادت ان تصرخ فيه
اي فرصة ؟ الا يدرك انها صارت زوجة لرجل آخر , الا يعرف ان والدها توفي بالامس فقط , الا يري

تربته الندية علي مقربة ؟ كيف له الا يشعر بالحزن الذي يحطمها ؟ بل كيف له ان يطلب الغفران بأي وجه ؟ اي قلب ذاك الذي سيغفر ؟ ثم من اين له الجرأة ليمسك بيديها ؟ اترأها هي التي تخطأ ؟ ماهو ذاك التصرف اللعين الذي جعله يظن انها تسمح له بذلك ؟

اصاب حسام الحرج من تصرفه تنحنح قليلا وهو يقف سائرا نحوها
- اروي اسف لم اقصد صدقيني

لكنها تراجعت اكثر والذعر باد علي ملامحها , فتلجم في موضعه .

جاب بسيارته المنطقة المحيطة بمقرها يبحث عنها بعينين تفضحان القلق الذي يعتمل في صدره , هاجت الافكار في رأسه , اين عساها تكون ؟ كيف لم ينتبه لها ؟ كانت في حالة سيئة , في رعايته هو , لكنه غفا عنها وتركها للحزن الذي يمزقها , لم يعرف ماعليه فعله , يطالع الوجوه من حوله لكنه لا يراها ليست بينهم ؟ اخرج هاتفه وضغط الازرار بأصابع مرتجفة , ابتلع ريقه ووضع الهاتف علي اذنه يستمع لصوت الجرس الذي وتره اكثر , كان سيف علي الطرف الآخر غارقا في النوم بعد ان جافاه ليومين , كان مرهقا الي حد لا يوصف , تسلل صوت الهاتف الي اذنه فاجابه دون ان يعرف المتصل اتاه صوت وليد مرتجفا ضائعا

- سيف انا لا استطيع ان اجد اروي ؟

جحظ سيف عينيه وجلس علي السرير , غير واع , ابعث الهاتف عن اذنه ليري ان وليد المتصل , كاد يستجمع الحروف ليحييه لكن صوت وليد المدعور سبقه

- لا اعرف متي خرجت ولا الي اين ذهبت كنت نائما ولم انتبه , انا لا اعرف اين هي الآن , سأموت

من القلق .

تمالك سيف نفسه وقال

- دعني اتصل بنوران لاسال عنها هناك , وانت اهدأ سنجدها كن اكيدا .

اغلق الهاتف وجلس الي السرير يرتب افكاره المنهمرة , تسلل الذعر اليه هو الآخر ماذا لو لم يجدوها ؟

اين تراها ذهبت ؟

ضغط علي الهاتف ليتصل بنوران حابسا انفاسه , فهو لم يتصل بها منذ مدة طويلة جدا , اتاه صوتها

الكسول فدغدغ قلبه , كم يجب زقزقات النوم وتراقصه علي احبالها الصوتية , سيشتاق كل هذا

بصدق , استجمع شتات نفسه وقال بصوت صارم

- اسف علي الازعاج , لكن هل مرت ارووي بك ؟

ضرب صوته خالايها فانتفضت كلها , تلتقط انفاسها بصعوبة , مرت برهة قبل ان تستوعب ماقاله , ثم

قالت بصوت محتنق

- اليست ارووي مع وليد ؟

هاله خوفها , نازعته نفسه ليهدأها لكنه تماسك وانهي الاتصال معها بعد ان اخبرها انه سيبلغها حين

يجدها , اصابت وليد الخيبة وسيف يخبره بما قالت نوران , لم يكن يستطيع ان يفكر , او يخمن اين تراها

تكون ؟

اتقد ذهن سيف وقال

- وليد ؟ كيف لم ننتبه لذلك ؟ ارووي بالتأكيد ستكون عند قبر والدها الآن من المستحيل ان تكون في

مكان آخر .

وكان الكلمة اعادت لوليد وعيه كيف لم يفكر في هذا , صحيح حين نخاف فقد احدهم نفقد بصيرتنا ولا تعود اوضح الاشارات ظاهرة لاعيننا , نرتبك ليس لاننا لا نملك طريقا ولا منفذا , ولكن لان الخوف يحجب عنا الرؤية تماما .

لازالت اروي تتراجع وحسام يحاول تهدئتها , فلا يزداد غضبها الا اشتعالا , كان رد فعلها هستيريا , لم يعرف ما كان عليه ان يفعل ؟
-اروي اهدئي-

لكنها تراجعت اكثر وعيناها تكسوهما الدموع , كانت ترتعد و تمللت اساريرها حين رات وليد يأتي راكضا نحوها من خلف حسام , تستطيع ان تحتمي به الآن تعرف انه سيرد عنها كل هذا , كل ما كانت تراه هو وليد صديقها الذي تثق به ولا طالما فعلت , وضعت وجهها بين كفيها تتنفس الصعداء , فلم تشعر الا بذراعيه يحيطانها كلها , غزت رائحة عطره انفها فارخت رأسها علي صدره , حيث يمكن لها ان تأمن الآن , ان تلقي بما يثقل كاهلها علي كتفه وسيتحملة عنها , طوقها بذراعيه بقوة , خشى ان يفقدها مرة اخري , لم يصدق حين رآها واقفة هناك , تطالعه بعين باكيه , كأنه عاد للحياة مرة اخري , اغرقها في عناقه ليغرق هو في عناقها , لا ليطمأنها بل ليطمأن بها

- كدت اموت من القلق لا تفعلي بي هذا مرة اخري

همس في اذنها بنبرة حانية , فارتجفت روحها بين ذراعيه , وكيف لا تفعل وكل هذا الدفء يغمرها , هي التي يغريها الدفء بالبكاء , كيف لا تصب احزانها بين ذراعيه وهي تعرف ان احدا لن يطلع علي دموعها سوي قلبه ؟ لا تخشي البكاء امام نبضات قلبه المتسارعة التي تؤازرها , تشد علي يدها , تخبرها

انه لن يفلتها , بإمكانها ان تضعف وسيقويها هو ؟ بإمكانها ان تتحطم , سيلملها هو ؟ كلما ازداد دفته , ازداد شعورها بالامان , فازداد بكأؤها .

اطلقها من بين ذراعيه ليطلع عينيها , مسح دموعها ببديه قائلاً

- دعينا نذهب .

اومات برأسها , فامسك بيدها والتفت ليغادرا , حين ارتطمت نظراته بنظرات حسام المصعوقة , مجددا يحرق روحه التحامهما , اتعبه ؟ مستحيل , اجاب صوت كاذب في داخله , فماذا هذا الذي يراه اذن , اروى لا تثق بأحد الا ان كان يحركها الحب ؟ مستحيل , اجاب الصوت مجددا , مستعد لان يخسرها بإرادته , لكنه ليس مستعدا ان ينتزعها منه وليد , الا تكون له سهل , ان تكون لوليد هذا هو المستحيل .

رغم ان وليد تفاجأ بمرآه الا انه تجاهله واكمل طريقه كل ما كان يهمله ان اروى الان معه , كادا يتجاوزنه , حين مد يده ممسكا بيد اروى الاخرى وقال

- اتركها

توقف وليد ناظرا الي يده التي تمسك بيدها , اشتعل غضبه , كاد يلكمه لولا ان سبقته يد اروى التي افلتت من بين يديه وسقطت علي وجه حسام , الذي ارتد فزعا علي اثر صفتها , نفضت يد حسام المطبقة علي يدها وقالت

- كفاك !!

انقبضت ملامحها وهي تصرخ فيه

- ابتعد عني يا حسام لا اريد ان اراك مرة اخرى , افهمت , هذا زوجي ايها المعتوه !

قطب حسام حاجبيه في صدمة , كاد يتقدم نحوها , لكن قبضة وليد عاجلته بلكمة طرحته ارضا

- الم تسمع ؟ ابتعد عن زوجتي افهمت ؟

قال وليد , وامسك بيد اروبي مبتعدا عن حسام الذي افترش الارض ينظر الي السماء دون ان يراها
حقا , ايعيد التاريخ نفسه؟ كم مرة سيتواجه ثلاثتهم وتتركه هي لتمسك بيد وليد وترحل، لما يفوز بها
في كل مرة ، الآن يدرك ذلك، دائما ما كان يسقط حقه فيها .

وصل وليد واروي الي السيارة , وانطلقا بها فقال لها وليد

- انعود الي منزلنا !

اومأت له ان نعم وابتعدت بنظراتها نحو الفراغ , ابتسم هو اغتباطا , هذه اول مرة يقول فيها " منزلنا "
كانت اول مرة يشعر فيها انه منزلها هما الاثني حقا .

صوت طرق عنيف ايقظه من نومه فزعا , ركض مسرعا صوب الباب ليفتحه , وجد اخاه ماثلا امامه ,
لا تنذر ملامحه بخير , اشار له بأن يدخل مبتسما رغما عن كل شيء , لكن اخاه عاجله بلكمة طرحته
ارضا , مسح سيف اثر الدم الذي تدفق من شفته , ووقف قائلا

- اخي من فضلك ادخل , دعنا نتحدث .

لكن اخاه امسك بشيابه ودفعه الي الحائط , يختلط صوته مع صوت صراخ امه التي لم تتحمل المشهد

- سيف اترك الشقة حالا وجد لك مكانا اخر لتسكن فيه , انا بحاجة للشقة .

تنهد سيف قائلا

- هذه شقتي يا أخي ولن اتركها مهما فعلت .

حاول دفع اخاه لكنه ركله بقدمه في معدته , فتكور علي نفسه الما , حاولت امه ان تدفع اخاه عنه لكنه دفعها فسقطت ارضا , تجهم سيف ووقف متناسيا المه , لكم سيف اخاه فتراجع وعاد يهاجمه ثانية، تشابكت الاذرع بالاذرع والارجل بالارجل في شجار عنيف تجمع له الجيران الذين فكوا التحام الاخوين بعد عناء مرير، لكن اخا سيف لم يتوقف عن دفعه لمن حوله في محاولة للفكاك من بين ايديهم، دون ان يكف لسانه عن السب، اما سيف فوقف متحفزا ليدافع عن نفسه دون ان يرد يوغر كل مايجري في صدره، لكن ما عاد بإمكانه ان يصمت، لم يهدأ اخوه الا حين وصلت الشرطة التي اتصل بها احد الجيران ، امسك الضابط باخاه فلم يقل سيف سوي جملة واحدة

- تعدي هذا الرجل علي في منزلي هلا اخذته رجاء

فرد ذراعيه واستلقي علي سريره الذي تركه قبل ما يقرب العام , اغمض عينيه يستعيد عقب الغرفة في انفه , سرعان ما غفا ناسيا كل شئ من حوله , مر عام منذ استطاع ان يغمض عينيه ويهنا بالنوم , ورغم كل التعب الذي شعر به قبل ان يدخل الي المنزل , لكن الارتياح اجتاح روحه ما ان رأى امه وارتمى بين ذراعيها , واستمع للومها لغيابه طوال تلك المدة الطويلة , كم احرق قلبها هو ؟ لعل كل ما اصابه كان بسبب انه لم يراع ما شعرت به في غيابه , ما ان اغمض عينيه حتي انسل من جسده ارهاق يومين متواصلين جابت فيهما قدماه الارض الي غير وجهة .

صفعة اروني لازالت تكويه , ولكمة وليد مازادته الا غيظا وحنقا , " زوجي " هكذا صرخت فيه , " زوجتي " هكذا صرخ هو فيه , وماذا عنه هو , ماعليه ان يفعل وقد طحنته ياء الملكية في كلمة كل منهما , لاول مرة يشعر انه ربما كان الدخيل علي اروني ووليد من البداية , فهي كانت تعرف وليد قبل

ان تعرفه بعام كامل , ولید كسب ثقتها قبله , و سبقه الف مرة في الوقوف الي جوارها , سبقه في مآتم حسن , سبقه في مواساتها , سبقه في كل شئ , لعله فاز بها عن جدارة , ولعل حسام لم يكن يستحقها يوما , يتساءل لما كانت متمسكة به علي اية حال , ماذا منحها هو الا الالم , والهجران , سلمها لولید بملاً يديه وضد رغبتها ويعود يلومها الآن , فات الآوان كثيرا , بل كثيرا جدا , اين موقعه هو من اي شئ بل من اي حد ؟ افجعته حقيقة انه كان يقف في اللامكان , لم يتقدم نصف خطوة بعيدا عما كان قبل ان يتخرج , بل تراجع مئة خطوة , تحطم لالف جزء , وخسر الجميع دون استثناء , اللهم الا سيف , ماذا استفاد من عناده ؟ الي اين وصل ؟ الصفر اللعين الذي يؤكد له انه عاد خالي الوفاض يصفر في اذنيه فيرهقه الما وخيبة , لم تذق عينه النوم ليومين , لم تعرف روحه الراحة , اين لا ينقطع يخترم صدره , مرة هي الخيبة , مرة الي حد الوجد .

حين تملك منه التعب قادته اقدمه المرهقة الي منزله , وقف امام البناية طويلا , تتملكه الشجاعة تارة ويقيده الجبن تارة اخري , ماذا سيقول لوالديه , ماذا يخبرهما ؟ لما عاد ؟ وماذا عاد ليفعل ؟ بكل خيباته , بكل احزانه واوجاعه , عاد عجوزا , احني ظهره الالم , اهكذا يريدان ان يرياه , كاد ينسحب , كاد يعود ادراجه ويختفي الي الابد , لكن مناديا بث في صدره , انه في الحقيقة كان في حاجة لان يصلح كل شئ وعليه ان يبدأ من النقطة التي افسدت كل حياته , هو يعرف انه لن يمضي قدما ابدا مادامت تلك الجبال قائمة بينه وبين والده , مادام يعرف انه لا يملك سندا في الحياة , استجمع شجاعته وصعد الي منزله , كانت امه وحدها , استقبلته بذراعين مفتوحتين , لا تعرفان غضبا او لوما , الا لوم واحد انها اشتاقته بشدة , قلقته عليه , ولا شئ غير ذلك , دفن راسه في عناقها الدافئ الذي لم يتحرر منه الا بعد ساعة , سحب اقدمه الثقيلة الي غرفته حيث يغفو , خائف من عودة والده الي المنزل , خائف من لقياه , تبددت كل الاحاديث من راسه منذ اللحظة فماذا يفعل لو وقف امامه , لم يبدو اي قول منطقيا بما يكفي , استيقظ من نومه , نظر الي الساعة ليجد انه قد غفا لاثنتي عشر ساعة كاملة , هب جالسا

يتأمل ما حوله , تذكر اين هو تسلل الرعب الي جسده وهو يسمع صوت والده يتحدث بالهاتف في الخارج , ارتعدت فرائصه , تناول بعض الثياب من دولابه , اخذ حماما سريعا تخلص من ذقنه الغير مشذبه , خرج الي الرواق ينتفض قلبه , كان والده سائرا نحو مكتبه موليا ظهره له , ناداه بصوت مرتجف

- ابي ؟

النفث له والده , اكتست ملامحه بحنان لم يعهده حسام لكن والده استجمع قوته فتجمدت ملامحه مرة اخري تماما كما اعتاد ان يراها , صمت كل منهما لبرهة , ترتطم نظرات حسام بالارض , يبتلع ريقه في توتر , والده متأهب للقتال , لكن حسام ماكان يملك القوة لشجار آخر , ماعاد يري جدوي من تمرد يقوم به لاجل ان يقهر والده لا اكثر , رفع عينيه ونظر الي والده بنظرة تخنقها الدموع , تقدم نحوه والقي نفسه بين ذراعيه , كانت تلك الطريقة الوحيدة التي عرف انها ستبلغ عنه كل ما اراد قوله , ان يبدو ضعيفا , غير مهم , هذا والده , مهما حدث مهما سيحدث , يعرف ان قلب هذا الرجل يحمل في الخفاء حنانا بالغا , صار متأكدا من هذا حين عانقه والده , التحما لدقيقة كاملة , افلته والده وقال بصوت متأثر

- حمدا علي سلامتكم يا بني .

- سلمك الله .

اجاب حسام بابتسامة واسعة .

وماذا يعني ان تربح المعركة ان خرجت منها بعاهة تعرقل ما تبقي من حياتك ؟ وقف سيف في شرفة شقته الواسعة يراقب مغيب الشمس , ترسم علي شفثيه ابتسامة ساخرة تخفي الما ناخرا حتي النخاع , استطاع ان يستعيد شقته التي استولي عليه اخاه , لا يعرف كيف تركه يقضي ليلته في السجن ولم يتنازل عن المحضر الا في الصباح ولم يغادر الا بعد ان اجبره ان يوقع تعهدا بعدم التعرض , لا بد لآخيه ان يدرك ان سيف لم يعد ضعيفا , وان سكوته عن ظلمه طوال تلك الفترة انما كان صبر حلیم وقد نفذ , سيستعيد رغم انفه كل حقوقه المسلوبة .

نوران هي الاخرى , نفاها عن نفسه , لم يتحمل تخليها عنه , يعرف ان شخصيتها ضعيفة مهزوزة , لكنه ما تخيل انما ستقسو عليه هو , فلتها بعملها , فلتها بعائلتها التي اهانتها , ولتها بطلاق قريب , لا يعرق كم سيحتاج من القوة لينفذ قراره لكنه سيفعل , ليس الآن , ربما حين تواتيه الشجاعة ليفعل , رغم ان الوقت كلما مر كلما ضعفت عزيمته وكلما تأرجح قراره , لكنه يمضي نفسه انه لن يتراجع , سبق وقالها لها

- دعينا ننفصل ما دمت لا تريبي مناسباً , مادمت اغار منك , مادمت انانيا , ليس عليك التحمل .

كاد يخفيها بين ذراعيه حين رأى لمعة الدموع في عينيها اثر طلبه , لكنه تماسك حين مسحت دموعها خلسة وقالت بصوت بثت فيه كل ما امتلكت من قسوة

- كما تشاء

وما علاقة ما يشاء بقرار طلاقهما , هو لا يشاء الا ان يراها تزف اليه في فستان ابيض , لا يشاء الا ان تغفو علي ذراعه , ان يبعثر خصلات شعرها , الشئ الوحيد الذي لا يشاؤه هو ان يتزعها من بين ضلوعه , ومتي خضعت الحياة لمشيئته ؟

ال " كل شئ "

كالموت , كالخوف , كشحوب الضعيف , واحتراق المذموم , كبرود جسد غادرته الروح , كتريف الجريح , كبكاء المكلوم , وصمت العاجز , وخيبة الخاسر , وغليان الغاضب , كالمهدوء المرير للمفجوع , كالخرس , كالضجيج , كالالم , كصوت انفاسها المتهدجة ليلا , كاختناقات البكاء , ككل شئ , تتكور علي نفسها لا تغادر انظارها الجدار امامها , ولا تتوقف دموعها عن الهطول الصامت , ماذا يفعل لها ؟ , عاجز ويقهره انه كذلك , يوم وراء يوم يمر وحالتها لا تزداد الا سوءا , يؤلمه اكثر انها ماعادت تسمح له ان يواسيها , تصرخ تنتفض تزوج اذا اقترب منها , ليتها يفهم كيف انقلبت حالتها هكذا , يعرف ان الحزن علي حسن اوصلها الي هذا , لكن لما تمنعه من مواساتها , من مساندتها , لما لا تريده ان يناصرها وجعها , هي التي ناصفته كل اوجاعه , تجلس الي الاريكة , تنظر الي الفراغ , تنساب الدموع الساخنة من بين اهدابها في صمت , يريد ان يمد يده ليمسحها , لكنها زرعت شوكا في الطريق اليها ,

ل
اعد الطعام وعاد يناديها فلا تجيبه , وضعه الي الطاولة وسار ليجلس الي الطاولة الاخري امام الاريكة

- اروي هل تسمعيني ؟

نظرت في عينيه نظرة طويلة لم يفهمها , ولم يرد ان يفعل , فلم تكن توحى بخير ابدأ , مسحت دموعها بظهر كفها , استجمعت بقايا صوتها الصائغ وقالت

- وليد ...

تنبعت حواسه له , مرّ زمن منذ تحدثت اليه , نظرت نحوه , اشعرته انه موجود , او انها تراه

- مالا امر .؟

ابتلعت ريقها وقالت

- طلقني .

جحظ مقلتيه وارجع ظهره الي الورااء يطالعها في دهشة , تطالعه بعينين باردتين , هز رأسه كأنه لم يستوعب , لم يسمعها , كان اكيدا انها لم تقل ذلك لكنها عادت تؤكد له قائلة

- لم تخطأ السمع ... طلقني

ماذا لو كانت الخسارة قدر يتربص بك في نهاية كل طريق , ماذا لو كنت تعرف انك رغم كل محاولاتك رغم عمق رغبتك ستخسر ؟ لو كنا ندرى عن كل مرة تخلي عنا فيها الحظ وجرعنا مر الفقد لتخلينا نحن بأنفسنا عما نريد قبل ان يترعنا اياه هو , اليس ممكنا ان خداعنا لانفسنا بأننا تخلينا زهدا وبمألاً ارادتنا كان ليخفف عنا وجمع كل خسارة ومرة كل فقد , لعنا لو اغمضنا اعيننا وافلتنا ما نحب بصدق , ماكان الصقيع ليصيب ايدينا بعد ان افلتوها هم بأمر من القدر , وحدهم هؤلاء الذين فقدناهم دون ان نريد هم من لزالوا في قلوبنا , وحدهم هؤلاء الذين وجدنا انفسنا في الخلاء دونهم فجأة هم من اوغروا في صدورنا حتي اليوم , نحن قد نفيق من الفقد لكننا لا نفيق من الصدمة , لا يمكن لارواحنا ان تنسي وجمع جراحها التي تعرت دون سابق انذار , صغيرة كانت اوصدوا عليها باب غرفتها واوصدت خالتها عليها عناقها , ولم تفهم ما حدث , دموع خالتها الساخنة تتساقط مطرا علي وجنتيها فتسرب وجعا الي وجنتها الصغيرة , ضجيج وصراخ , ووجع يتراقص في عيني والدها ولم تفهم , حين استيقظت في الصباح التالي تبحث عن والدها ولم تجدها واخبروها انها ذهبت لمكان افضل لم تفهم لما فضلت والدها ان تتركها لتذهب لذلك المكان ايا كان هو , اخبروها انها بالجنة , تمت ان تذهب اليها , فأخبروها ان لكل موعد يذهب فيه , موعد لا يعرفه الا الله , ولم تفهم , كان الالم اكبر من الفهم ,

كبرت يوماً وراء الآخر ، وكبر الجرح ولم تفهم ، تشبثت بحسن بكل قواها ظنته أكبر من الفقد ،
أقرب من البعد ، كانت قوية به ، نابضة بقلبه ، تعلمت منه الجلد والصبر ، أورثها بشاشته وقلبه
الواسع ، استندت إليه ولم تهتز إلا حين تزلزل هو في أيام مرضه الأولي ، كان مرضه عصياً علي فهمها ،
اليماء علي قلب كره الخسارة ، لم تعرف خوفاً كما عرفت وقتها ولم تكن ضعيفة كساعتها ، تماماً حين
التقاها حسام ، في أحلك لحظة في عمرها بأسره ، حسن في غيبوته الطويلة ووليد في سفره البعيد لا
يستطيع العودة ليساندها ، كان حسام هناك ، مد يديه ، فالتقطتها بلهفة غريق تعلق بقشة ، تحسن
حسن وصار حسام بالقرب ، وعاد وليد ، لعلها كانت اللحظة التي ظنت فيها أن خوفاً ماعاد يطرق
أبواب القلب ، تجاهلت صوتاً يرتعش في الوجدان بأن حسام وجد ليختفي ، وجاء ليرحل ، لكنها ما
أرادت أن تسمع ، كان الأمر عصياً علي فهمها ، لكن المخاوف مافتأت تتأرجح في جنبات العقل ، حتي
كان ، في لحظة عرفت أنها ستأتي ولم ترد أن تصدق ، فليس اسوا من ذلك الألم الذي يتربص بك وتعرف
أنت أنه يتربص بك ورغم ذلك لا يسعك الهرب منه ، تركها حسام ، وفقط حينها ظنت أن الأمور لا
يمكن أن تسوء أكثر لكنها دائماً ما تسوء بمجرد أن نفكر أنها لن تفعل ، لم تعرف أن شيئاً اسوا كان
بالقرب ، فوليد كان الوجدان الآخر والخسارة الكبرى ، ذاك الذي لم تعد تعرف بأي ناحية تضعه في
القلب ، ربما لم تفقده جسداً لكنها فقدته صديقاً لمدة طويلة ، ولم تكذ تستعيده حتي ضربها الوجدان في
مقتل ، أتاها الفقد من حيث كادت تنسي أنه سيأتي ، ذهب الموت بحسن ، الن تسمع صوته بعد اليوم ،
الن يغرق خوفها في طمأنينته ؟ الن تمناً انفاسها بعقب عناقه الدافئ الحاني ، الن يوقظها منادياً

- اروني حبيبتني تأخرتني هيا .

الن يربت علي كتفها قاتلاً

- لو كانت والدتك علي قيد الحياة لاحتك أكثر مما تتخيلين

الن يخبرها أنها اعتي من أي شيء يحاول كسرهما ؟ ، الن يمسح دموعاً هاربة من عينيها ؟ لن يمنحها أذناً

بالخروج لو تدللت عليه ؟ ماذا لو ادار الكون لها ظهره ان تجد حسن هناك يساندها , ان يجيها لو نادته ؟ ان يفعل حقا ؟ كم يبدو هذا عصيا علي الفهم ! اثقل من ان تتحملة روح اهلكها الفقد .

رفعت عينها تطالع وليد الذي اكفهر وجهه اثر كلمتها , لم ينطق , لم يتحرك لازال ينظر اليها في صدمة , ان تكون الخسارة اقل وطأة لو كانت مع خسارة اكبر ؟ ما يربطها بوليد مصير معتم لا يحمل الا نهاية واحدة ولا سواها , فلما التأخر لما ليس الآن لما ليس مع كل هذا الوجع ؟ لتفنته بملأ ارادتها , لتفنته مادامت تستطيع , لن تسمح للقدر ان يياغتها مرة اخري , ستتحمل ان تتركه , لا ان تستيقظ يوما ولا تجده .

ابتلع ريقه عنوة , وزاغ ببصره بعيدا , حاول ان يفكر ان ينطق حتي لكنه ما استطاع مجازاة الضجيج في داخله , الانه لم يكن يعرف ان تلك هي النهاية ؟ او انه كان يعرف ولم يرد ان يصدق ؟ الانه لا يرغب في ان يتركها او لانه لا يرغب في ان يترك ؟ الشلل حقا ان تتحرك افكارك اسرع من ان تلاحقها , وقد كانت افكاره تركز ركضا في جمجمته سيطر علي انفعاله وقال

- دعينا نخلد للنوم .

امسك بيدها لتقف معه فترعت يدها من يده في عنف مستنكرة اجابته علي طلبها فقال

- اظني اعرف طريقة افضل .

حملها بين ذراعيه متجاهلا صوت صراخها , القى بها علي سريرها قائلا في برود

- نامي رجاء سنتحدث في الصباح .

تركها والقي بنفسه علي الاربيكة , وضعت رأسها علي الوسادة في غيظ ونامت سريعا تحت تأثير

الدواء الذي وصفه لها الطبيب بعد ان قضت عدة ليال ساهدة لا تذوق عينها غمضا .

حاول ان ينام فخاصمه النوم , لم يكن من السهل تجاهل الافكار التي أججها طلبها في رأسه , لماذا تفاجأ بما قالته الي هذا الحد وكأنه ما توقع ان تسمع اذناه تلك الكلمة يوماً , الم يعرف انهما في يوم ما لا بد لهما ان ينفصلا حقا , تناسي تلك الحقيقة , تناسها حتي اقتنع عقله انهما غير موجوده اصلا , لكن متي كان نسياننا للاشياء يعني انما لن ترتطم بنا في النهاية ؟ , طلبها ثقيل صعب ومؤلم , لا يظن نفسه يمتلك من القوة ما يكفي لافلاتها , يكره ان يعترف لكن وجودها في حياته منحها القوة لينسي الماضي كله , ليقف علي قدميه من جديد , ناصفته وجعه , خففت عنه اثقاله , يكفي انما كانت تفهم احاديثه الصامتة , يكفي انه استطاع ان يغرق في عناقها كطفل يبحث عن الطمأنينة بين ذراعي امه , يكفي انه ما كان يقاصصها بأوجاعه لكنه كان يبثها لقلبها فتشعر به , تواسيه وتشجعه دون حتي ان تنبس ببنت شفة .

وقف سائرا نحو السرير واستلقي الي جوارها يطالعها بعينين ما عادتا تعرفان كنه الشعور الذي يغمره في تلك اللحظة , احقا يستطيع ان يتخلى عنها ؟ عن زقزقة صوتها في كل صباح حين توقظه ؟ عن ضحكاتها الشغوف التي تملأ منزله بالحياة , عن الصمت الشهوي الذي يتراقص بينهما حاملا من الاحاديث ما لا يمكن للسان ان يقوله , اروي لم تعد صديقته المقربة , او حتي صغيرته التي اعتاد الاعتياء بها , تخطت هي ذلك بكثير , نفذت الي دواخله , وماعاد من الممكن استئصالها , حتي وان طالبتة هي بذلك , تذكر حينها يوم كانا بالمقبرة وصار ما صار مع حسام , لا زالت كلمة " زوجي " تتردد في اذنيه فتربك افكاره , ويضوج نبضه , كم احبت اذناه الكلمة , بل كم احبها قلبه , كيف لها الآن ان تطالبه بأن يتركها ؟ ايكون حسام السبب ؟ الازالت تحبه ياتري ؟ هل غفرت له ؟ تألم ساخرا من نفسه حين تذكر انه نفسه آذاها اكثر مما فعل حسام بكثير , هو حطم ثقتها به , وجه سموم حبه الي قلبها هي , لتحمل جرحه وجرح حسام معا , ارهقها كيده ومافعل , ايحق له ان

يطالبها بالغفران ؟ اتراه يملك فرصة بعد كل تلك الاشهر التي قضياها سويا ؟ هو يعرف ان افلاتها صار صعبا بل مستحيلا , لكن بأي حق يستبقيها ؟ بأي صفة ؟ بأي طريقة ؟

اخفض رأسه محاولا التركيز علي محاضرتة , لكن القلب عانده والعينان قبلا فسرق نظرة خاطفة نحوها فاضطرب قلبه مرة اخري , تلك الفتاة سرقت لبه منذ رآها لأول مرة , كيف يرتبك في حضرتها هو الذي لم تنفذ امرأة قبلها الي قلبه , زفر في ضيق من نفسه وعاد يركز علي محاضرتة دون ان يتوقف عن استراق النظر نحوها , كانت الاشهر تمر تباعا , دون ان يستطيع السيطرة علي تصرفه المراهق ذاك , ولم يكن يعرف ان الحياة توشك علي ان تجعل طريقه يقاطع طريقها عن قرب , يذكر حين اتاه حسام يوما يخبره عن فتاة يعرفها تدعي ارووي , قص له ما كان من امر والدها ومرضه , رق سيف لحالتها كثيرا , لذا رحب بطلب حسام في ان يساعدها لاستعادة مافاتهما في الشهرين الماضيين في الدراسة , لكنه حين ذهب مع حسام لملاقاتهما , كانت نوران هناك معها , صديقتها المقربة , هكذا عرفت عنها ارووي , كان تلك اول مرة يستمع الي صوتها الناعم يرحب به , فابتسم لها ابتسامة عذبة تجشم كثيرا من العناء لكي لا يظهر ارتبাকে واضحا فيها , كم تطلب الامر من جهد ليستطيع التركيز عما كان يشرحه آن ذاك , صب تركيزه علي الاوراق امامه دافعا نفسه ليتناسي وجودها الذي يبعثر افكاره كلها , تكرر لقاءهما ذاك مرات ومرات , تارة بالجامعة وتارة بالمشفي عند حسن , لم يتحدث هو ونوران كثيرا بل لم يتحدثا ابدا , لكنها رغم ذلك استمرت تنفذ الي قلبه دون حتي ان تحاول ذلك , ودون ان يقاوم هو الامر , ومتي كان للمرأ ان يقاوم شعور قلبه الجارف .

حاول ان يغمض عينيه متجاهلا الذكريات التي تطر علي رأسه دون جدوي , كيف بالله لا يشفيه الزمن , كيف لا ينساها , كيف يمر الوقت فينحر الشوق كل محاولاتها اليائسة في نسيانها , يبدو ان رغبته في نزعها من قلبه ليست الا حماقة كبري يكتشف كل صباح انها تصبح مهمة اصعب كلما مر يوم آخر , لازالت حاضرة في قلبه وروحه , مسيطرة علي افكاره حتي اكثر مما كانت قبلا , بل يكاد احيانا يشفق علي حالتها , يقلق كيف يمكن ان تكون ؟ ينازعه فؤاده ليطمأن عليها فينهره ساخطا علي ضعفه , الهذا الحد يجبها حقا ؟ لم يعرف حجم ما يحمله في قلبه لها الا في تلك الفترة , كلما حاول صفق الباب في وجه حبها , فيقابله بطوفان جارف يغرقه فيها اكثر واكثر .

يمكنها ان تشعر بنظراته التي تخترقها , لم تربكها عيناه كما فعلت في هذين اليومين فلکم تغيرت نظرتة منذ تلك الليلة التي اخبرته فيها انها ترغب في ان ينفصلا , مر زمن طويل منذ آخر مرة عجزت فيها ان تفهم ما يفكر فيه كالآن , لم تحاول ان تحدثه في الامر مرة اخري , يكفي انها ادلت بطلبها وانتهي الامر , قريبا ينتهي كل شئ وتخرج هي حرة من هنا , سخرت من نفسها متسائلة عن كنه تلك الحرية التي تطالب بها , فيما هي لا تفعل الا الهرب , تركض بملاً قوتها مما يربطها بوليد , بما بات يقيدها لقلبه , تعرف انها لو استكانت وتركته يخفف عنها غياب حسن لما عادت تمتلك القوة لتركه ابدا , هي التي بالكاد تملك القوة لتركه الآن , لكن بأي صفة تبقي وبأي حق , ثقل الجراح التي خلفها في قلبها سيبقي عازلا بينهما الي الابد , ثم انه لا مناص من فراق مرير , فلتجعله اقل مرارة , اقل حرقا للقلب , واقل دموعا اذن , مادمننا لانبكي الا هؤلاء الذين انتزعوا منا دون ارادتنا , ولا نعرف حينها ان كنا نبكيهم هم او نبكي ارادتنا المسلوبة وحسب , فلتتركه بملاً ارادتها , لعل كونها لن تسلب ارادتها يشفي جرح الفراق الوشيك .

يعرف انها تقرب بنظراتها منه , ويعرف ان نظراته باتت تخيفها , بل باتت تخيفه اكثر , لا يعرف ان كان يحاول التثبيت بها او كان يودعها , لكنه يعرف ان الالم الذي يأن في قلبه لا يمكن اسكاته , تركها مستحيل , لن يتحمل الما كهذا مرة اخري , لما ياتري تحرمه الحياة من كل الذين يجهم مرة تلو الاخري , كيف تغريه بطمأنينة زائفة ان ذاك الشخص لن يتخلي عنه يوما , وما إن يأمن غدرها ويصدق بوعودها , تصفعه فجأة وتزعهم من حياته وتزع روحه معهم , يعرف ان رحيل اروي , سيتزع روحه الي غير رجعة .

المعضلة الكبرى تبقي في الاسئلة التي لا تبرح رأسه ولا يعرف لها اجابة , ناداها

- اروي ؟

نظرت نحوه فأطال النظر في عينيها , اخذ نفسا عميقا وقال

- لماذا لم تخبريني يوما بأمر حسام ؟

تعجبت من سؤاله , مالذي جعل الامر يخطر برأسه , قرأ علامات الاستفهام علي وجهها فقال مفسرا

- كنت اريد ان اسالك عن الامر منذ زمن , لكن فقط لم تسنح الفرصة , ارجوكي اجيبي , اجد ان الامر غريب حقا , كيف احببته لثلاثة اعوام كاملة دون ان تخبريني , رغم انك لم تخفي عني شيئا قبلا , وكيف كان قريبا منك الي هذا الحد ولم التق به سوي تلك المرة رغم انني وانتي كنا نلتقي دائما .

اطرقت ترتب افكارها , ماذا تقول له ؟ انها كانت تخجل ان تعترف امامه بالامر , وبما كانت ستعترف اصلا , تعرف وليد كان لينهرها يخذرها من هذا الحسام , وكأنها لم ترد ان تسمع اي صوت يؤكد لها الشكوك الدائرة في راسها آن ذاك , كم كانت غبية , وكم كانت حريصة الا يلتقي وليد بحسام ابدا كانت تعرف انه سيفهم كل شئ بمجرد ان يلحظ ارتباكها الدائم في حضرة حسام , احست انها

صمت لوقت طويل , فقالت لتتملص من السؤال , في محاولة لتحاصره هو الآخر

- ولكنك ايضا لم تخبرني عن سارة ابدا !

اجابها بحزم فاجأها

- الرجل اذا احب امرأة لا يحدث الناس عنها , حتي صديقته المقربة يا أروي .

شردت بعيدا , ولم تجبه فعاد يسأل بعد ان يأس من ان يحصل علي اجابة لسؤاله الاول

- الا زلتي تحبينه ؟

اجابت بهدوء

- بدأت اشك انني احبته يوما من الاساس

ضيق وليد عينيه في عدم فهم فقالت

- اتعرف متي التقيت بحسام ؟

هز رأسه نفيا فاكملت

- حين دخل ابي في اول غيبوبة له قبل ثلاثة اعوام , كنت انت مسافرا ضمن مؤتمر في الجريدة الي

الخارج , كنت وحدي تماما , ضعيفة , خائفة , وحينها صادفته , منحني كل الطمأنينة التي احتجتها

حينها , حتي افاق ابي وعدت انت , وتعرف ماكان اول شئ سرقه هو مني ؟ الطمأنينة , قضيت معه

ثلاثة اعوام علي حافة الخوف من خسارته , كل الحب الذي كان في قلبي , قتله الخوف والزمن , انا

وحسام كنا قد انتهينا قبل ان ننتهي بزمن طويل , اللامعني والخوف واللامبالاة قتلا كل شئ ,

وماحدث فقط وضع حدا لما بيننا .

سألها في محاولة ليحصل علي اجابة تتلج قلبه

- اذن كنتي تتمنين لو لم يعد ابدا ؟

عبثت في خاتم الزفاف في بنصرها الايسر قائلة

- اجل فلا اسوأ من ذاك الذي لم يعد ابدا الا ذاك الذي عاد بعد ان فات الاوان لاصلاح اي شئ .

ابتلع ريقه في حزن وسالها

- تعين اننا لو لم نتزوج لكان الامر اهون وكان الطريق مفتوحا لتعودا مجددا .

طالعته بابتسامة مكسورة قائلة

- هو عاد متأخرا ثلاثة اعوام ياوليد , زواجنا لا يقف في طريق عودتي له , بل حسام نفسه هو من يقف في الطريق , اخبرني كيف اعود الي رجل لم اعد احبه ؟ انا نزلت حسام لثلاثة اعوام وبيبطاً شديد حتي ما عاد لو وجود في القلب ولا الذاكرة , احمد خالد توفيق يقول " ما يموت ببطء لا يعود بسرعة لا يعود ابدا "

اجابها بابتسامة فسالته

- ماذا عنك انت لا زلت تحبها ؟

لم تعرف كيف غادر السؤال حنجرتها هي التي لم تفكر فيه يوما , لكنها لا تنكر انها ارادت معرفة الاجابة .

اجابها بسؤال

- اخبريني انتي متي تظنين ان الرجل قد ينسي امرأة احبها ؟

اجابته

- اما حين يدرك انه لم يحبها يوما , او حين تخونه , او اذا احتلت امرأة اخري فواده .

فقال

- وانا كنت احبها حقا .

تساءلت

- اذن خانتك ؟

فاجاب

- او لعل امرأة اخري احتلت قلبي ؟

ابتسمت في بلاهة فقال محاولا تغيير مجري الحديث

- اتذكرين حين رأيتنا معا ذاك اليوم في الحفل , كانت تخبرني انها سعيدة بحياتها وان الشئ الوحيد الذي يفسد عليها شعورها بالحياة , هو الذنب الذي تشعر به نحوي , اتعرفين حتي تلك اللحظة التي التقيتها فيها كنت اظن انني لا زلت احبها , لكنني حين رأيتها ادركت انها لم تعد تعينني ابدا ولم اجد نفسي الا قائلا , اننا لا بد ان نغفر هؤلاء الذين ماعادوا يعنون لنا شيئا، انني اردت ان اعيش انا الاخر في سلام

صمت لثانية واستطرد

- انا لم احضرك الي الحفل لاستفزه كما ظننتي يااروي , بل لم اكن اعرف انها هناك اصلا , صدقيني الرجل الذي ارتكب كل تلك الحماقات في الماضي مات بفضلك انت , انا لست هذا الرجل وانتي تعرفين هذا جيدا , لذا لا يمكنني ان اؤذيك مجددا , ثقي بي !

اطرقت صامتة , ولاذ هو الآخر بالصمت , تركها تفكر فيما قاله , تركها تستشعر ثقته بها من جديد ,
لعل وعسي .

مر بعض الوقت قبل ان تتهادي نغمات البيانو من المذياع القريب من الاريكة التي يجلسان عليها في
الشرفة , وقف امامها فجأة ومد يده قائلاً

- اتسمحين لي برقصة صغيرة ؟

رفعت عينيها في عناد مستنكر قائلة بحزم

- لا طبعاً

ابتسم فقد كان يعرف اجابته قبلاً , سحبها من يدها ووقفها عنوة فقالت في غضب

- قلت لك لا اريد .

قربها منه , احاط خصرها بذراعه ورفع جسدها بيده قليلاً لتستقر قدمها فوق قدميه وقال

- ولكنني اريد ان ارقص , لن اتعبك لا تقلقي , سأرقص انا , تشبثي بي وحسب

استسلمت لاصراره , واحاطت عنقه بذراعيها وارخت رأسها علي كتفه فشده يده حول خصرها , ينقل
قدمه فتنقل معه قدمها المستقرة فوقها , اخذ نفساً عميقاً من بين خصلات شعرها , صار عناقها ادماناً ,
اكسجيناً اخر لم تعرفه رثيته قبلاً , كيف يفلتها , كيف يزعجها من نفسه , كيف يجل الرباط الروحي
الذي صار يربطها به , بل يربطه هو بها , وجود اروبي شئ آخر , كان يكره في البداية حقيقة انه لا
يستطيع ان يخفي ما يعتمل في صدره عنها , حقيقة انها رأته في اضعف اوقاته , لكنه صار لا يعرف كيف
تغادره الهموم الا لو اشتكاها امامها , كم تصبح الاحمال اخف , لا يعرف كم مرة خانته دموعه امامها
, ولا كم بح صوته فاضحاً بكاء روحه الذي يحاول ان يسكته , اروبي تعري اوجاعه , تمسك بيديه

وتسير به الي اكثر اوجاعه عتمة , الي اسوأ مخاوفه واكثرها رعبا , يبكي معها كل ما دفنه دون بكاء
قبلا , كل ذكري سيئة مرت به , كل عزيز فارقه , بكى جديده , واخته , وحتى سارة , بكى خساراته
كلها من جديد , تحرر من الحزن الذي يقيده الي الامس , لانها علمته ان الاشياء التي لا نبكيها ولا
نرثيها تبقي عالقة في الروح للابد , صار اقوي , اعتي من كل مخاوفه , من كل احزانه , علمته ان
الهروب هو الضعف بعينه , لماذا تمرب هي الان اذا , لماذا تريد تركه ؟ , احقا ترغب في فراقه ؟ خاف
ان يجيب , خاف ان يعرف الاجابة , لعله لهذا لم يتجرأ حتي اللحظة ان يناقشها في قرارها خاف ان
تصفعه الاجابات وتعيده الي واقع لا يرغب في مواجهته.

خائف من ان يفقد تلك اللحظة , من يوم قد يأتي دون ان تكون معه فيه , اهذا ممكن حقا ؟ , نفض
الافكار عن راسه , المهم انها معه الآن , بين ذراعيه , ينفذ عطرها الي انفه , تعانق دقات قلبها دقات
قلبه , شعر بأنفاسها الساخنة تدغدغ عنقه وهي تناديه

- وليد !

توتر نبضه وتلاحقت انفاسه فلم يجيبها , لو دغدغته انفاسها مرة اخري فقد يرتكب مالا تحمد عقباه ,
لكنها لم ترضخ لصمته وقالت

- وليد , بخصوص ما طلبته منك ...

عادت انفاسها تمر بعنقه مرة اخري , لم يسمع ما تقوله افلتها فجأة قائلا بصوت متهدج

- تصبحين علي خير .

تركها ودخل مسرعا الي غرفته اغلق الباب خلفه يلتقط انفاسه المشتتة بصعوبة بالغة , مالذي اصابه ؟
زفر في ضيق وارتمى علي سريره

الارتباك

منذ تلك الليلة صار يحافظ علي مسافة آمنة بينها وبينه , كيف صارت تربكه ؟ يعبث وجودها بأعصابه . لم يعد يفهم نفسه . ولا مايشعر به , ضجيج وحسب , لكنه ضجيج محب , يخلف في القلب سعادة خفية , لذة لم يعرف لها طعما من قبل .

- وليد !

افاق من شروده علي صوت اروي الواقفة بجوار الاريكة التي يجلس عليها , طالعتها بابتسامته واسعة فقالت

- هل جنت ؟

اجاب ضاحكا

- لماذا ؟

فقالت

- صرت تشرد كثيرا وترتسم علي شفتيك تلك الابتسامة البلهاء طوال الوقت , مابك , هل وقعت في الحب ؟

اجابها

- ربما ؟

فقلت

- هذا جيد اذن , لكن الا تظن ان عليك ان تطلقني اولا قبل ان تقع في الحب

قطب حاجبيه قائلا في ضيق

- وماذا ان لم ارد ان اطلقك ابدا ؟

ضحكت ساخرة

- لما ؟ لا تقل لي انك تنوي الاحتفاظ برفيق السكن الذي احضرته الي منزلك الي الابد

وقف امامها متحديا

- وماذا لو اردت ذلك فعلا .؟ ماذا لو اردت ان احتفظ بك لكن بصورة اخري

تراجعت متسائلة في توتر

- مالذي تقصده ؟

تقدم نحوها بخطوة ثابتة

- ماذا لو لم ارد ان ابقىكي معي كرفيقة سكن او كصديقتي وحسب , ماذا لو اردتكم كزوجتي ايضا .

لم يدرك فداحة اعترافه الا بعد ان غادر شفثيه وارتسم الذعر ممزوجا بالدهشة علي وجهها , تناولت في

حركة مباغتة المطفأة الزجاجية من علي الطاولة قائلة

- لا بد وانك فقدت عقلك كليا , ابتعد عني والا ...

حاول ان يسيطر علي الموقف الذي اوشك علي الخروج عن الاطار كليا , فقال مازحا وهو يطالعها

بنظرة وقحة متقدما نحوها اكثر

- والا ماذا ؟

لم تستطع السيطرة علي خوفها لحظتها , افلتت المطفأة من بين يديها مصوبة لرأسه فخر ارضا اثر الالم المبرح الذي اشتعل في جمجمته , حاول ان يستجمع تركيزه لكن الامر كان اصعب مما تخيل , فتح عينيه متأوها ليجدها جالسة الي جواره تنظر له في ذعر قائلة

- وليد انت بخير ؟

هز رأسه في اعياء قائلا

- كدت تقتليني اني مجنونة

انفجرت في الضحك , فضحك هو الآخر , المهم ان الامر مر بسلام , من الجيد انها لم تدرك انه لم يكن يمزح , هدأت قليلا ومررت قطعة الثلج في يدها علي جبهته , فاربكنه كما اصبحت عادتھا , كانت اصابعها الباردة تدغدغه تهدجت انفاسه من جديد , فامسك يدها فجأة بقوة قائلا بحزم باسم

- انا بخير

ابعدت يدها , فوقف سائرا نحو الشرفة , كاد يفقد توازنه فتقدمت نحوه تساعده لكنه ابعد يدها برفق وذهب مستندا الي الحائط .

خذلته وهي تعرف ذلك , تخلت عنه حين كان في حاجتها اكثر من اي وقت مضى , لم تحرك ساكنا , وقفت تراقب والدها يؤنبه ولم تحاول حتي الدفاع عنه خشية ان يصيبها من التأنيب جانبا , تمسكت

بوظيفتها ظنا منها انما بهذا تثبت له ان شخصيتها ليست ضعيفة ابدا , لكن متي كان اصحاب الشخصية القوية يبحثون عن اثبات للامر ؟ , معه حق في رد فعله في ابتعاده طوال تلك المدة , لكنها اشتاقته بقوة , تزعزعت قوتها , وماعدت تتحمل فراقه اكثر , ماذا لو نفذ تهديده وطلقها حقا , لا يسعها التفكير في الامر هي لن تتحمل , القت بنظرة الي الهاتف بجوارها في ياس , الم يقلق عليها ياتري ؟ كيف لا يرسل رسالة ليطمأن فيها عليها , فكرت لو كانت في محله ربما لكان رد فعلها اسوأ , واتتها الشجاعة وامسكت بهاتفها , ان كان هذا خطأها فعليها الاعتراف بالامر واصلاحه وحسب , ضغطت الازرار بحثا عن رقمه , كادت تتصل لكن خانيتها قواها , فقررت ان ترسل رسالة قصيرة .

" انا اسفة , اشتقت اليك "

لم تعرف ان كانت كلماتها كافية او شافية , لكنها عرفت انما وحدها تعبر حقا عما تشعر به , ظلت تنتظر منه ردا , لكن الوقت كان يمضي ساعة وراء اخري , ولم يأتي الرد ابدا .

استيقظ من نومه مرهقا , بحث عن هاتفه حتي وجده لينظر كم الساعة , لكنه وجد رسالة , ففتحتها , لم يري المرسل في البداية فقد قفزت عيناه الي الكلمات مباشرة

" انا اسفة , اشتقت اليك "

اتجه ببصره الناعس الي المرسل ليجد اسمها هناك , انتفض عن السرير مغتبطا , لا يكاد يسيطر علي افكاره ولا تسارع نبضه , طلب رقم هاتفها سريعا وكاد يتصل بها لكنه توقف فجأة واغلق الاتصال

وجلس علي سريره يلتقط انفاسه , للتو تذكرته , للتو اعتذرت , ويركض هو كالمعتوه ليصالحها فورا وكأنه كان ينتظر الفرصة وحسب , ليس الامر بتلك السهولة , عليها ان تتعلم الدرس جيدا , فليصبر قليلا , عدة ايام فحسب , بل يومان , بل يوم واحد وكفي , هو لن يستطيع ان يتحمل لاكثر من يوم واحد .

عاندها النوم ليلة اخري , فراحت تحديق بسقف الغرفة , تسرق نظرة واخري الي الاربيكة الخالية , لماذا قرر فجأة العودة لغرفته , هو الذي لم يفارقها ليلة واحدة منذ موت حسن , لم تعد تفهم تصرفاته الغريبة , ولا نظراته الاغرب , يطرق في التفكير لفترة طويلة ولا يفيق الا حين تناديه , كم تستفزها ابتسامته الواسعة التي تصاحب شروده , ليتها تفهم ما يدور في راسه ذاك لاستراحت , لماذا تشغل نفسها بالامر حتي ؟ عليها ان تتوقف عن التفكير به ؟ عن الاهتمام بما يفكر او يفعل او يقول , ان تتعلم كيف تنسي كل الاشهر التي قضتها معه , لا تريد ان تغادر مثقلة بذكرياته , ولا ان يصاحب انفاسها رائحة عطره , تريد ان تنسي ملامحه , الا تؤثر فيها نظرتة , الا تأمن بجواره , ان تحطم كل تلك الخيوط الخفية التي صارت تشدها له , تربطها به بقوة , وليد لن يدوم , وان لم تتركه الآن فستتركه في وقت اخر , وبطريقة اخري , لذا من الافضل ان تنفذ قرارها كما اتخذته .

ثقلت انفاسها فغادرت غرفتها نحو الشرفة بحثا عن بعض الهواء , لكنها وجدت الشرفة مفتوحة علي مصرعيها , تقدمت نحو الباب بخطوة متوترة , سرعان ما تجمدت في مكانها فزعا حين رأت وليد قد ارتقي ارضا علي ظهره , شاحب الوجه , كم تشبه نومته حسن حين رآته اخر مرة في فراش الموت , تساقطت دمعة من عينيها , ونادته بصوت مخنوق فلم يجيبها , تصارعت الافكار السوداء في رأسها فخرت علي ركبتيها الي جواره قمزه منادية

- وليد استيقظ ارجوك .

انتفض وليد من نومه , ينظر لها في غير وعي , حين راته قد افاق انهمرت دموع الخوف في عينيها , يلحقها نشيج مؤلم , هزها وليد متسائلا عما بها لكنه لم تجبه , احاطها بذراعيه مهدئا , تشبثت به , فقد سبق ان شلها الخوف قبل دقائق , راحت تقول لنفسها ان وليد كان نائما فحسب , الامر لم يستحق كل هذا الخوف , لكن دموعها رفضت ان تنصاع لها , ذكري حسن التي تأججت في قلبها تؤلمها حد البكاء , ساعدها وليد لتنهض واجلسها الي الاريقة , يهدأها دون ان يفهم حقا مالذي ابكاها , لف ذراعيه حولها فاصابها دفوه بألم دائما ما كان موجودا كلما اقترب منها لكنه اليوم اشد وطأة ومرارة , لماذا لا تستطيع ان تكرهه كله او تنعم بدفته كله! لماذا كان لابد من ان يكون وجوده باعنا علي الطمأنينة والقلق الي هذا الحد؟ لماذا فعل بها هذا لما شوه صورته النقية , ومزقها بينه وبينه هكذا؟ لما حطمها وليد رغم انها لم تؤذ يومها؟ ولماذا يحيطها بدفته الآن! عبث , كم تطوح بها الحياة , وكم يعبت بأفكارها هو , تنفر منه بقدر ما تريده , تكرهه بقدر ما تحمل له من ود ومشاعر طيبة , تخافه بقدر ما لا تأمن الا في وجوده , بعثرها كلها , بسببه هناك الف امرأ تعيث في حجرات قلبها توسوس له ان يلفظه , وواحدة تتوسله الا يفعل لكم ترغب في اسكاخن جميعا حتي تلك التي تريده! لكن وجوده لا يزيدهن الا ضجيجا وعبثا , ما يؤجج عناقه وحنانه الجارف الا صراعا مريرا في عقلها , سحقا لك يا وليد , كورت يدها ولكمته بمرارة في معدته دافعة اياه ليبعد , لكنه لم يتركها تشبث بها اكثر , تدفعه تلكمه تضرب بيدها علي صدره , فلا يهتز ولا يفلتها , قالت له بمرارة باكية

- لما فعلت بي هذا أيها الاحمق؟

لم يفهم ما فعله , او لما تبكي , لما تنتفض بين ذراعيه هكذا , لكنه قال

- انا آسف , صدقيني انا آسف حقا .

لو كان هو السبب حقا في تلك الدموع وهذا الوجع الذي يقتلها فليته يموت وحسب، هكذا تمني، راح يتلو في أذنيها بعضا من سور القرآن حتي هدأت بعض الشيء، افلتها من عناقه وامسك وجهها بين يديه
قائلا

- حبيبي مابك؟

نظرت له طويلا، يمزقها الالم، ولم تجبه .

- اروي ارجوك لقد بدأ اقلق .

ابعدت يده عن وجهها واسندت رأسها الي فخذه وقالت

- أريد ان أنام!

اسند ظهره الي الارىكة، تعبت يده بخصلات شعرها حتي غفت ، كم تمني ان يفهم ماقد اصابها واوصلها الي تلك الحالة يعرف انه السبب لكنه لا يفهم كيف تسبب في الامر حقا .

تنهد مبتسما يتأمل مظهرها الطفولي , كم يحبها ؟

" يجبها ؟ " ترددت الكلمة في قلبه , فقطب حاجبيه لبرهة , احقا يجبها ؟ فأجاب قلبه بخفقة قوية ان نعم , ابتسم وليد مرة اخري ابتسامة رقراقة وحملها بين ذراعيه ليوصلها لغرفتها , كاد يغادر لكنه استمع لصوت انين ضعيف فعاد ادراجه جلس الي السرير فوجدها غافية فأدرك انها تحلم، لن يستطيع ان يتركها وحيدة الليلة، القى بنظرة الي الارىكة ثم الي الفراغ بجوارها علي السرير وحزم أمره سينام الي جوارها الليلة، مالفارق الذي قد يصنعه الامر ؟

تمدد الي جوارها , محاولا ان يغفو لكنه ما استطاع , اثلج قربها روحه فبقي ساهدا , شاردا , منعما بقربها منه , لا يعرف مالذي اخافها لكنه لا بد من امر جلل , ولا بد انه السبب، نظر نحوها واغلق عينيه

سريعاً في محاولة للهرب من افكاره .

لم يكذب يغفو لعدة ساعات حتي اخترق اذنه صوت جرس الباب , فتح عينيه متمهلاً في مواجهة الضوء الذي غزا ارجاء الغرفة , احس بالخدر في ذراعه وكأن ثقلاً يجثم عليه , نظر الي جواره فوجدها تعانق ذراعه بيدها وارخت راسها علي كتفه ابتسم علي صوت النبض المتخبط في داخله , ورفع راسها بيده الاخري ليحاول ان يترع ذراعه , لكنه لم يستطع ان يبعدها كانت متشبثة به كطفل خائف، ازاح خصلات شعرها عن وجهها قائلاً

- حبيبي صباح الخير!

ابتسمت دون ان تفتح عينها فأدرك انها لازالت تحلم، مر بأصابعه الباردة علي وجنتها ففتحت عينها علي مهل، نظرت له لبرهة قائلة بصوت هادئ

- صباح الخير!

ابتسم لها دون ان يجب ، صمتا لبرهة حتي جحظت هي مقلتيها في صدمة حين ادركت اين هي ، وشعرت بيديها اللتان تحكمان الحصار علي ذراعه، توردت وجنتيها خجلاً ارتبكت ، تلعثت حروفها وأصابعها الشلل فلم تستطع حتي ان تفلت ذراعه، لم تفق من تصلبها ولم يفق من تأمله ملامحها الخجلة الا حين دق جرس الباب من جديد، افلته في سرعة دون ان تنظر نحوه ابتعد عنها قائلاً

- سأفتح الباب

لم تجبه ولم ينتظر ان تفعل , ذهب مسرعاً الي الباب , ليفتحه , محاولاً السيطرة علي ملامحه المفعمة بالسعادة , ونبضه الثائر , فتح الباب وهو يفرك عينيه ..ليجد سيف امامه كان مكفهر الوجه , منطلقاً الملامح ؟ فسأل في قلق

- مالا مر ؟

اجابه سيف

- لا شئ فقط اريد التحدث معك واروي رجاء

ادخله وليد الي غرفة الضيوف وذهب لينادي ارووي , كاد يفتح الباب لكن لم تواتيه الشجاعة , لذا طرق الباب قائلا

- ارووي سيف بالخارج , بدلي ملابسك سريعا فهو يريد التحدث الينا في موضوع مهم .

لم يات رد , لكنه كان موقنا انها سمعته , لذا ذهب الي غرفته ليبدل ثيابه هو الاخر .

كانت لاتزال تحملق بالسقف شاردة , تحاول كبح جماح انفعالها , كيف انتفضت كلها لقربه منها الي هذا الحد , هذا الوليد صار خطرا , لكن مالذي اتى بسيف الآن , هل اصاب نوران شئ ما ياتري ؟ انتفضت عن السرير لاعتنا افكارها السوداء التي ما عادت تعرف طريقا للسكوت .

خرجت من الغرفة بعد ان بدلت ثيابها , القت التحية علي سيف في استحياء وجلست علي مسافة من وليد , لا تعرف لما اصابها الخجل والارتباك حين رآته , حاولت صب تركيزها علي سيف الذي تنهد قائلا

- انا اريد ان اصالح نوران , واحتاج الي المساعدة !

ضربت علي جبهتها بيدها فقدت تذكرت للتو حديثها مع نوران في تلك الليلة البعيدة يوم مات حسن , كيف نسيت الامر برمته ؟

- انا اريد ان افهم اولا مادار بينكما لتصلا الي هذا الحد

قالت ارووي في ترقب , فقص لها سيف ماكان من امرهما طوال الفترة الماضية .

التقطت اروي هاتفها واتصلت بنوران فوجدتها في عملها , استأذنتها ان تمر عليها مساء لتبيت معها بدعوي ان وليد مسافر لعمل طارئ , ترددت نوران قليلا ثم اخبرتها انها موافقة , اغلقت الهاتف وقالت لسيف

- عليك ان تحجز طاولة في مطعم ما وانا سأحضرها الي هناك مساء , يمكنكما التحدث في الامر , وحل مشكلتكما حينها .

وقف سيف سائرا نحوها وامسك بيدها شاكرا اياها في سعادة بالغة , فقال له وليد في حنق

- سيف عد الي مكانك رجاء

تنحنح سيف وافلت يدها متراجعا قائلا

- لا يجب المزاح مع عاشق غاضب اذن

- من تقصد ؟

سألت في بلاهة فضحك سيف قائلا

- لا تهتمي , المهم سأذهب انا الان لاستعد , اياكما ان تفسدا مفاجأتي .

قال مهددا بنبرة مزحة فابتسمت له اروي , سار نحو الخارج يلحقه وليد , وقف يسلم عليه قائلا

- انا لا اعرف كيف اشكرك يا وليد , لقد ذهبت بالامس الي الشركة التي اخبرتني عنها , وقبلوني في

العمل وسأستلم وظيفتي غدا , انا حقا عاجز عن شكرك

ربت وليد علي كتفه قائلا

- لا تهتم , المهم ان مشكلتك قد حلت .

ابتسم له سيف شاكرا وانصرف , اغلق الباب خلفه والتفت ليجد اروى واقفة خلفه مباشرة تراقبه
بابتسامة معجبة , ابتسم لها سائلا

- ما بك ؟

هزت رأسها نفيا الا شئ وانصرفت , سعيدة بما سمعته من سيف فخورة بتصرف وليد ومساعدته له ,
لكنه امسك بذراعها واستوقفها قائلا

- هل تعرفين انك بدأت تفقدين عقلك تضحكين دون سبب وتبكين دون سبب .

ابعدت يده في عناد قائلة

- ان كان احدنا علي وشك فقد عقله فهو انت وليس انا

- الفضل يعود لك انتي في فقد عقلي!

- مجنون!

- اعرف .

حل المساء سريعا وحضرت نوران , تلقتها اروى بوصلة عتاب طويلة , عن انقطاعها عنها طوال الفترة
الماضية , فقصت لها نوران ما صار معها وسيف واستمعت لها اروى في اهتمام مدعية انها لم تسمع القصة
من قبل , حاولت ان تخفف عن صديقتها , ونجحت بصعوبة في اقناعها للخروج الي العشاء , كاد كل
ما خططت له مع سيف يفشل بسبب رفضها .

- منذ متي صرت عنيدة الي هذا الحد ؟

ابتسمت نوران في اعياء وقالت

- طوال حياتي لم ارد ان اتعلم شيئا الا العناد صدقيني .

التفت لها اروى تحشها علي الحديث , ترددت نوران بعض الشيء , لم يسبق لها يوما ان أخبرت احدا بأي شئ عن حالتها المادية , او عن والديها , وما يدور في منزلها حتي أروى , لكنها شعرت في تلك اللحظة انها ارادت الخلاص من ذلك الثقل مرة وللأبد ربما يفيدها الحديث , راحت تقص لأروى ما كان من امرها كله , تنصت لها وقد فغرت فاهها في صدمة , ليس لأن ما قالته نوران كان غريبا , بل لأنها لم تبج به قبلا , لم تفهم لما تحملت كل هذا الثقل وحدها ولم ترد ان تشاركها او سيف حتي به , تهدج صوت نوران واختنق بالدموع وهي تقول

- مللت ذلك الوضع , انا لا يورقني ضيق ذات اليد ابدا , لكن صوتي الذي لا يسمعه احد , شخصيتي التي لغوها , تأنيبهم وصراخهم هو ما بات اكثر من احتمالي , لما يعجزون عن احترامي انا لا افهم .

ربتت اروى علي كنفها قائلة

- وهل تظنين انك وحدك هكذا ؟ ابدا , صدقيني لا احد في هذه البقعة من العالم يسمع صوته , نوران اذا كنا لا نسمع صوت انفسنا فكيف سيسمعنا الاخرون , بلادنا ياعزيزتي , ملئي بالضجيج , الاخرون يملون علينا ما نفعل الي حد اننا لا نعود نعرف ما نريده , او لما نحن علي قيد الحياة اصلا , لهذا تجدين الجميع هنا حيري مثقلين بأحلام الطفولة المشوهة , لانهم نسوا ما أرادوه يوما , انساهم صراخ الاخرين ذلك , فكيف تنتظرين منهم ان يسمعوك اذا كنت لا تسمعين نفسك , بما استطالبيهم ان كنت لا تعرفين مالذي تريدينه أصلا .

تههدت نوران قائلة

- انت محقة , انا فعلا لا أعرف ما أريده ! احيانا كنت انظر الي كتب الدراسة من حولي متسائلة ان كان هذا ما اريد فعله في الحياة حقا , ام هذا ما أخبروني انه الخيار الافضل , اسخر من نفسي كثيرا واعود ادفن رأسي في الكتب , المشكلة اني لا استمتع بالامر , اشعر اني لم اخلق لفعل هذا الشيء , ليس هذا مكاني , لكنك لو سألتني ما هو مكاني اذا فسأقول لك اني لا اعرف ابدا , او بالاحري سأكذب واقول لك ان مكاني هو هذه الكلية , اظني سأخاف ان اعترف اني لا اعرف .

ضحكت اروى قائلة

- وهذه مشكلة اخري , نحن تعلمنا ان لا نجيد ثقافة ال " لا أعرف " , هل لديك فكرة عن كم المشاكل التي كان من الممكن ان تحل فقط لو اعترف الاخرون انهم لا يعرفون , لكن هذا مستحيل , فنحن تربينا علي ثقافة ان الجهل و الخطأ , اسوأ من القتل نفسه , تعلمنا ان نكذب وندعي المعرفة , ان نراوغ لكن الا نعترف بالجهل ابدا , فالجهل عيب , وان كان عين الجهل هو ادعاء المعرفة .

صمتت نوران لبرهة وقالت

- لكنك كنت محظوظة ياأروى، فوالدك رحم الله كان يفهمك حقا، وانتي كنت تعرفين دائما ما تريدينه ام نسيتي عملك بالجريدة؟

- لا لم أنسي انا فعلا كنت اعرف ما أريد لان حياتي لم يكن فيها اي ضجيج!

ضحكت واكملت بسخرية مريرة

- ومن اين يأتي الضجيج والتشتت وقد نشأت وحدي تماما ، اتعرفين حتي ابي كان لديه اخطاؤه في تربيتي وان لم تكن بذات الفداحة، فهو قضي عدة اعوام بعد وفاة والدي متشنجا متوترا طوال الوقت، لم يعرف كيف يجدر به ان يعاملني او ماذا عليه ان يفعل؟ اعتمد علي خالتي كليا حتي سافرت الي إنجلترا

في بداية مراهقتي، وحينها وجد نفسه في مواجهة مباشرة معي وما يصحبه ذاك من مشاكل، كان يحسن معاملتي حقاً، لكن خوفه وتشنجه الشديدين وتراخي كثيراً وكأنني كان ينقصني ذلك، لا اعرف كم عاماً قضيتها وحدي دون رفقة او صداقة، وحدي كلياً، اهتم بحسن وبما يحتاجه كلانا، حتي دخلت الي الجامعة والتقيت بوليد ، تصادم توتري وحذري الشديد بعفويته وحيويته ، لا ابالغ ان قلت انني كنت افقد عقلي كلياً معه ، اعود طفلة كما لم اكن يوماً، لكن ...

صمت فجأة فقالت نوران

- لكن ماذا ؟

لم تحر اروي جواباً، فما بينها ووليد سيبقي سرا للابد، لذا ابتسمت قائلة

- لكن نحن سنتأخر علي العشاء هيا نذهب

وقفت نوران معها ليبدلا ثيابهما ويخرجا ، ماان وصلتا حتي جلسنا الي الطاولة التي اخبرها سيف ووليد عن رقمها ، دقيقة واستأذنت منها اروي للذهاب الي الحمام ، ولم تعد بعدها لان الذي جلس الي الطاولة كان سيف ، ماان رآته حتي تململت اساريرها لثانية ، ثم عقدت حاجبيها في غضب مصطنع قائلة

- مالذي تفعله هنا ؟

امسك بيدها قائلاً بابتسامة خبيثة

- جئت لاقابل امراة جميلة ، تحبني كثيراً .

سحبت يدها من بين يديه ، وعقدت ذراعيها امام صدرها قائلة في عناد

- اذهب لها اذن ، لماذا تجلس هنا .

فقال

- ولكنني اجلس معها بالفعل

- لكن من اوهمك اني احبك اصلا ؟

قطب حاجبيه قائلا في ضيق

- يمكنك ان تمزحي في اي شئ الا هذه , لا تجرؤي حتي علي القول انك لا تحبيني مهما حدث .

قطبت حاجبها في صمت ولم تجبه , تجمعت الدموع في مقلتيها , وسقطت ساخنة علي وجنتها , فمد يده ويمسحها قائلا

- انا ايضا اشتقت اليك كثيرا , لو تعرفين كم كان حالتي سيئة حين ارسلتي رسالتك تلك وكأني عدت الي الحياة من جديد ..

- لهذا لم تجب عن رسالتي حتي الان ؟

قاطعته في سخرية فقال

- بعد كل هذه المدة بدت مصالحتنا علي الهاتف فعلا مشينا , ثم انني لم ارد ان افوت رؤية ملامحك الخجلة هذه .

ابتسمت نوران في خجل , وهربت بنظرها بعيدا , فقال

- هل اتيت لاصالحك لتجاهليني هكذا .

ثم ضرب علي يدها في خفة مستطردا

- ثم ان الخطأ كان خطأك منذ البداية , اخبرتك بعواقب افعالك ولم تفهمي وانظري الي اين وصلنا .
تهدت في ضيق , وراحت تدافع عن نفسها , فيلومها , فترد , وتلومه فيرد .

جلس وليد في سيارته خارج المطعم في انتظار اروي , ابتسم لها حين رآها تتقدم نحوه , كم واثته رغبة في ان يقفز من سيارته ويذهب ليحيطها بعناقه , ليخفيها عن انظار الجميع فيما سواه , فلکم بدت جميلة في تلك الليلة , فتحت باب السيارة وجلست الي جواره , زلزلتها نظرتة التي كادت تخترقها فقالت في ارتباك واضح

- ما بك ؟

نظر امامه مسيطرا علي ابتسامته قائلا وقد تحرك بالسيارة

- لا شئ , لكنك تبدين جميلة الي حد مخيف بالنسبة لي !

قطبت حاجبيها في تساؤل فنظر نحوها لبرهة , وعاد ينظر الي الطريق قائلا بابتسامة خبيثة

- صدقيني قد لا تحبين ان تعرفي مالذي يعنيه هذا ابدا !

- لقد جننت حتما , الي اين نذهب الي اية حال , فهذا ليس الطريق الي المنزل .

قالت في تبرم فأجاب

- سأخذك الي مكان احبه كثيرا , ثقي بي وحسب .

- سأحاول !

زحف الضيق الي صدره من اجابتها وقال

- الن المنح يوما في استعادة ثقتك ؟ احقا لا تثقين بي ياأروي ؟

صمتت لبرهة بدت دهرأ له ثم قالت

- بأي منكم اثق ياوليد !

لم يفهم ما ترمي اليه , وكاد يسألها لكنها سبقته مفسرة

- لقد كنت اظن دائما اني اعرفك بما يكفي , فأنا صديقتك المقربة , استطيع فهم ما يدور في رأسك , او حتي ان اخمن ردود افعالك , اعرف كل ما تحب وتكره , اعرف ما يستفزك , ومالذي يجعلك قهأا اذا فقدت اعصابك , لكنني في الحقيقة كنت محطأة فأنا حتما لم اعرف الا الاقل , تحولت فجأة من وليد صديقي الي زوجي الذي لا افهم تصرفاته , ولا اعرف بأي طريقة اعامله , وتحولت من بعدها الي ذاك الاحق الغاضب الذي حطم قلبي , لكم كرهته , وعدت لتتحول من جديد الي ذاك الرجل الخنون الذي يلفني برعايته , انا لا اعرفك ياوليد ونحن لا نثق الا بهؤلاء الذين نعرفهم حقا .

اطرق صامتا ولم يعقب , بدا حديثها منطقيا الي حد الجمه , حتي هو يمر بذات الشئ معها , في اعماقه يعجز عن التعامل معها كشخص واحد , يجمع صديقته , والفتاة التي حطم ثقفتها , وتلك التي تزوجها , وتلك التي صار يجب , كأن كل منهم شخص قائم بذاته .

شردت هي متذكرة حديثها مع نوران هذا المساء , وحديثها عن ذاك الوليد الذي عرفته في الجامعة , كم كان عنيدا مفعما بالحياة رغم ان حزنا ظل يتراقص في عينيه دائما , لا تذكر كم مرة سألته ان يبوح بما

يعتدل في صدره فيخبرها الا شئ، كان يضغط علي نفسه كثيرا حتي انفجر في النهاية وفي وجهها هي ،
ليتها تفهم كيف يكون هذان الشخصين معا، كيف يشتها الي هذا الحد؟

اوقف وليد السيارة وقال دون ان ينظر نحوها لقد وصلنا ، خرجت من السيارة ، تطالع المكان بانبهار
شديد ، كان المطعم قريبا من النيل ، تتوسطه نافورة مفعمة بالاضواء ، ويطل من الجهة الاخرى علي
حديقة مخرلية واسعة ، جلسا الي احد الطاوات ولازالت تنظر هي في دهشة الي ما حولها ، ويراقب هو
تعبيراتها الطفولية الشهية ، مد يده وامسك بيدها انتفضت وكادت تسحب يدها لكنه لم يسمح لها ،
اطرق برأسه عابثا بأصابعها قائلا

- انا ايضا كرهت ذاك الاحمق الذي حطم قلبك يااروي ، صدقيني اسبه في رأسه مرة كل يوم .

- لا تفعل بي هذا ارجوك .

سحبت يدها رغما عنه ، فتنهد في حزن قائلا

- لم اعرف ان الامر سئ الي هذا الحد ، لم اعرف انك محتارة بشأني الي هذه الدرجة .

- وماذا كنت تنتظر ؟ لقد بعثرتني ياوليد ، بين صديقي وزوجي و الرجل الذي خان ثقتي وبينك انت ،

لم اعد اعرف شيئا ، كل جزء مني يحمل شعورا مغايرا نحوك ، لن تصدق الي اي حد انا مشتتة ، والي

اي حد ينتابني الخوف .

صمت مفكرا ثم سأل

- ماذا تعين تحديدا ب " انت " ؟

اجابته

- هذا تحديدا ما أعنيه يا وليد , انت حتي لم يعد من الممكن وضعك في مكان واحد , انت كل هؤلاء , لم يعد من الممكن تصنيفك , انت هذا الرجل الذي يجلس امامي , انت وحسب .
لم يعرف ايظمان لحديثها او يخاف اكثر , لكنه آثر الصمت علي اية حال .

جلس سيف امام والد نوران , يستمع لوصلة تأنيبه الطويلة , حول غيابه وعدم سؤاله عن ابنته طوال تلك المدة , وعدم اجابته علي اتصالاته المتتالية , وعدم اهتمامه , والكثير الكثير , استمع له سيف في صبر , حتي انتهى , ثم طلب منه ان يحدد موعد الزفاف في اسرع وقت بهت الرجل لبرهة , وتساءل ان كان سيف مستعدا لذلك حقا , اكتفي سيف بأن هز رأسه مؤكدا , لم يشأ ان يخبر الرجل عما صار بينه وبين اخوه , المهم انه استعاد الشقة , واستطاع بعد مساعدة عمه الاكبر ان يجبر اخاه علي ان يعيد له سيارته , و نصيبه من حسابه البنكي , اكتشف ان اخاه لم يكن يوما بالقوة التي ادعاها , وان الذي ساعده علي التجبر وفعل كل ما فعله ليس الا ضعف سيف وصمته , الآن يدرك , الظلم في الحقيقة معادلة بين اثنين احدهما اخذته العزة بالاثم , والاخر كان سلبيا ولم يدافع عن نفسه ابدا , كل ما كان سيف في حاجته هو ان يقف علي قدميه , ان يطالب بحقوقه وحسب ليستردها .

اتفق مع والد نوران علي ان يتم الزفاف بعد ثلاثة اسابيع , كانت فرحة والد نوران عارمة , الي حد انساه ان يسأل كيف عادت نوران مع سيف في حين كانت ستقضي ليلتها مع اروبي .

كان الوقت قد قارب منتصف الليل حين وصلا الي المنزل , كان وليد مغتبطا سعيدا , فرغم كل شئ اروبي لا تكرهه , تبقي حيرتها مؤشرا جيدا في النهاية , كل ما عليه ان يفعل هو ان يرجح كفة وليد الذي يعرف انها في اعماقها تحبه , عليه ان ينسيها اي وليد آخر عرفته .

ما ان اغلق باب المتزل حتي سارت نحو غرفتها , تلحقها خطواته , التفتت نحوه بعد جهد وقالت

- تصبح علي خير .

نظر لها طويلا , وسار نحوها , انخي علي وجنتها لبرهة ثم ابتعد بعد ان ترك بشفتيه الباردتين قبلة ندية اشعلتها كلها , قال وهو يتراجع عائدا الي غرفته

- وانتي من اهله .

التفتت سريعا عائدة الي غرفتها تحبس انفاسها , تحاول الا تظهر ارتباكها امامه , ترفقت دمعة في عينيها , في كل يوم يمضي يصبح القرار الذي اتخذه اصعب واصعب , سارت نحو الكومود وفتحت احد ادراجها , لتخرج جواز سفرها , فقد كانت تعرف ان الوقت حان لخطة بديلة .

التشبت

استيقظ وليد في الصباح التالي مفعما بالحياة , خرج من غرفته , طرق باب غرفتها ليوقظها , لكن صوتا لم يأتها عاد يطرق من جديد , فلم يجد اجابة , فتح الباب فوجد سريرها مرتبا , خرج باحثا عنها في ارجاء الشقة فلم يجدها , انتابه الفزع اين تراها ذهبت ؟ هاله خاطر مر بذهنه , اتركته اروي ورحلت ؟ عاد مسرعا الي غرفتها , فتح خزانة ملابسها , ليجد كل شئ في موضعه , اغلق الباب وجلس يتنفس الصعداء , محاولا ان يسيطر علي ارتجاف جسده , ماذا لو اتي اليوم الذي تتركه فيه ؟ بحث عن هاتفه ليتصل بها , لكنها لم تجبه , ازداد قلقه , صار يقطع الشقة ذهابا وإيابا في قلق , حتي تعب فالقي بنفسه الي الاريقة , يتصارع غضبه مع خوفه وحيرته , اخيرا استفاق علي صوت الباب يفتح ويغلق , لم يستدر نحوها , لم يكن ليأمن رد فعله لو رآها , لذا سأل دون ان يلتفت

- اين كنتي ؟

لم تعرف بما تجيبه , اتقول له ببساطة انها ذهبت لتعد اوراق سفرها الي لندن عند خالتها ؟ كم سيتقبل الامر ؟ حاولت التملص من الاجابة قائلة

- كان لدي امر مهم بالخارج .

اسبغ اجفانه وأخذ نفسا عميقا بالكاد نفذ الي رئتيه وقال

- لا تنسي انك لا تعيشين في هذا المتزل وحدك , مرة اخري اخبريني قبل ان تخرجي , كدت ...

كاد يخبرها انه مات قلقلنا , لكنه لم يستطع , بتر جملته , ودخل الي غرفته , تاركا اياها تغلب كفيها في اسي .

ماان ختم الموظف جواز سفره وناوله اياه , حتي كاد يقفز فرحا , بالكاد امسك نفسه من ان يعانق الموظف الجالس امامه , حث الخطي سريعا الي الطائرة , وجد مقعده , وجلس يطالع الوجود من الشباك الي جواره , لا يصدق ان الحياة اخيرا تبتم له , اخيرا اقنع والده بأن يتركه ليذهب في سبيل احلامه , بعد ان قطع وعدا انه سيجد طريقة ليوازن بين نفسه واحلامه وبين مساعدته لوالده , لم يعرف ان غيابه طوال تلك المدة عن ابيه سيجعل قلبه يلين له , غريبة هي الحياة , كل هذا لا يهم الآن , المهم انه سيسافر الي فرنسا , لثلاثة اشهر يقضيها في التدريب لدي فرع شركة صديق والده , سيعمل في قسم الترجمة الفورية , ويعود بعدها للعمل في شرم الشيخ , بعد ان يكتسب بعضا من الخبرة , لم يصدق حين اتي له والده بذاك الخبر قبل اسبوعين , لم يصدق اذنيه وهو يقول له - اذهب ولاحق احلامك .

كم شعر انه ظلم والده طوال تلك المدة , فقط لو اقنعه منذ البداية , لو تحدث اليه , لو توسله حتي , لربما كان اقتنع , من يدري .

كم صارت الايام ثقيلة , يراقبها في صمت , مرهق التفكير , لا يعرف كيف يتشبت بها ولا كيف يبقيها الي جواره , كيف يقنعها ياتري ؟ , كيف يخفف عنها ما يدور في داخلها , يعرف انها تتألم , يستشعر حيرتها وحزنها , كم كان يرمقها وهي منكبة علي حاسوبها النقال , تكتب وتكتب دون توقف , كان

يعرفها لا تكتب بهذا النهم الا حين يضرها الحزن في مقتل , حين يصبح ما في داخلها عصيا علي البوح , يراقب بنظرة زائغة تعبها , ارهاقها وتلك الهالات السوداء تحت عينيها , شعرها الثائر الذي تعقسه خلفها و قليلا ما يباغت رباط الشعر بعض الخصلات التي تداعب عنقها في نعومة متمردة , يراقب تلك الخصلات في شغف حينما ياتي نسيم هواء فيبعدها قليلا , وحين يهدأ فتعود الي موقعها الاول , اصبح يحب تفاصيلها , الصغيرة والصغيرة جدا , تورط فيها حتي دون ان يدري , اصبح غارقا في تفاصيلها ولم يكتشف ذلك الا متأخرا , الحب حقا هو الذي لا تعرف كيف ومتي بدأ , هو ذاك الذي تجد نفسك غارقا فيه دون مقدمات , الحب حقا ان تغرق في من تحب في تفاصيله , ملامحه , طريقة حديثه وعاداته , ان يسرقك كلك منك , ان يسلب وجوده انفاسك , الحب حقا لا تطويه ايام ولا يجدي معه نسيان , الحب حقا تؤججه المسافة ويشعله الشوق , وتزيده المشكلات قوة , الحب حقا هو الا تستطيع الخلاص , الا ترغب في الخلاص اصلا .

كان يجلس الي الاريكة , يراقبها اذ تجلس علي الكرسي المقابل حاملة حاسوبها النقال امامها , تمدد علي الاريكة بعد ان اصابه اليأس من ان تلتفت نحوه , وحاول ان يغفو , اطلقت بصرها ما ان شعرت به قد اغمض عينيه , تعرف انه يراقبها لا تكاد عيناه تفارقانها ابدا , مضت عدة ايام لم يحدثها فيها وان قالت عيناه الكثير , كم اشتاقت صوته , اشتاقت قربه , لا تعرف كيف ستقوي علي هذا الفراق , كانت تظن انها لم تتورط فيه الي الحد الذي يجعل فراقه صعبا , لكنها اكتشفت انها مخطأة , فقد تورط كلها فيه كله , تبحث عينها عنه اذا غاب عنها , تترقب عودته من عمله , تتبع بنظرهما المسروقة , تحركاته من حجرة لاخري , من عمل لاخر , تحاول ان تقنع نفسها انه ليس الا التعود والتعلق فحسب , وليد صار جزءا من روتينها , سيكون التعود علي غيابه صعبا لكن ليس مستحيلا ؟ تسكت دائما ذاك الصوت في داخلها الذي لا ينفك يسأل , ان كانت الطمأنينة التي تغمرها في وجوده تعلق وحسب ؟ , ان كان الخجل والارتباك , تعلق ايضا ؟ ان كان قلقها الدائم عليه تعلق ليس الا ؟ ورغم انها تعرف الاجابة

لكنها تتجاهل الصوت وحسب , لا تريد الاعتراف لنفسها , فالامر صعب بما يكفي , كانت تراقبه حين بدأت ملامحه في التغير اكفهر وجهه فجأة وبدأ يتصب عرقا , كان يصدر صوت انين مرير وكأنه يستغيث , فزعت وضعت حاسوبها جانبا , وركضت نحوه تمزه في قلق منادية

- وليد افق !

لم تعرف انه كان متصلبا يشعر بما تحادثه , لكن شللا يسري الي مفاصله فلا يقوي علي التحرك , صرخت فيه من جديد

ففتح عينيه اخيرا , لاهثا انتفض جالسا , فحاطته بذراعيها

- اهدأ !

التقط وليد انفاسه لثانية , كم اراد ان يبقي بين ذراعيها للابد , لكنه دفعها برفق وسار نحو الحمام , واضعا راسه تحت الماء البارد , لن ينسي ذاك الكابوس ابدا , كان كل شئ تماما بنفس الطريقة , الدماء , ةالحادث , والضجيج , لكن الشئ الوحيد المختلف ان امل ليست هي من كانت غارقة في دمائها , انما ارووي , كم ناداها هزها بيديه صارخا فيها لكنها لم تجبه , الخوف والفزع والحزن الذي اصابه بدا حقيقيا الي حد مرعب .

خرج من الحمام عائدا الي حيث كانت , جلست الي الاريكة واضعة وجهها بين كفيها , جلس الي جوارها ولم يقل حرفا , اسندت راسها الي كتفه , فحاطها بذراعيه واغمض عينه في صمت .

استيقظ في صباح اليوم التالي علي صوت هاتفه , اجاب في تملل , كان صوت سيف فقال له وليد
مازحا

- صدقني يوما ما سأقتلك يارجل .

ضحك سيف قائلا

- حسنا ولكن ليكن الامر بعد زفافي .

ضحك وليد , فاخبره سيف ان زفاهه ونوران بعد اسبوعين وطلب منه ان يخبر اروي لان هاتفها مغلق
منذ ايام ونوران لا تستطيع الاتصال به , اخبره وليد انه سيوصل رسالته , اغلق الهاتف وخرج مسرعا
يطرق باب غرفتها فلم تجبه , فتح الباب فلم يجدها كاد يغلق الباب مبتعدا لكنه نظر الي السرير مرة
أخري ليتأكد مما رآه , تقدم في توتر ممسكا بجواز السفر , والتذكرة في داخله , فتح الجواز ليري اسم
اروي , وفض التذكرة ليري ان موعدها بعد اسبوعين الي لندن .

- وليد

اتي الصوت المرتعش من ورائه فالتفت ليجدها , رفع الجواز امام عينيها قائلا ف غضب

- ماهذا ؟

ابتلعت غصتها في توتر ولم تجب , ارتطمت نظراتها بالارض فصرخ فيها قائلا

- انظري اليّ واجيبيني , ماهذا ياأروي ؟

سيطرت علي اعصابها وقالت

- جواز سفري يا وليد , سأسافر الي لندن لاقيم عند خالتي

- عفوا , ولكن الم يخبروك في انك في حاجة لموافقة زوجك !

صرخ فيها فقالت

- طليقي ياوليد , هم لا يطلبون موافقة الزوج السابق ياوليد .

كظم غيظه وضم قبضته قائلا من بين اسنانه

- لكنني لا اذكر اني طلقتك يااروي

- لكنك ستفعل .

قالت بحزم , فجلس الي السرير , ضاربا الارض بقدمه محاولا صرف غضبه بعيدا

- وان لم اطلقك .

صرخت فيه بدورها

- ولما قد لا تفعل ياوليد , اعطني سببا منطقيا واحدا , لا تخادع نفسك , انت تعرف اننا كنا سنصل

الي هذا في النهاية , لم يعد هناك من داع للاستمرار في هذه التمثيلية الرخيصة , فالرجل الذي تحملت

لاجله كل ذلك قد مات , حسن مات ياوليد .

- اروي ان لا اريد ان اطلقك .

قال بهدوء فأجابته بحنق

- وانا لن اقصي ما تبقي من حياتي كرفيقة سكن لرجل لم يفعل الا ما يهد ثقتي به .

- من اين لك بهذا الحديث الان يااروي , ظننت اننا تخطينا هذا الامر .

- انت تخطيته وليس انا , متي اخبرتك اني نسيت اي شئ , او غفرت لك اي شئ , انسي انك استعملتني لاجل الانتقام من حبيبتك , او انك استغللت ثقتي بك , او جرحت كرامتي , او ماذا ياوليد القائمة طويلة جدا .

لم يستطع ان يفهم لما تتحدث عن كل هذا الآن , يعرف انه جرحها , لا ينكر ما تسبب فيه لكنه لم يتخيل انها لم تغفر ولم تنسي .

لم تكن تخطط ان تقول ايا مما قالته , ولم تكن تظن حتي انها لا زالت تذكر تلك الاشياء لفرط ما كبحت ذكراها , كانت تظن ان هربها من وليد ليس الا هربا مما يربطها به , لتكتشف ان الامر اعني من ذلك , فهي لم تشفي من جراحها , وطالما لم تشفي منها فلن تأمن معه يوما , لن تذوب جبال الجليد بينهم ابدا , جراحها النازفة ستبقي تفسد عليهما كل شئ , مهما مر الزمن ومهما طوتهما الايام , محكوم عليهما بالانفصال لا محالة .

حاول وليد ان يلقي بآخر شئ يمتلكه فقال

- لا تنسي ياأروي انك تزوجتني وانتي تحبين حسام , الا يسمى هذا خداعا ايضا

صفقت له اروي قائلة في سخرية مريرة

- يالرجال ؟ كنت اعرف انك ستقول هذا , لمعلوماتك ياوليد , لو كنت احب حسام ما كنت لاتزوجك ابدا , انا كنت محطمة , ابكي غبائي و ثقتي به , كرامتي وصدقي معه , لكنني كنت قد نسيتته , ثم لا تظن انك افضل من حسام في شئ كلاكما اناني ولم يهتم بما اشعر به انا , علي الاقل هو لم يقتلني باسم الصداقة , والثقة , لم يكن خسيسا ونذلا مثلك انت , انا سأسافر ياوليد شئت ام ابيت , انتهينا .

لم يتحمل اهانتها , كان ليبتلع اي شئ الا ان تشبهها بذاك الحسام لذا القي جواز السفر نحو الحائط

- سافري اذن من يمنحك .

تركها وغادر فاغمضت عينيها لتسمح لدموعها بالانهمار , لم تكن تعرف ان جراح الامس ستعاود الترف من جديد .

جاء المدينة بسيارته عدة ساعات , قبل ان يعود الي المنزل , ليجد اضواؤه مطفأة , كان يعرف انه لن يجدها هناك , وتأكدت ظنونه حين وجد رسالتها

" انا في منزل والدي , لا تأت رجاء "

القي بالورقة بعيدا , كاد يستلقي علي الاريغة , لولا ان اتاه اتصال فاجاب

- مرحبا استاذ وليد , انا محامي مدام اروي .

جحظ وليد مقلتيه في دهشة ولم يجب فاستطرد الرجل

- كنت اريد الاتفاق معك علي موعد لاتمام اجراءات الطلاق .

زفر وليد في غضب وقال

- اخبرها الا داعي لاي محامي , ان كانت مصرة الي هذا الحد فلتجد مأذونا وسأطلقها وقتما تريد .

اغلق وليد هاتفه , والقي به صوب الحائط فتناثرت اجزائه , تماما كما تناثر كل ما بداخله هو , واترطم بالارض ايما ارتطام .

استيقظ في الصباح من نومه القلق بالفعل علي رسالة منها تبلغه انها اتفقت مع المأذون علي موعد غدا مساء , دفن راسه في الوسادة وزفر في ضيق اي رأس تملك هذه الاروي , لم يعد يعرفها , لم يعد يفهم

لما تتصرف هكذا , لا يبدو انه من الممكن ثنيها عما قررتة لذا استسلم للتيار تركها تدور به وتدفعه نحو جدران خانقة تحيط بجسده وتطبق علي انفاسه رويدا , فقد توازنه , وقدرته علي التفكير , او اتخاذ القرار المناسب , اروى نجحت في الضغط علي اعصابه الي الحد الذي شل تفكيره , احدي تلك اللحظات التي يكره فيها انها تفهمه , تعرف كيف تربكه , دفن جسده في مياه ال مغطس الذي ملأه عن اخره , حبس انفاسه لثوان

, اراد ان يوقف الزمن , ان يشل الحركة الدائرة في جمجمته لكنه ما استطاع , لما احبها علي اية حال ؟ الم يعرف انها لن تسامحه يوما ؟ كيف واته الشجاعة ليقع في حبها رغم كل ما تسبب فيه من الم , ولكن كيف عساه لا يحبها هي التي بذراعيها الصغيرتين توفر له عناقا بعرض الكون يحمل كل همومه في لحظة , لكنه خائف من التمسك بها اكثر , وهو يعرف انه لن ينجح في استبقائها , فليترك الامور تسير وفق ارادتها اذن هكذا قرر وهو يلتقط انفاسه بعد انقطاع قصير .

حين حل المساء كان يقف بسيارته امام منزل نوران حيث دعاه سيف للعشاء في حفل صغير تقيمه العائلة ضمن مراسم الزفاف , كاد يرفض في البداية , لكن فكرة انها ستكون موجودة بالحفل وسيستطيع ان يراها سيطرت علي افكاره , فقبل الدعوة , ان لم يكن قد مضي الا يوم واحد منذ رحلت واشتاق لها كل هذا الشوق فكيف سيتحمل غيابها الطويل اذا رحلت .

وصل الي الحفل ليراها تجلس بجوار نوران جميلة انيقة

كم اشتاق تلك الابتسامة التي تضيء عالمه الخائق كيف سيتخلي عن كل هذا ؟ لم يرفع عينيه عنها طوال الحفل , وحاولت هي الهرب بنظراتها من حصاره , الا يكفي ان المرات القلائل التي التقت فيها نظراتهما اذابت روحها , تحبه , يحق لها الان ان تعترف علي الاقل في نفسها انها تحبه , ان ما تحمله له يفوق التعلق , والاعتقاد , الآن وفي تلك اللحظة يمكنها ان تجزم انها ما احبت حسام يوما , فطوال ايامها معه

كانت غارقة في الشعور الآمن الذي تشعره في قربه، لم تبحث عن حسام او ارادته، بل ارادت اهتمامه غيرته، وجوده نظرته، ولم ترده هو يوما ، اما وليد فهي ذائبة فيه، تريده هو، لا يوجد رجل آخر يمكنه ان يكون في محله، لا احد يمكنه ان يجعلها تشعر بما يشعرها هو به، الامر مختلف كلياً، تربكها نظرته، تسعدها حضرته، ويخفقها الغياب، تحب رائحة عطره ، صوت انفاسه، تعشق صمته الشهوي ، تحب احاديثه ولا تملها، تحب انعكاس صورتها في عينيه، تحب كيف يراها ، تخاف فقده لكنه خوف يجعلها تزداد حبا، خوف لا يقتل ما تشعر به نحوه، خوف يوجب حبا له اكثر وهذا هو الفارق .

- اروي كيف حالك ؟

افاقت من شرودها علي صوت يحادثها التفتت لتراه احد زملائها السابقين في الجامعة , سلمت عليه , وراح يسألها عن احوالها .

لم تنتبه للعينين اللتين تقدحان غيره وتراقبها عن مسافة , استشاط راس وليد ,

واحمرت عينيه حتي كاد ينفجر , سار نحوهما وابتسامة مريرة تعلو وجهه , وضع يده علي كتفها ووجه كلامه للشباب متجاهلا نظرهما النارية المصوبة نحوه , مد يده نحو الشاب قائلاً

- مساء الخير انا وليد

ابتسم الشاب ابتسامة بلهاء وقال

- انا محمد

استشعرت اروي الحرج فقالت مفسرة

- هذا وليد زوجي يا محمد , محمد كان زميلي بالجامعة يا وليد .

- اه اهلا

قال وليد في حنق , فابتسم له محمد عنوة , وسلم عليهما وغادر , امسك وليد بيد اروي وسحبها من الحفل دون ان يشعر احد كان يشدها خلفه علي السلام متجاهلا صوتها

- وليد اتركني مالذي تفعله ؟

لكنه لم يجبهها تملك منه الغضب , اشعلته الغيرة , لماذا تعبت به تلك الغيبة , لما تراهن علي صبره , الا تفهم , الا تشعر انه حقا يجبهها ؟ وصل السيارة ففتح الباب وادخلها , واغلق الباب في غيظ , حاول ان يكبح غضبه ان يسيطر علي اعصابه , لكن الدم كان يغلي براسه , وصورتهما تتحدث الي ذاك الشاب تقفز امام عينيه فتزيد حنقه , لكنها ضربت كل محاولاته للسيطرة علي نفسه في مقتل حين صرخت فيه

- من تظن نفسك ايها الاحق , وليد انت تتعدي حدودك كثيرا .

اسبل اجفانه , وقال بصوت متهدج

- اروي لا تجعيني افقد اعصابي ارجوك

- وليد حالما نتطلق انت لن يكون لك اي دخل في حياتي , اتحدث الي من اشاء , وافعل ما اشاء , حتي وان وصل الامر ان اتزوج مرة اخري فهذا لا يعينيك في شئ .

اوقف السيارة فجأة , وحملق بها بقوة , حتي التصقت بكرسيها خوفا , لم يصدق ما تلفظت به , كلماها تدوي ف راسه وتتخبط كرصاصة مجنونة بعظام جمجمته امسك بياقة فستانها وجذبها نحوه بقوة حتي اصبح وجهها علي بعد سنتيمترات من وجهه , حتي استطاع ان ييث في ملامحها كل غضبه .

- اياك يااروي ان تمازحيني في امر كهذا , فلا اظنك ستتحملين غضبي وما سينتج عنه .

لجمتها نظرتة , كان يحملق بعينيهما بقوة فاومات بالموافقة في خوف فقال وهو يدفعها نحو الكرسي

- ستعودين معي الي المتزل , حالما ينتهي الامر .

انصاعت اروي له , ليس لانها خافته حقا , فراسها اليابس يستطيع ان يهزم كل جبروته , لكنها اشتاقت لمتزلها , اشتاقت لوليد , اعتادت ولید قريبا ..اعتادت رؤية وجهه العابس حين يستيقظ , وقفته امام سجادة الصلاة , اتكائه علي اريكتهما تلك في الشرفة .

عادا مساءا الي المتزل فتح وليد الباب ولم ينتظرها لتدخل بل دلف مسرعا الي غرفته واغلق الباب بعنف واسند راسه اليه , كان يحاول التنفس حقا باقصي قواه لكن الهواء عانده هو الاخر , رأسه مشتعل الي حد انصهار كل مافيه استلقي علي السرير محملا بالسقف محاولا استيعاب مايجري , اهو قادر حقا علي خسارتها ؟

استيقظ صباحا ليجدها قد اعدت الفطور , لكنه لم يجلس الي الطاولة قال دون ان ينظر اليها

- سأعود متأخرا في المساء دعينا نؤجل موعد المأذون لبعد غد .

خرج وتركها دون ان يشبع عيونه المشتاقة اليها منها , لكن ما كان بيده حيلة , لم يعرف الي اين يذهب , حتي الجريدة اصبحت لا تطاق , لقد استطاع ان يسرق منها يوما اخر , يوم اخر فقط ولكنه يقضيه بعيدا عنها عليه ان يجد حل ..لا بد وان يوقف هذا الجنون .

دار بسيارته لفترة من الزمن قبل ان يجد نفسه امام المقبرة , قاداته قدماه الي مقبرة حسن , فجلس امامها , دعا له بالرحمة طويلا , قضى وقتا طويلا وهو يحملق بالقبر دون حراك , يذكر حديثه وحسن ليلة زفافه واروي , حين شد علي يده قاتلا

- انتبه لاروي ياوليد , انتبه لها كأنها جزء من روحك , كأنها ابنتك , وحببتك وزوجتك , اروي
فقدت امها صغيرة , لم تعرف كيف يكون الحنان , ورغم اني حاولت ان اعوضها لكنها كانت تدعي
القوة دائما , حاولت الاعتماد علي نفسها حتي لا تثقل علي , فلا تستمع لها يا وليد , لو اخبرتك يوما
انها تستطيع الاعتناء بنفسها , لو بكت وسألتك ان تتركها وحدها فلا تفعل ابدا , ابقني الي جوارها ,
هذه هي الطريقة الوحيدة التي تكسب بها ثقتها , اعرف ان ابنتي قوية , يمكنها ان تثبت لك انها هي التي
تستطيع الاعتناء بك , لكن في داخلها , هي ضعيفة , صدقني لازالت تلك الطفلة المدعورة ذات الستة
اعوام تعيش في داخلها مهما ادعت هي العكس .

كم كان حسن محقا , ولكم كان يفهم ابنته , وعده وليد في تلك الليلة ان يعتني بها , الا ينصاع لعنادها
ابدا , وهاهو يبحث بوعدده .

التوق

استمر في قيادة سيارته دون وجهة لبعض الوقت قبل ان يعود الي المنزل , وجدها تجلس في الشرفة , لم يكن يعرف انها انتظرته في قلق لتأخره , القى عليها التحية , فبادلته بابتسامة , لم تخفي اللفهة في عينيها , لكم تراقص نبضه فرحا , حين ادرك من نظرتها انها كانت تنتظره , نظر الي الطاولة امامها فوجدها كانت تكتب شيئاً ما مد يده , ففهمت ما اراد , ترددت قليلا قبل ان تمد له الورقة ليقرأها

" سأظل دائما اتساءل كيف تقاطع طريقانا التائيهن البعيدين جدا في تلك اللحظة ,

طريقان ماكان من الممكن لهما ان يلتقيا الا بمصادفة عبقرية لا ابالغ ان قلت ان احداث حياتي جميعا كانت تمؤني وتدفعني اليها كل الالم والحيات وكل الاشياء الجيدة كلها تشكلت لاكون في ذات المكان معك لتجمعي الصدفة بك , فيبرأ قلبي بجبك من سقمه , كنت مغامرة كبري , اشفقت روحي من خوضها , كنت اعرف انك من ذاك النوع الذي يتورط المرأ فيه فلا يجد طريقا للخلاص , لكنني ما رايتك ورطة , بل رأيتك خلاصا , لم ابالي اني قد اسقط من فوق غمامتي تلك او ان ابكي مرة اخري او احزن لم اكن اهتم , كل الخوف يتلاشي حين تنهادي كلماتك الي اعماقي فنبث فيها الحياة وانت تمسك بيدي في ذلك الحلم البعيد حين همست لي

-احبيني دون خوف ولا تفلتيني ابدا

وفعلت لم امثل لاوامر احد يوما لكنني احببت صيغة الامر التي تنبض بالحب في كلماتك , احسست اني طفلتك المدللة التي تمسك بيدها و تخبرها انك سترعاها وانه ليس عليها ان تخاف اني ليس علي بعد

الان ان اتلفت يمنة ويسرة خوفا من اي شئ لانك تكتنفي برعايتك وليس علي ان اخشي شيئا , لكم شعرت بالحرية تحت حمايتك , معك لم يعد اي شئ يؤلم او يخيف لانني احببت رجلا وكفي . "

- يالحظه .

قال وليد وهو يمد يده بالورقة ويجلس الي جوارها , فقالت متسائلة .

- يالحظه ؟ لماذا ؟

ابتسم قائلا

- لان التي يجبها علي الاقل شعرت به , بادلته الشعور , وثقت به , وتساليني لما هو محظوظ

- لا اظن ان الجميع لديهم جرأة التورط في الحب .

- معك حق فالتورط في احدهم شئ مخيف , خاصة ان كان تورطا من طرف واحد .

اومات برأسها موافقة وصمتت زاغت ببصرها بعيدا ولم تفق الا علي صوته يدندن

- ويني احبك

لكن اخاف التورط فيك

اخاف التوحد فيك .

نظرت نحوه فقال

- نزار ايضا خاف التورط فيها .

وقف وامسك بيدها , فوقفت معه , كان يراقصها قائلا

- اعرف قصيدة اخري له اتسمعين ؟

او مات برأسها ان نعم فعاد يدندن

- أيا امرأة تمسك القلب بين يديها

سألتك بالله لا تتركيني

لا تتركيني

فماذا أكون أنا إذا لم تكوني

أحبك جداً

وجداً وجداً

وأرفض من نار حبك أن أستقيلاً

وهل يستطيع المتيم بالعشق أن يستقلاً ...

وما همني

إن خرجت من الحب حيا

وما همني

إن خرجت قتيلاً

توقف لثانية عن الرقص وعاد يكرر بصوت متهدج

- أيا امرأة تمسك القلب بين يديها

سألتك بالله لا تتركيني

لا تتركيني

فماذا أكون أنا إذا لم تكوني

أحبك جداً

وجداً وجداً

تجمدت وتجمد كل شيء حولهما لبعض الوقت كان توسله واضحاً أكثر مما ينبغي

-تصبح علي خير .. قالتها وهي تفلت يدها من يده وتبتعد فقال

-وانتي من اهله .. القى بنفسه علي الاريسة واضعا راسه بين كفيه .

عادت الي غرفتها فانفجرت دموعها التي جاهدت في حبسها طويلاً , اه ياوليد , كم صار يضغط وجوده علي اعصابها , هي لا ترغب الا في ان تلقي بنفسها في عناقه , حيث لا تعرف الخوف او الضعف .

في الصباح الباكر تعمدت اروى ان تخرج مبكراً قبل ان تراه .. ستسبقه الي هذا المأذون اللعين ولينتهي الامر الي غير رجعة .. وصلت الي هناك قبله وتأخر هو اكثر من ساعة , لا تعرف هي انه قضاه في سيارته امام مكتب المأذون لا تقوي قدماه علي حمله , لا يقوي علي اقناع نفسه بصواب قراره , لكنه استسلم وصعد في النهاية يجر قدميه , جلس علي الكرسي امامها , وضع الرجل الاوراق امامه ليوقعها , فامسك بالقلم , حملق بالورقة , ادار القلم في يده مرة وراء اخري في عبث لكنه لم يستطع ان يجبر نفسه علي فعلها , تكالبت علي رأسه كل الذكريات , حتي صوت حسن , حتي وعده له , يقولون دائماً " اذا اردت شيئاً بشدة اطلق سراحه , فإن عاد لك فهو لك وان لم يعد فهو لم يكن لك من البداية " لكنه لا يري تلك الكلمة الا هراءاً وضعفاً , علي الاقل في موقفه هذا , يعرف انه لو افلت

اروي الان فلن يستعيدها مابقي حيا , سيخسر ثقتها , وكل فرصة كان يملكها في مستقبل يجمعها به , يعرفها قد تغفر له كل شيء واي شيء , الا ان يتركها وحيدة , لقد بات مقتنعا ان اروي ما فعلت كل ما فعلته الا لتختبره , ارادت ان تثبت لنفسها انه سيتخلي عنها فقط ان الحت بعض الوقت , او ان ضغطت عليه قليلا , كيف لم

يري ولم يفهم , " اذا اردت شيئا بشدة فتمسك به بذات القوة , حتي لا يأتي اليوم الذي تبكي فيه خذلانك "

ابتسم ابتسامة هادئة واسبل اجفانه ووضع القلم في هدوء قائلا

- اروي انا لا استطيع فعل هذا انا آسف .

وخرج من المكتب مسرعا قبل ان تلتقي عيونها بعيونه , عاد الي المتزل واستلقي علي الاريقة , محاولا ان يستوعب ما فعله , لكنه اغمض عينيه سريعا وغفا , فقد مرت عدة ايام منذ استطاع ان ينام نوما هنيئا .

لم تستطع اروي العودة الي المتزل مباشرة , قضت بعض الوقت امام النيل , تحاول ترتيب افكارها , لا يمكنها ان تنكر سعادتها الغامرة بما فعله وليد , لكن هذا لا يغير حقيقة انها تحتاج لان تباعد لبعض الوقت , عليهما ان يجدا طريقة لبيداً من جديد , لكن فقط حين يتركهما الماضي وشأنهما , عادت الي المتزل فوجدته غافيا علي الاريقة دخلت سريعا وسحبت حقيبة سفرها التي لم تكن قد افرغتها اصلا , وخرجت الي الصالة وجلست الي الطاولة القصيرة امامه تراقب ملامحه , ابتسمت حين راته يضع يده فوق راسه كالعادة , كم كان وجهه مرهقا وقد اكتسي بلحية لم يهذبها منذ ايام , كم ستشتاقه , تحت ضوء الاباجورة الخافت راحت تحفظ ملامحه , مرت بيدها علي شعره , قبلت جبينه , ووقفت لتذهب , لكنه امسك بيدها وجحظ مقلتيه قائلا

- الي اين ؟

افلتت يدها من يده قاتلة

- سأذهب

اولته ظهرها وابتعدت قليلا , فلم يوقفها الا ذراعيه التفتا حول كتفيها من الخلف تعانقاهما وبشدة

- اروي لما تفعلين هذا ؟ كفاك

سيطرت علي دموعها قاتلة

- قبل اشهر ياوليد , سألتني ان اوقف الحرب الدائرة بيننا , ان امنحك الفرصة لتبرأ جراحك , وها أنا

اطلب منك المثل فهلا فعلت .؟

اغمض عينيه قاتلا

- والا تستطيع ان تبرأ جراحك وانتي معي ؟

هزت راسها نفيا فقال هامسا في اذنها

- انا احبك .

ارتعش جسدها , وتراقص القلب بين ضلوعها , الجمها الخجل فلم تجبه فقال

- لا تطيلي الغيبة ياأروي

- هذا ليس الوداع بعد يا وليد , لازلت سألتقيك في زفاف سيف ونوران

قالت من بين دموعها فقال

- اذن ابقى معي حتي موعد الزفاف .

اجابته

- اعرف اني لو بقيت هنا دقيقة اخري فلن امتلك القوة لارحل

- اذن ابقى

ضحكت ولم تجبه ، تنهد وافلتها وعاد يرمي الي الاريكه ، سحبت حقيبتها وخرجت .

لا يعرف كم مرة نظر في مرآة السيارة يتأكد من هندامه كان متوترا سعيدا , ترتجف روحه انتعاشا , لماذا نعجز دائما عن تصديق ان احلامنا بوسعها ان تصبح حقيقة ذات يوم ؟ مهما حاول اقناع نفسه انه يقف علي بعد خطوات من ان تصبح نوران زوجته , من ان تزف اليه بفستانها الابيض , يزداد عجزه عن تصديق الامر ؟ أَلفرط ما تَوَرَقْنَا تلك الاحلام يصبح من الصعب التصديق اننا اخيرا سنلامسها ؟ ام لفرط توقنا اليها نظن ان التحامنا بها بعد شوق لن يحدث ابدا ؟ ربت وليد علي كتفه قائلا

- اهدأ يارجل .

ابتلع سيف ريقه في ارتباك وقال

- انا لا استطيع التحكم في اعصابي , سأفقد عقلي حتما .

ضحك وليد ولم يعقب , جلسا بعض الوقت في السيارة , حتي استدعي والد نوران سيف ليدخل لالتقاط الصور معها , اشار والدها الي الغرفة التي تنتظره فيها نوران , فسار , دافعا قدميه الثقيلتين لفرط توتره , فتح الباب ودخل , رفع عينيه فوجدها جالسة امامه , تعبت في فستانها في خجل , تلجم

في موضعه , كم كانت جميلة , خطفت لبه , وضاج لمرآها نبضه , سار نحوها قائلا

- يقولون ان زوجتي تنتظري هنا , هل رأيتها ؟

ابتسمت نوران في خجل ولم ترد , جلس الي جوارها مستطردا

- اه يا الهي انتي تشبهينيها كثيرا .

لكزته نوران في ذراعه فقال متصنعا الالم

- اوه هذه انت اذن

ضحكت نوران فقال

- اتعرفين , كنت بحاجة لهذه اللكزة لاصدق ان ما يحدث معنا اليوم حقيقي , لاصدق انني لا احلم .

- اظني احتاج الي لكزة مماثلة

اجابته بصوت خافت , فطبع قبلة سريعة علي وجنتها قائلا

- اتكفي هذه ؟

لكزته في حنق مصطنع فقال

- ثقلت يدك كثيرا .

فابتسمت دون ان ترد .

فقط ساعتين او اقل تفصله عن وداعها , كلما ادرك ذلك كلما تسلل الضيق اليه , وتشبثت نظراته بها اكثر , دقائق الحفل تمر في سرعة , كأنها تريده ان يرتطم بذلك الواقع المر سريعا , اختارت ان تجلس الليلة الي الكرسي بجواره , كانت بحاجة لان تملأ انفاسها برائحة عطره , ارادت ان لا تنتهي تلك الدقائق ابدا لكنها فعلت , انتهى الحفل سريعا ولم تجد نفسها الا جالسة في السيارة الي جواره يوصلها الي منزلها , لتستعد للحاق بطائرتها بعد ساعة , وقف امام المنزل ولم يحرك او تحرك هي ساكنا حتي قال

- سأعود بعد ساعة لاصطحبك الي المطار

- انا اتفقت مع سيارة اجرة ستمر بي

نظر لها طويلا , اتستكشر عليه حتي ان يودعها , قطب حاجبيه ونظر امامه قائلا

- لك ما تريدين اذن .

- وليد !

قالت بنرة رجاء فقال

- فهتمت يااروي , لا تزعجي نفسك بالشرح .

قال في حزم فهبطت من السيارة , فانطلق مبتعدا , ضاربا علي المقود في غضب.

حزمت ارووي حقائبها سريعا قبل ان تصل الي سيارة الاجرة , ودعت المنزل ومافيه بعيون باكية , كان عليها ان تترك كل هذا وراءها , ان تتحرر من كل الحزن الذي يتربص بها , ان ارادت ان تعود يوما كما كانت , مفعمة بالحياة , محمولة بالامل , ارادت ان تودع وليد , ارادت ان تعانقه لمرة اخيرة لكن لا يبدو ان هناك فرصة لذلك , فقد رحل بعد ان اغضبته , لماذا لا يفهم انها تخشي وداعه .

انزلت حقائبها واحدة تلو الاخرى , ووضعتها في سيارة الاجرة بمساعدة السائق , كادت تركب

السيارة لكنها لمحت علي الرصيف الاخر متكئا علي سيارته ينظر نحوها , تركت السيارة وعبرت الطريق سائرة نحوه تحاول كبح دموعها دونما فائدة , وقفت امامه , تلتحم نظراتها بنظراته , قالت بصوت تخنقه الدموع

- لما تأخرت هكذا ؟

اعتدل في وقفته , قائلا

- انتي السبب , لم تري ديني ان اودعك حتي , لماذا تفعلين بي هذا ايتها الحمقاء , من اخبرك ان بمقدوري تحمل كل هذا , الا تفكرين في قلبي ابدا ..

بتر جملته حين اندفعت الي عناقه باكية , دفنت راسها في صدره قائلة بصوت خافت

- سأشتاق لك كثيرا

طوقها بذراعيه قائلا

- سأشتاق لك اكثر .

ابتعدت عنه قائلة وهي تمسح دموعها

- اعتني بنفسك يا وليد .

- اعتني بقلبي الذي تأخينه معك يا أروي .

- سأفعل .

ركضت مبتعدة عنه , فما عادت روحها تتحمل الضغط اكثر , وقف يراقب ابتعادها عنه , وضع يديه في جيبي معطفه فشعر بورقة ما في جيبه اخرجها مستغربا وفضها ليقرأها تحت ضوء المصباح فوق رأسه

" مفترق الطريق لا تدعي انك لم تعرف اننا سنصل اليه...بل الادهي نحن نقف عليه منذ البداية
لكننا تجاهلناه...مفترق طريق ..يقسمنا لنصفين ...لان كل طريق لن يحتمل الا شخصا واحدا...لن
يمكننا التشبث ببعضنا دعنا لا نخادع انفسنا ... لا بد لنا من فراق طويل لعل بعدها تلتقي الطرق...دعنا
نسير وحدنا قليلا لنترك جراح الامس تندثر...اتركني لاحلق بعيدا لاتخفف من كل ماهو ماضي. .علي
اعود ذات يوم .. اتركني اجمع شتاتي حتي اعود , اتركني استعيد قواي , ليبراً القلب من سقمه ,

كن اكيدا ان ليس كل الفقد خسارة ...ولا كل الفراق وجع ...سأمنحك بغيابي حياة جديدة
...يقولون ان الحب يغير المرء لكن الفراق يجعله اقوي...فكن قويا لاجلي ...فأنا سأعود يوما ما

عندما افهم كل شئ سأعود ...عندما اعرفني واعرف ما اريد سأعود ...لازلنا احجية كبيرة بالنسبة لي
لا زلت لا اعرف كيف يجتمع الملك وكبريائي ..ماضييك وحبي ذكرياتك واوجاعي في مقطوعة واحدة
وفي لحن شديد التناسق عذب النغم !لا اعرف حقا ... لكنني مؤمنة بأننا فعلناها ... ذات عناق فعلناها
" ...

رغم الغياب

بعد مرور ثلاثة اشهر

اتكأ علي الاريكة مشتا نظراته علي المباراة دون ان يركز علي ما يدور حقا، يلقي بنظرة جانبية نحوها ويعود ينظر الي التلفاز مرة أخرى ، عقدت ذراعيها وتكورت في الاريكة محتبأة من نظراته وراء جسد والدته التي تجلس في المنتصف بينهما، تسترق النظر نحوه دون ان يراها، تتأفف في ملل ، شعرت والدته بالخرج من جلستها وتعجبت من اصرارهما علي الجلوس بينهما، صارت اكيدة ان شجارا ما دب بين الاثنين لذا يقحمانها بينهما ليتحاشيا بعضهما ، وقفت فجأة وقالت

- سأخذ للنوم

فقال لها

- لكنك استيقظتي للتو

رمقته بنظرة طويلة وقالت

- واريذ ان انام مجددا هل لديك مانع؟

تنحنح حرجا واوما برأسه أن لا ، انسحبت الي غرفتها يتابعانها بنظراتهما حتي اختفت ، عاد ينظر الي التلفاز فوقفت لترحل ، لكنه امسك بيدها قائلا

- انا آسف!

رمقته نوران بنظرة عتاب ولم تجبه فأردف

- انا حقا لم اقصدا ان افقد اعصابي .

ابتسمت له بحذر

- لا بأس

ثم رفعت سبابتها في وجهه مهددة علي سبيل المزاح

- لكن اياك ان تكررهما مرة ثانية

رمقها بنظرة تحد وقال

- وماذا لو فعلت؟

قطبت حاجبيها في حزن وقالت

- سأحزن حينها كثيرا

قبل يدها قائلا

- لن اكررها ثانية اعدك .

- اما اكتفيتي؟!!

- بلي اكثر مما تتخيل!!

- فلتعودي اذن , اشتقت اليك!!

- سأفعل!!

- ولكن متى ؟

- متى تريدني انت ان اعود ؟

- لولا اني اعرف ان هذا مستحيل لقلت اريدك الآن وفي هذه اللحظة , لكن سأكون منطقياً واقول اني اريدك ان تعودني غدا !

- الا يناسبك الاسبوع المقبل ؟

- اكره مزاحك !

- لست امزح , ستحط طائرتي علي ارض الوطن بعد اسبوع بالضبط !

- احبك !

- اعرف !

لو كان بالعمر بقية فليت البقية كلها تكون معك، الي جوارك، فلکم تكون الايام قاسية باردة دونك، لن ادعي ان الحياة تقف دونك لكنها لا تسير علي ما يرام، لا تحمل نكهة ولا لونا، الحياة التي اعرفها، تلك التي احبها تقف دونك بلا شك، كيف افسدتني الي هذا الحد؟ ماعدت استسيغ الا الذكري التي تحمل عطرك، لكم ظننت انني سأعتاد الحياة هنا في غيابك، لكن الحياة هنا هي التي اعتادت حضورك في داخلي، تعطرت بعبقك الذي احملة معي في ثنايا الذاكرة، احبك الي الحد الذي يجعلني انسي كل وجع، واتحمل كل الغياب الا غيابك , وازهد كل الحضور الا حضورك ، وانسي كل الماضي في حاضرک، ظننت انني اهرب عل جراحي تبرأ، لكنني ادركت منذ اليوم الاول انها برأت معك بالفعل،

وجع فراقك كان اقوي، اشد مرارة، صرت اؤمن ان ما خلق بيني وبينك رابط روحي لن ينفك يوما،
شئ حتي اقوي من الحب، اشد بأسا من التعلق ، شئ عذب كالمودة وملائكي كالرحمة ، بيني وبينك
جسور الود تحملني اليك، الي عناقك، الي حنانك الذي اذاب جبال الثلج بيننا .

شاكرة انا لكل شئ سئ الم بي يوما لانه جمعني بك في النهاية، انا لن انسي اي وليد عرفته، فلولاهم
جميعا ماكنت معك ما كنت لك، احب حتي ذاك الاحمق الذي حطم قلبي، احبه لان حماقته جعلتني
زوجتك، شاكرة لكل وجه عرفته فيك ، احب ذاك الصديق، وذاك الزوج، وذاك الحبيب واحبك انت،
ياكل شئ ، اراهم جميعا فيك يا وليد واحبهم كما احبك انت .

لو تعرف كيف مضي الوقت في غيابك ، توقظني خالتي كل صباح ، فاشتبهى ان اعود لمزلنا ، وافتح
نوافذ غرفتك ، اري شمس الصباح تداعب ملامحك ، احتسي قهوتي معك في شرفتنا ، تسألني عن
الطقس ، فأخبرك كم ان الطقس يحبك هذا الصباح ، اشتاق لصمتنا الطويل ، اشتاق لان اخبرك كل
الاحاديث التي لم اقلها لك بعد ، اشتاق اليك ، الي صوتك ، ضحككتك ، جنونك ، رزانتك ، حتي
غضبك وحماقتك ، اشتقت نفسي معك ، لتلك المرأة التي كنتها بجوارك ، اشتقت خجلي ، وارتباضي
امامك ، اشتقت عناقك ورائحة عطرك ، ثيابك ، نومتك ، ومزلنا ، وحجرتي ، بل حتي ضوء
الشمس ، وجلسة الاريكة ، وموسيقى البيانو ، والرقص بين ذراعيك ، وماذا فعلت في الغياب الا
الشوق ، كنت حاضرا رغم انف الغياب، قريبا رغم انف البعد، كنت معي رغم الفراق .

هدني الشوق وصارعني عنادي طويلا في انتظار سؤالك ، لكم كرهت تعليماتي الصارمة التي امليتها
عليك، ولكم اصابني الخوف مرات ومرات من ان اكون قد خسرتك، او انك قد نسيت امري كليا،
لكم ارقني الامر، دفنت رأسي بين الاوراق في انتظارك، لكن التوق الذي جاش في صدري كان اقوي
من احتمال اوراقي حتي، سرعان ماجافاني الالهام فهجرت اوراقي ، هجرت كل شئ الا ذكرياتي والاك
، اردت ان اراك، مللت الغياب يا وليد، مللت الحياة دونك، كرهتها، كرهت طعمها اللاذع، وفقدت

صبري في النهاية، بكيك شوقا، وولها وتوقا ، اردتك معي ، اردتك صدقا ياوليد ، حتي اني غضبت منك لانك لم توقفي يوم تركتك ، كيف طاوعتني ، كيف لم توقف حماقتي ؟ الم تعرف انت ايضا ماكان ينتظرن من شوق ، لكنني اعود لاكتشف ان الغياب مازادني منك الا قربا ، تجردت من كل الخوف الذي وقف حائلا بيننا ، ماعدت اخاف التحطم ياوليد ، اثق انك لن تتركني اسقط ، لن تفلتنني مهما حدث ، استطعت ان اغفر ، وانسي ، انا التي لا تغفر ولا تنسي ، لا اقول انك عدت وليد صديقي الذي عرفته دوما ، فانت اعظم واشمل من ذاك الوليد .

لو تعرف كيف دبت رسالتك الحياة في داخلي من جديد، كنت قد ياست وارهقني الانتظار، لكن رسالتك انعشت روحي، قرأتها مئة مرة، قرأتها في كل ساعة، احببت كل حرف ، صدقت كل كلمة، ايقنت ان انتزاعك من داخلي بات مستحيلا، كما بات انتزاعي من داخلك مستحيلا ، اذكر حين وصلتني رسالتك بعد غياب، كنت اعث بيريدي الالكتروني في ملل حين قفز اسمك امامي، وقفز قلبي من موضعه، لكم ارتبكت وارتعشت يداي كما انفاسي حتي فتحتها

" اروي

شهران واسبوعان وثلاثة ايام و خمس ساعات في الغياب ، اشتقتك وحسب، اشتقتك كلك، واشتهيت لذة الاشياء في حضورك، كنتي تقولين انك ستغادرين الوطن، فلما سرقت الوطن وحملته في حقائبك ؟ اكان عصيا عليكي ان تتركي الاشياء خلفك كما الفتها دوما ؟ قاسية انت ، قاسية جدا ، وتائه انا في ازقة الوطن الذي ما عاد يشبه الوطن ، سرقتي عبيره ، ورونقه ، والحياة فيه ، اخذ غيابك كل شئ وتركتني عاريا امام الصقيع ، فغادرت الوطن ، اغتراب في ارض لا اعرفها اهون من اغترابي في وطن ما عاد يعرفني ولا عدت اعرفه اقسمت الا اعود الا لاستقبلك ، فالوطن موحش دونك، تحاصرني ذكرياتك في كل اتجاه ولكم احب ان يحاصرني حضورك لا ان يطحنني الغياب ، اخبريني كيف حال قلبي ؟ حافظي عليه يااروي فما عاد منه شئ لينكسر ، اعيديه مجبور الكسر ، بارثا من سقامه ، اعيديه

لخاطري , اعيدي لي وطني , اعيدي لي حبيتي , عودي , اريدك , لا تدعي الغياب ينعم بك ,
وتتركين شوك المسافة يدمي روحي , فلترجي اما اكتفيتي ؟ "

ولكم كنت اكتفيت ياوليد, اه لو تعرف , اردت ان اعبر كل المسافة واخطو فوق كل الزمن , ركضا
اليك , ماكان اي حديث اجيبك به سيكفي لاجيبك , الشئ الوحيد الذي كان سيشفيني هو ان اراك ,
لذا ارسلت لك ان تنتظرنى بعد اسبوع , فلنعد الي الوطن , اجبني " احبك " فلم اجبك الا بأني "
اعرف " , اعرف كم تحبني ياوليد , يمكنني ان اشعر , بل بات بإمكانني ان اصدق .

" السادة الركاب بالرجاء ربط الاحزمة , الطائرة علي وشك الهبوط "

اغلقت اروني مفكرتها ووضع قلمها في الحقيبة , مسحت دموعه تترقق في عينيها , حاولت التقاط
انفاسها لكن الامر كان صعبا , وكيف لا ولا يفصلها عن رؤياه الا دقائق , كانت قد بدأت تصدق ان
ذاك اليوم لن يأتي .

كم كان ذلك الاسبوع طويلا , لا يكاد يمر , يدفع يوما وراء الآخر حتي اتي اليوم الموعود اخيرا ,
سيراها , سيطفأ شوقه الذي تأجج لاشهر ثلاث , كم هي عبيدة هذه الاروي , كيف انصاع لعنادها
وتحمل كل هذه المدة , لكنه رغم كل شئ لا يستطيع ان يقول انها اخطأت في قرارها ذلك منذ البداية
علي العكس , الشوق الذي صهره لوقت طويل كان يثبت له انه يجبها اكثر مما ظن يوما , يعرف ان
خوف اروني منه ماكان لينتهي الا بتلك الطريقة , يحق لها بعد كل شئ ان تخافه والا تثق به , يعرف انها
ظنت ان ما تحمله في قلبها له قد لا يستحق المغامرة , لكنه اكيد انها باتت تعرف انه يستحق , بل انه

استحق كل التحطم والوجع والخسارة والدموع , كل الطريق الذي قطعاه الي تلك اللحظة , كل العثرات وكل سقوط وخيبة , رغم كل كرهه لفراقهما , لكنه ادرك ان السبيل الوحيد ليجتمعا معا كان الفراق .

وقف امام البوابة في انتظارها , دقائق قليلة كما قالت الموظفة ويخرج الركاب , تسارعت انفاسه , كم يشناق لان يضمها , لم يكن في حاجة لان يسمع منها اي شئ , سيرها وكفاه , امام ظمأه لرؤياها لا شئ مهم , لا شئ علي الاطلاق , حتي رغبته في ان تقول له كم تحبه ؟ ,

بدأ الركاب في الخروج واحدا تلو الاخر , حتي خرجت هي , لم ترفع نظرها بحثا عنه خافت ان تربكها نظراته فتعثر خجلا , سحبت حقائبها , تقدم هو نحوها وقف امامها قائلا

- تبحثين عن احدهم

رفعت نظرها صوبه قائلة بصوت مرتبك

- ابحث عن حبيبي هل رأيتته ؟

هز رأسه نفيا وقال

- الا افى انا بالغرض !

اومات براسها ان نعم احاطها بذراعيه فقالت

- احبك .

ابتسم لفرط سعادته ولم يجب , ترك نبض قلبه المبعثر يجيبها .

كان يفرغ حقائب سفره في خزانة غرفته، حين وجد ورقة مطوية تأكلت بفعل الزمن ، سحبها يطالعها بمشاعر مبهمة ، حتي تعرف عليها اصابته الذاكرة بوعكة في القلب ، كيف بالله تدفعه الحياة الي الماضي كلما حاول الفرار منه ، لما تعجز عن تركه وشأنه وحسب! لم يكفها كل ما جري وكل ما أصابه، الم تشفق عليه حتي بعد ان سقط في الوحل ، مالذي تريده بعد! ، تسلل الضيق الي صدره فوضع الورقة في جيبه وخرج تقوده اقدمه الي البحر الواسع، وقف امام الشاطئ يتلقي الهواء النقي ، اربعة اعوام او اكثر منذ وقعت تلك الرسالة بين يده فقلبت حياته رأسا علي عقب ، كم حرك مرآها الان من اشياء كان يظن انها خامدة ، لكن يبدو انه كان مخطئا، فبعض الاشياء لا تموت حقا مهما مر الوقت، اخرج الورقة من جيبه يطالعها في الم ، تنبعث منها رائحة العمر الذي قضته في حوزته بكل الاوقات السعيدة والبائسة، بكل الحيات التي اصابته ، حتي الذنب الذي يشعر به، حتي الغفران الذي لم يحصل عليه يوما ولم يبدو انه سيحصل عليه ابدا ، فض الورقة وراح يقرأ كلماتها، عليه ان يتحرر من هذا الثقل ومن كل القيود التي تشده الي ماض لعين بات عليه ان ينساه ، مزقها كليا وتركها تتناثر مع الرياح، يراقبها بعين دامعة ، يكفي الي هذا الحد بات عليه ان يغفر لنفسه، حتي وان لم تغفر هي يوما، لن يفقد نفسه بعد ان وجدها اخيرا، بدأت حياته للتو وعليه ان يقف علي قدميه ويتلقي مسؤولياته في جلد و صبر!

دق جرس هاتفه فأخرجه من جيب بنطاله واجاب شاردا اتاه صوت سيف

هل وصلت يارجل؟

قال بصوت مخنوق

- اجل

- حسام هل انت بخير؟

نظر الي بقايا الورقة التي يطوح بها الهواء نظرة اخيرة قبل ان يجيب وقد ادار ظهره عائدا الي الفندق

-لا تقلق انا بخير!

القت نظرة اخيرة علي القبر وابتعدت سائرة نحو وليد الواقف علي مسافة ليمنحها حرية الحديث الي رفات والدها، وقفت امامه تنظر الي عينيه في صمت صاحب بالاحاديث ، ييادها بنظرة بعثرتها كلها، كم ان الفراق صعب؟ وكم ان الشوق مرهق ؟ لكن كلاهما ضروري ليستمر الحب، فالحب الذي لا لهفة فيه لا يسمى حبا، وفي حالتها كان الفراق والزمن علاجا لما افسداه وافسدته الحياة بدورها، حقا كم يمكن للزمن ان يشفي من جراح!

هاهي تقف امامه بارئة من كل جرح، خفيفة كروح محلقة، نقية من كل الندوب التي كانت تملأ القلب ، قوية حتي من اتي عاصفة قد تنتظرها يوما ، ماعادت تخاف، تحررت من كل ماهو ماض بات بإمكانها ان تمسك بيده دون تردد .

وكأنه شعر بها مد يده نحوها فمدت يدها وامسكت بيده، شد عليها، تخللت اصابعها اصابعه ، رفع يدها ولامسها بشفتيه مقبلا ، يبثها شوقه ، ابتسمت في خجل ، انزل يدها دون ان يفلتها، سارا متجاورين ، لا يقول احدهما شيئا ماكانت السيطرة علي الضجيج في قلب اي منهما الا ضربا من المستحيل ، في تلك اللحظة كانت الكلمات كلها سخيفة فحسب، لم تكن هناك من لغة جديدة بترجمة مشاعرهما الا الصمت ، وصلا الي السيار المصفوفة قريبا، افلتت يدها واستدارت تجلس في مقعدها، فتح هو الباب وجلس في مقعده في انتظارها، نظر الي مقعدها فوجد مفكرة بجوار حقيبتها امسكها فتحها ، نظرت عبر الباب المفتوح له لتراها في يده، مزيج من الذعر والخجل اضطرم في حشاها، مدت يدها تسحبها، شعر بها فابعدتها عن مسار يدها سريعا تملمت في غيظ فضحك واكمل قراءته امام غضبها المشتعل

- وليد لا تقرأ ارجوك .

لكن الامر اصبح اكبر من مجرد اغاظتها، فقد اسرته كلماتها التي بثت فيها شوقه اليه، اغلق المفكرة فجأة ونظر نحوها ابتسمت في سعادة قائلة

- اه شكرا لك

لكنه قال

- سأقروها ولكن ليس الان

تبرمت في ضيق فاكمل

- لا اظني اريد ان اهدر ثانية لا انظر لك فيها ، اريد ان انعم بانعكاس صورتي في عينيكي، اشتقت لرؤية نفسي فيكي .

اطرقت برأسها خجلا فضحك قائلا

- انظري نحوي والا كيف سأري ما أريد رؤيته

رفعت وجهه تنظر له بحب وقالت

- لك ما تريد .

*** تمت بحمد الله ***